الدعوة إلى الله في الحج

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمـــد لله ، نحمده ، و نستعينه ، و نستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شـــرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل لـــه ، ومن يضلل فلا هادي لـــه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ ،[1] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ ،[2] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3]،[4] أما بعد :

فإن الدعوة إلى الله من أفضل الطاعات ، وأجلّ القربات ، وأحسن ما دعا إليها

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء ، الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان (٧٠ ، ٧١).

(٤) خطبة الحاجة "التي كان رسول الله -ﷺ- يعلمها أصحابه"، أخرجها الإمام ابن ماجة بهذا اللفظ في كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح، ح(١٨٩٢) ، انظر: سنن ابن ماجة/(ص٣٢٩) ، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القـــزويني الشـــهير بابن ماجة ، حكم على أحاديثها وآثارها وعلّق عليها المحدّث الشيخ:محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى بها : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، وبنحو هذا اللفظ أخرجها الإمام أبو داود في كتاب النكاح ، باب في خطبة النكاح ، ح(٢١١٨) ، انظر: سنن أبي داود/(ص٣٢١)، لأبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني،حكم على أحاديثها وآثارها وعلّق عليها المحدّث الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى بها : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، والإمام الترمذي في كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح، ح (١١٠٥) ، انظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح)/(ص٢٦١) ، للإمام الحافظ محمد ابن عيســى بـــن سورة الترمذي ، حكم على أحاديثها وآثارها وعلّق عليها المحدّث الشيخ: محمد ناصر الدين الألـــباني ، واعتنى بها : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، والإمام النسائي في كتاب الجمعة ، باب كيفـــية الخطبة، ح (١٤٠٤) ، انظر: سنن النسائي/(ص ٢٣٠) ، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي، حكم على أحاديثها وآثارها وعلّق عليها المحدّث الشيخ: محمد بن ناصر الدين الألباني ، واعـــتنى بها: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، وقد جمع أحاديث خطبة الحاجة وتتبع طرقها وأثبت صحتها المحدّث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- في رسالته: خطبة الحاجة التي كان رسول الله -ﷺ-يعـــلمها أصـــحابه/(ص١٥- ٤٣)، كما ذكر الحكم بصحتها في نفس الصفحات التي ذكرت فيها الخطبة في السنن السابقة.

الدعـــاة ، عـــرف ســـلف هذه الأمة منـــزلتها ، فقاموا بها مقتفين بذلك أثر الرسل - علـــيهم الصلاة والسلام -، ومستمدين منهجهم في الدعوة إلى الله من كتاب الله -تعـــالى- وســـنة نبيه -ﷺ-، فهما زاد الداعي إلى الله ، وعليهما يقوم منهج دعوة السلف ، وبهما يستطيع الداعي إلى الله أن يدعو إليه على بصيرة ، قال-تعالى- :﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ...﴾.[1]

ومـــن ثم اخترت سورة من سور القرآن الكريم - الذي جاء معجزاً شاملاً لأدق مـــا تحتاجه البشرية في جميع أحوالها - وهي سورة الحج كأطروحة علمية لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام ، ذلك لأن آيات هذه السورة تطرح قضايا مهمة في طياتها معان عظيمة ، يهم الدعاة معرفتها والوقوف على فوائدها ، حتى يسيروا في دعوتهم على طريق سليم لإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى والإيمان .

أولاً : التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة :

١ - الدعوة :

أ- تعرف الدعوة في اللغة :

للدعوة في اللغة عدة معانٍ تدور كلها حول :الاستمالة ، والتمني ، والتجمع ، والدعـــاء ، والسؤال ، والنداء ، والدعوة إلى الطعام ، والأذان ، والطلب ، والحث ، والاستعانة .

فـــالفعل " دعـــو " : « الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد ، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك ».[2]

«وجمع داعٍ : دعاة وداعون ، مثل قاضٍ وقضاة وقاضون .

(١) سورة يوسف ، الآية (١٠٨) .

(٢) معجـــم مقاييس اللغة /(٢/ ٢٧٩) ، أبو حسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام بن محمد هارون.

والنبي داعي الخلق إلى التوحيد .

وادعيت الشيء : تمنيته ».[1]

وتداعوا عليه : تجمعوا .

والدِعوة بالكسر : الادعاء في النسب .[2]

وبعض العرب يؤنث الدعوة بالألف المقصورة فيقول الدعوى .

وتأتي بمعنى الدعاء ، قال -تعالى- : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾.[3] [4]

« ودعوت الله أدعوه دعاءً: ابتهلتُ إليه بالسؤال ، ورغبتُ فيما عنده من الخير .

ودعوت زيداً : ناديته وطلبت إقباله ».[5]

والدعوة : الحَلِفُ ، والدعاء إلى الطعام .

والنبي -ﷺ- داعي الله ، ويطلق على المؤذن كذلك داعٍ .[6]

« ودعا بالشيء : طلب إحضاره ، وإلى الشيء : حثّه على قصده ، ويقال : دعا فلاناً : استعان به ».[7]

ب- تعريف الدعوة في الاصطلاح :

تطلق كلمة الدعوة في الاصطلاح ويراد بها معنيان :

الدعوة بمعنى النشر والبلاغ ، والدعوة بمعنى الإسلام والرسالة .[8]

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/(٢/ ٢٦٤ ، ٢٦٥) ، للعلاّمة أحمد بن محمد المقرئ الفيومي.

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس /(١٠/ ١٢٧) ، محمد بن مرتضى الزبيدي.

(٣) سورة يونس ، الآية (١٠).

(٤) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس /(١٠/١٢٦).

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/(٢/ ٢٦٤).

(٦) انظر : القاموس المحيط /(١٢٨٣) ، لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .

(٧) المعجم الوسيط /(ص٢٨٦) ، إبراهيم مصطفى ، وآخرون .

(٨) انظر : الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)/(ص ١٠) ، تأليف: د.أحمد أحمد غلوش ، فقه الدعوة والإعلام /(ص ١٩) ، تأليف: د.عمارة نجيب .

الأول : الدعوة بمعنى النشر والبلاغ :

مما عُرِّفت به على هذا المعنى ما يلي :

١- « تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة ».(١)

٢- « قيام من عنده أهلية النصح الرشيد ، والتوجيه السديد من المسلمين ، في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً ، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة».(٢)

وهذا هو المعنى المراد في هذه الدراسة.

الثاني : الدعوة بمعنى الإسلام والرسالة :

مما عُرِّفت به على هذا المعنى ما يلي :

١- « الدين الذي ارتضاه الله للعالمين ، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله -ﷺ-، وحفظها القرآن الكريم ، وبيَّنها في السنة النبوية ».(٣)

٢- « دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً ، تجدد على يد محمد -ﷺ- خاتم النبيين ، كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة ».(٤)

٢ - سُورة :

أ- تعريف السُورة في اللغة :

« السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع .

والسُّوَر : جمع سُورَة ، وهي كل منزلة من البناء ».(٥)

« والسُورة من القرآن جمعها سُور مثل غُرْفة وغُرَف ».(٦)

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة /(ص ٤٠) ، تأليف: د. محمد أبو الفتح البيانوني .

(٢) الدعوة إلى الله ، خصائصها ، ومقوماتها ، ومناهجها/(ص ١٨) ، تأليف: د.أبو المجد السيد نوفل.

(٣) الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)/(ص ١٢، ١٣).

(٤) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية /(ص ٣٩) ، تأليف الشيخ: محمد الراوي .

(٥) معجم مقاييس اللغة /(٣/ ١١٥).

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/(٣/ ٤٠٠).

والسُـــورة : المنـــزلة ، وسميت السُورة من القرآن بذلك لأنها منـــزلة بعد مَنْزلةٍ مقطوعة عن الأخرى .[1]

والسُورة –أيضاً– الرِّفعة ، وبها سميت السُورة من القرآن ، أي رفعة وخير.[2]

ب– تعريف السُورة في الاصطلاح :

للسُورة في الاصطلاح عدة تعاريف ، تتقارب في المعنى ، ومنها ما يلي :

١– « طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع » .[3]

٢– قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات .

٣– هـــي الطائفـــة المترجمة توقيفاً ، أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي –صلى الله عليه وسلم–.[4]

٣ – الحج :

أ–تعريف الحج في اللغة :

الحجُّ : القصد .

يقال : حجَّ إلينا فلان أي : قدم ، وحجَّه يَحجُّه حجّاً : قصده .

والحجُّ : الزيارة والإتيان ، وإنما سمي حاجاً لزيارة بيت الله .[5]

« وحـــجَّ –مـــن باب قتل– : قصد فهو حاج ، هذا أصله ، ثم قُصِرَ استعماله في الشرع على قصد الكعبة للحج أو العمرة ، والجمع حجج ».[6]

ومنه المحاجة ، يقال حاججت فلاناً فحججته أي غلبته بالحجة ، فيقصد إظهار الحق المطلوب .[7]

---

(١) انظر : القاموس المحيط /(ص٤١١) .

(٢) انظر: لسان العرب /(٤/ ٣٨٧) ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن /(١/ ٣٥٠) ، للشيخ: محمد بن عبدالعظيم الزرقاني ، ترتيب وتخريج: أحمد شمس الدين .

(٤) انظر : الإتقان في علوم القرآن /(١/ ٥٢) ، للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي .

(٥) انظر: لسان العرب /(٢/ ٢٢٦ ، ٢٢٧) .

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/(٢/ ١٦٦) .

(٧) انظر: معجم مقاييس اللغة /(٢/ ٣٠) .

ب- تعريف الحج في الاصطلاح :

للحج في الاصطلاح عدة تعريفات ، منها:

١- « قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص ».[١]

٢- « قصد مكة للنسك ».[٢]

٣- « وقوف بعرفة ، ليلة عاشر ذي الحجة ، وطواف بالبيت سبعاً ، وسعي بين الصفا والمروة كذلك ، على وجه مخصوص ».[٣]

٤- « التعبد لله -عز وجل- بأداء المناسك على ما جاء في سنة رسول الله -ﷺ- ».[٤]

وهذا التعريف تعريف جامع لجميع مناسك الحج ، مانع لدخول ما ليس فيها بتقييدها بما جاء عن رسول الله -ﷺ-، مبين الهدف من القيام بها بعبادة الله -عز وجل-.

ويمكن مما سبق تعريف **سورة الحج اصطلاحاً** بأنها : الطائفة المستقلة من آيات القرآن ، ذات فاتحة وخاتمة ، المسماة بسورة الحج توقيفاً من النبي -ﷺ-.

وتعريف **الدعوة إلى الله في سورة الحج** بأنها : دراسة سورة الحج من الجانب الدعوي الذي يركز على القضايا الدعوية في أركان الدعوة ، للاستفادة منها في الدعوة إلى الله .

ثانياً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

إن أصدق الحديث كلام الله ، وأعظم ما اشتغل به الدارسون العناية بكتاب الله -تعالى-، فقد جاء مشتملاً إجمالاً وتفصيلاً على تشريعات إلهية لا غنى للبشرية عنها ، فمن أخذ بها فاز وأفلح ومن أعرض عنها خاب وخسر ، وقد أحكم الله بيانه ، وأتم إعجازه ، وتكفل بحفظه إلى قيام الساعة ، قال -تعالى- : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا

(١) الروض المربع شرح زاد المستقنع /(١/٤٥٣) ، للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي .

(٢) الفروع /(٣/ ٢٠٣) ، لأبي عبدالله محمد بن مفلح.

(٣) القاموس الفقهي /(ص ٧٦ ، ٧٧) ، تأليف: سعدي أبو جيب.

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع /(٧ /٧ ، ٨) ، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، اعتنى به : د. سليمان بن عبدالله بن حمود أبا الخيل ، د. خالد بن علي بن محمد المشيقح .

لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾.[1]

والبشرية في كل زمان ومكان بحاجة ماسة للتشريع الإلهي الحكيم ؛ لتسير أمورها ، وتنتظم معيشتها ، ويرتقي تفكيرها ، فإذا انحرفت أرسل الله -جل جلاله- بكمال عدله ورحمته رسلاً يبشرون بعظيم الثواب وجزيل العطاء لمن تاب وأناب وسلك طريق الرشاد ، وينذرون من اتبع هواه وسلك سبيل الضلال بأن الله شديد العقاب ، وأنه عزيز ذو انتقام ، قال -تعالى- : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ .[2]

وبَيْنَ كتاب الله -سبحانه وتعالى- والدعوة إلى الله تلازم لاينفك ولا تنفصم عراه ، فكله دعوة لله ، يهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، قال -سبحانه وتعالى-:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾.[3]

فقد صرَّف الله فيه الآيات ، ونوّع الأساليب ، وضرب الأمثال ، وذكر حال الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -مع أقوامهم ، وبيَّن الأساليب والمناهج القويمة التي اتبعوها ، كما حكى عن الداعي الأول لهذه الأمة نبينا محمد -ﷺ- ، و ما لقيه في سبيل الدعوة ، وجهوده التي بذلها في تبليغ الدين الإسلامي.

فكان نبي هذه الأمة خاتم الأنبياء والمرسلين — عليهم الصلاة والسلام —، وقد قام بمهمة الرسل خير قيام ، فبلَّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، وأقام الحجة ، وأعدّ الأمة من بعده للاضطلاع بمهام النبوة ، فكان أول من اضطلع بالدعوة إلى الله وقام بها واعتنى بشأنها هم أفضل الخلق وأكملهم ، وهم الأنبياء والمرسلون ، ثم جاء من بعدهم من اقتفى أثرهم ، وورث ميراثهم ، ونهج نهجهم من الدعاة إلى الله .

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٩).

(٢) سورة النساء ، الآية (١٦٥).

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (١).

ولهذا كانت الدعوة إلى الله من أجلّ الأعمال التي تهدف إلى تحقيق أسمى الغايات وأفضلها بدعوة الناس إلى الله .

والواقع اليوم يحتاج إلى دعاة يعرفون كتاب الله ، ويتدبرون آياته ، ويفهمون معانيه ، ويستخرجون لآلئه ودرره ، و يدعون إلى سبيل الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ويجادلون بالتي هي أحسن .

ومن أبرز السور التي ضمت مفردات رئيسة في الدعوة إلى الله سورة الحج ، فقد دعت إلى وحدة العقيدة بتوحيد الله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالبعث والنشور ، ودعت للقيام بالأعمال الصالحة كالجهاد وأداء فريضة الحج والقيام بواجبات التمكين ، وإلى التحلي بالأخلاق الفاضلة .

كما بيّنت مهمة الداعي إلى الله والتي تقوم على توجيه الناس وإرشادهم إلى طريق الحق والصواب ، وأنها وظيفة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وألقت الضوء على صفات عظيمة للدعاة إلى الله ، وبينت حال المدعوين إلى الله وأصنافهم ، بل وبينت بعضاً من أساليب الدعوة ووسائل تبليغها ، وميادينها التي تمارس فيها .

وبالإضافة إلى ما سبق من أهمية الموضوع ، فإنني أُبين أسباب اختياره :

١- الرغبة في بحث ودراسة سورة من كتاب الله من خلال البحث الأكاديمي الخاضع للتوجيه والتقويم .

٢- مجيء سورة الحج مشتملة على مفردات رئيسة في الدعوة إلى الله ، وأنها تلقي الضوء على معانٍ عظيمة يهم الدعاة معرفتها ، وموافقة ذلك لتخصصي العلمي في الدعوة والاحتساب .

٣- حاجة الدعاة اليوم إلى معرفة مرتكزات سليمة مستمدة من كتاب الله في الدعوة إليه - سبحانه وتعالى -.

ثالثاً : أهداف الدراسة :

١- تقديم دراسة تأصيلية في علم الدعوة من كتاب الله -تعالى- ، وذلك بدراسة

سورة من سوره الكريمة ، وبيان ما فيها من جوانب الدعوة إلى الله .

٢- تأصيل مبدأ الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ- عند كل قضية ، ولا سيما قضايا الدعوة التي كثر الخلاف حولها في وقتنا الحاضر .

٣- إبراز الفوائد الدعوية العظيمة التي جاءت بها سورة الحج .

٤- تزويد المكتبة الإسلامية بمؤلف علمي خاضع للتدقيق من علماء أفاضل ، يبين للدعاة طريقة القرآن في معالجة بعض القضايا الدعوية وذلك في سورة من سوره .

رابعاً : الدراسات السابقة :

بحث هذه السورة ودراستها من هذه الوجهة لم يسبقني إليه أحد فيما أعلم ،[1] فإني لم أجد من بحث هذه السورة بدراسة دعوية في رسالة علمية ، وما سأقوم به -بمشيئة الله- في هذا البحث هو دراسة القضايا الدعوية الموجودة فيها ، وتحليلها تحليلاً مناسباً .

وقد وجدت أن ما طُرِحَ حول هذا الموضوع جاء على صنفين :

الأول: الكتب العامة :

وهي الكتب التي تناولت بعض جزيئات هذا الموضوع بوجه عام ، وهي على نوعين:

---

(١) مما قامت به الباحثة من جهد في هذا الصدد ما يلي :

أ - الرجوع إلى الرسائل والبحوث العلمية المقدمة إلى أقسام الدعوة في كل من : جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض والمدينة المنورة ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، والتأكد من عدم تسجيل الموضوع لرسالة علمية في هذه الجامعات .

ب- الرجوع إلى المراكز والمكتبات المعنية بالبحث العلمي للبحث عن الرسائل العلمية والأبحاث والكتب ذات الصلة بموضوع البحث أو القريبة من بعض جزئياته ، حيث تم تتبع ذلك لدى : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومكتبة جامعة الملك سعود ، فلم أجد من بحث هذه السورة من الوجهة التي أريد بحثها - بإذن الله -.

- كتب تفسير القرآن الكريم -وهي كثيرة ومعلومة- ، وهذه الكتب تناولت هذه السورة الكريمة بالتفسير والبيان ، وهي في هذا تختلف عن ما أود بحثه في هـــذا الموضوع ، فلست أريد تفسير السورة ، فللتفسير علماؤه ، ولكني أريد -بمشيئة الله- طرح ومناقشة القضايا الدعوية التي تزخر بها هذه السورة الكريمة .
- مؤلفـــات وكتـــب عن فريضة الحج ، وهي إما كتب وعظية تتحدث عن مكانـــة الحج وفضله ، أو كتب فقهية في مناسك الحج ومسائله ، والكتب مـــن هذا النوع كثيرة لكنها تختلف عن موضوعي اختلافاً كلياً -كما هو مـــبين في خطة البحث-، فلن أتحدث عن فريضة الحج إلا باعتبارها إحدى القضـــايا الدعوية الكثيرة الواردة في هذه السورة الكريمة ، وذلك في جزئية تبين أنها موضوع من موضوعات الدعوة إلى الله ، وميدان من ميادينها .

الثاني: الكتب الخاصة :

وهي الكتب التي تناولت سورة الحج بالبحث والعناية بوجه خاص ، وقد جاءت على نوعين:

- **الدراسات الجامعية[1]:**

١- دراسة أصول العقيدة في ضوء سورة الحج/ للدكتورة : زهرة بنت محمد ابن أسامة فادان.

وهذه الدراسة قدمت لكلية الآداب للبنات بالرياض ، قسم الدراسات الإسلامية، للحصول على درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة.

---

(١) مـــن الدراسات الجامعية التي لم أقف عليها و لم أستطع الوصول إليها -بعد بذل الجهد في البحث عنها في المراكز والمؤسسات المعنية بالبحث العلمي في الرياض وغيرها-، ما يلي:

- تفسير سورة الحج والأهداف التي ترمي إليها /للدكتور:كمال محمد الهدي السيد النجار ، جامعة الأزهر، مصر ، رسالة دكتوراه.
- سورة الحج دراسة نحوية وصرفية /للباحث : إبراهيم عبدالسلام أدبيلو ، جامعة أم القرى في مكة المكرمة، رسالة ماجستير.

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة.

واشتمل التمهيد على موضوعين أحدهما : العقيدة وأهميتها للإنسان المعاصر.

وثانيهما : التعريف بالسورة الكريمة ومقاصدها.

أما الباب الأول فتناول الأصل الأول من أصول الإيمان وهو الإيمان بالله .

والباب الثاني اشتمل على الحديث عن الإيمان بالرسل- عليهم الصلاة والسلام-.

وجاء الباب الثالث في الحديث عن الإيمان باليوم الآخر .

أمـــا الباب الرابع والأخير فقد كان للكلام عن آثار الإيمان والإنكار ، ببيان أثر الإيمان وثواب المؤمنين ، وأثر الإنكار وثواب المنكرين.

ومما سبق نلاحظ أن هذه الدراسة اقتصرت على دراسة أصول العقيدة في سورة الحـــج ، وهي في هذا تختلف عن دراستي لهذه السورة الكريمة ، فإني سأقوم -بمشيئة الله- بدراسة أبرز القضايا الدعوية الواردة فيها.

٢- من بلاغة القرآن الكريم في سورة الحج/ للباحثة : حصة بنت عبدالله بن فهد الرميح.

وهـــذه الدراســـة تقدمت بها الباحثة لكلية التربية للبنات بالرياض ، قسم اللغة العربية ، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية.

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

وقد جاء التمهيد عن التعريف بسورة الحج.

أمـــا الباب الأول فتناول منهج السورة في اختيار ألفاظها ، متضمناً الحديث عن اختـــيار اللفـــظ الدقيق في تعبيره عن المراد في المعاني الجزئية ، واختيار الكلمة لبنائها ووزنها وتكوينها الصوتي ، والرقة والجزالة ومواطنها في السورة.

والـــباب الثاني اشتمل على الحديث عن النظم القرآني في السورة الكريمة ، مبيناً بلاغة التركيب ، والصورة البيانية ، والصورة الإبداعية.

وبهـــذا يتضـــح أن هذه الدراسة اقتصرت على دراسة الجانب البلاغي في سورة الحج، وهي في هذا تختلف عن دراستي لهذه السورة الكريمة .

- **الكتب العلمية :**

- الطريق إلى الأمة المسلمة في سورة الحج / عبد الحميد محمود طهماز .

وقـــد جاء الكتاب في أربعة فصول فقط دون ذكر مباحث أو فروع وإنما مجرد عناوين جانبية تربو عن الخمسة وعشرين عنواناً في بعض الفصول .

فجـــاء الفصل الأول : عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، متناولاً الآيات الواردة في هذا الصدد بالتفسير.

والفصل الثاني : عن البيت الحرام وفريضة الحج ، مبيناً فريضة الحج ومناسكها .

أما الفصل الثالث : فعن الجهاد ، وتحدث فيه عن مشروعية الجهاد ، والتدرج في الإذن بالقتال .

والفصـــل الرابع : عن الاصطفاء والاختبار للأمة المسلمة ، ويتحدث فيه المؤلف عن الآيات الأخيرة من سورة الحج والتي بيّنت اصطفاء الله — سبحانه وتعالى- للأمة المسلمة ، والتبعات التي أنيطت بها .

وقد لاحظت أنه يختلف عن مخططي فيما يلي :

١- لم يقـــم المؤلـــف بدراسة السورة دراسة علمية دعوية ، وإنما جاء الكتاب سوانح فكر وخواطر قلب كما ذكر المؤلف .

٢- جـــاء الكـــتاب في أربعة فصول فقط تحدث فيها المؤلف عن بعض القضايا الواردة في السورة بشكل عام دون دراستها دعوياً ، وقد أغفل الحديث عن القضـــايا الأخرى ، و ما سأقوم به هو دراسة جميع القضايا الدعوية الواردة في السورة كما هو مبين في تقسيم الدراسة .

٣- يغلب على الكتاب الصبغة التفسيرية ، والصياغة الوعظية الإرشادية .

خامساً: تساؤلات الدراسة :

تهدف الدراسة - بإذن الله - إلى الإجابة عن الأسئلة التالية :

١- ما موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج ؟

٢- ما مهمة الداعي إلى الله ؟

٣- كيف يتم إعداد الداعي إلى الله في سورة الحج ؟

٤- ما صفات الداعي إلى الله في سورة الحج ؟

٥- ما أصناف المدعوين التي وردت في سورة الحج ؟

٦- ما الأحوال التي يكون عليها المدعو في سورة الحج ؟

٧- ما وسائل الدعوة إلى الله في سورة الحج ؟

٨- ما أساليب الدعوة إلى الله في سورة الحج ؟

٩- ما ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج ؟

سادساً: المناهج المستخدمة في هذه الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على المناهج التالية :

١- المنهج الاستدلالي الاستنباطي :

« وهـــو المنهج الذي يبدأ الباحث السير فيه من قضايا ثابتة ومُسلَّم بها ، إلى قضـــايا أخرى تتضمنها ، وتنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة ، ويتم هذا بواسطة القول أو بواسطة الحساب ».[١]

٢- المنهج التحليلي:

« وهو المنهج الذي يعتمد على جمع المعلومات التي تتعلق بأي نشاط كان ، ثم تحليل تلك المعلومات المجموعة لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منها ».[٢]

٣- المنهج الاستقرائي :

« وهو ما يقوم على حصر جميع الجزئيات للمسألة التي هي موضوع البحث ، والتتبع لما يعرض لها مع الاستعانة بالملاحظة في جميع جزئيات المسألة ».[٣]

---

(١) مـــناهج البحث/(ص ٨١) ، تأليف: غازي بن حسين عناية ، وانظر: مناهج البحث العلمي/(ص ١٨) ، تأليف: عبدالرحمن بدوي .

(٢) مناهج البحث وكتابتها/(ص ٨٩) ، تأليف: يوسف بن مصطفى القاضي .

(٣) البحث العلمي/(ص ١٧٩) ، تأليف: أ.د . عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة .

وقد راعيتُ بعض الأمور المهمة ، والتي منها :

أ) المادة العلمية :

١- حصر الآيات التي فيها دلالات دعوية ، وتفسيرها تفسيراً يوضح ما فيها من الدعوة إلى الله عند الحاجة لذلك.

٢- الاستشـهاد بالآيـة أو الآيـات في مواضع متعددة من الرسالة ، وذلك للاسـتدلال بها في كل موضع حسب ما يقتضيه المقام ؛ إما لكونها مشتملة عـلى أمـور متعددة ، أو كونها تحتمل عدة معان ، مع إحالة المتأخر على المتقدم ما أمكن.

٣- الاستدلال بالأحاديث النبوية في المسائل التي تتطلب ذلك .

٤- اعـتماد أقـوال السلف - رحمهم الله - ، وبالذات في القرون المفضلة ، والمشهود لهم بالتقوى والصلاح .

٥- الاستفادة من الكتابات المعاصرة ، في موضوعات الرسالة .

٦- نقل المادة العلمية عموماً من مصادرها ومراجعها الأصلية ما أمكن .

٧- لضبط المادة العلمية فإن النصوص القرآنية كتبتها بالرسم العثماني مُشَكَّلة ، وجعلـتها بين قوسين مميزين ﴿ ﴾ ، والأحاديث النبوية جعلتها بين قوسين هلالين ( ) ، وما نقلته بنصه جعلته بين قوسين مزدوجين صغيرين « » .

ب) الهوامش :

١- عزو الآيات بذكر رقم الآية واسم السورة ، وإذا احتاج المقام إلى ذكر أول الآية أو آخرها فعلت ذلك .

٢- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية .

وقد جاءت أكثر أحاديث هذه الرسالة من أحاديث صحيح الإمام البخاري ، وأحاديث صحيح الإمام مسلم ، فكنت أخرج الحديث منهما ، وأكتفي بذلك ،

وقد اعتمدت كتاب : موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) ؛ لكون هذه النسـخة طبعة مصححة ومرقمة ومرتبة حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف ومـأخوذة من أصح النسخ ، ومذيلة بفهرس لتراجم الأبواب وأطراف الأحاديث والآثـار من قبل بعض طلبة العلم ، وبإشراف ومراجعة معالي الشيخ / صالح ابن عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ .

أما بقية الأحاديث الواردة في الرسالة – وليست كثيرة – فقد جاءت من :

أ- سنن أبي داود .

ب- سنن الترمذي (الجامع الصحيح).

ج- سنن النسائي .

د- سنن ابن ماجة .

وقـد اعـتمدت في هذه السنن الأربع على النسخ التي حكم على أحاديثها وآثارها وعلّق عليها العلاّمة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله –، والتي اعـتنى بها أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، لكون هذه النسخ طبعة مميزة بضـبط نصـها ، ووضـع الحكم على الأحاديث والآثار ، وفهرست الأطراف والكتب والأبواب .

٣- تخـريج آثـار الصحابة – رضوان الله عليهم- والتابعين والسلف –رحمهم الله- من المصنفات والكتب المختصة بها ما أمكن ذلك.

٤- ترجمة الأعلام الواردين في ثنايا الرسالة ، وتركت المشهورين منهم كأمهات المؤمـنين ، والعشـرة المبشرين بالجنَّة ، والعبادلة الأربعة –عبدالله بن عمر ، عبدالله بن عباس ، عبدالله بن الزبير ، عبدالله بن عمرو- ، والمكثرين من رواية الحديـث ، وغيرهـم ممن أرى شهرتهم ، ومن لم أعثر على ترجمته بعد بذل الجهد في البحث عنها أقول : لم أجد له ترجمة.

٥- بيان معاني المفردات الغريبة من كتب اللغة.

٦- تعريف الأماكن والبلدان غير المشهورة الواردة في الرسالة.

٧- إذا نقلت النص حرفياً فإني أضع علامة التنصيص وأكتب في الهامش المصدر أو المـــرجع مباشـــرة ، وإذا تصرفت فيه ولو كان تصرفاً يسيراً فإني أسبقه بكلمة انظر .

٨- عـــند ذكـــري لمصدر أو مرجع لـــه أجزاء أذكر رقم الجزء أولاً ، ثم أضع خطاً مائلاً وأذكر رقم الصفحة بعد هذا الخط هكذا (١/٤٤) مثلاً ، بدون ذكـــر (ج١/ص٤٤) ، وإذا كان المصدر أو المرجع ليس لـــه أجزاء فأثبته هكذا (ص٤٤) ، واعتمدت هذا في كل هوامش الرسالة .

٩- عـــند الإحالة إلى المصادر والمراجع أكتب اسم الكتاب ثم رقم الجزء — إن وجد- ثم رقم الصفحة ، وإن كان المصدر أو المرجع يذكر لأول مرة أكتب اســـم المؤلف ، واسم المحقق — إن وجد- بعدهما ، دون ذكر لبيانات نشر الكـــتاب ، مـــنعاً للإطالة في هوامش الرسالة ، مكتفية بذكرها في فهرس المصادر والمراجع.

ج) الفهارس :

١- فهرس الآيات القرآنية ، مرتبة حسب السور .

٢- فهرس الأحاديث النبوية ، مرتبة حسب الحرف الأول للحديث ترتيباً هجائياً.

٣- فهرس الآثار ، مرتبة حسب الحرف الأول للأثر ترتيباً هجائياً .

٤- فهرس الأعلام ، مرتباً حسب الحرف الأول لاسم العلم ترتيباً هجائياً .

٥- فهـــرس المواقـــع والبلدان ، مرتباً حسب الحرف الأول للموقع والبلد ترتيباً هجائياً .

٦- فهرس الفِرَق والطوائف ، مرتبة حسب الحرف الأول للطائفة والفرقة ترتيباً هجائياً .

٧- فهـــرس المصادر والمراجع ، مرتبة ترتيباً هجائياً حسب الحرف الأول لاسم

الكتاب ، وتدوين المصادر كالآتي :

الكـــتاب ، اسم المؤلف ، لقبه ، اسم المحقق أو المعلق -إن وجد- ، دار النشر، مكان الطبع ، عدد الطبعة ، تاريخ الطبع .

وقد استخدمت في فهرس المصادر والمراجع الرموز التالية :

(د: د) وأعـــني : بدون دار النشر ، (د: م) بدون ذكر مكان النشر ، (د: ط) بدون تحديد للطبعة ، (د: ت) بدون تاريخ الطبع ، وقد يجتمع رمزان فأكثر، مثل(د: ط ، ت) وأعني : بدون تحديد للطبعة ، وبدون تحديد لتاريخ الطبع .

٨- فهرس الموضوعات .

سابعاً : خطة الدراسة :

المقدمة .

تمهيد :

المبحث الأول : التعريف بسورة الحج.

المبحث الثاني : التعريف بأركان الدعوة إلى الله.

الفصل الأول : موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج.

المبحث الأول : الدعوة إلى الله في مجال العقيدة.

المبحث الثاني : الدعوة إلى الله في مجال الشريعة.

المبحث الثالث : الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق.

الفصل الثاني : الداعي إلى الله في سورة الحج.

المبحث الأول : مهمة الداعي إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثاني : إعداد الداعي إلى الله في سورة الحج.[1]

المبحث الثالث : صفات الداعي إلى الله في سورة الحج.

---

(١) في المخطـــط المعتمد من مجلس عمادة الدراسات العليا كان اسم المبحث: (إعداد الداعية إلى الله في سورة الحج) ، فقامت الباحثة بتعديل كلمة (الداعية) إلى (الداعي) تناسباً مع بقية المباحث.

الفصل الثالث : المدعو إلى الله في سورة الحج.

المبحث الأول : أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثاني : أحوال المدعوين إلى الله في سورة الحج.

الفصل الرابع : وسائل الدعوة إلى الله ، وأساليبها ، وميادينها في سورة الحج.

المبحث الأول : وسائل الدعوة إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثاني : أساليب الدعوة إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثالث : ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج.

الخاتمة : وتشمل التوصيات ، و النتائج التي توصلت إليها.

الشكر والتقدير :

بعد شكر الله –تعالى– الذي أكرمني بنعمٍ لا تُحصى ولا تقدَّر ، والذي أحسن إليّ بكرمه وفضله ، ويسر لي إتمام هذا البحث ، فإني أتقدم بالشكر والعرفان إلى أعز الناس والدي الحبيب الذي رباني على حب العلم وأهله ، وشجعني على إتمام دراستي ، وكان خير عون لي أثناء إعدادي هذا البحث ، ووالدتي الغالية ذات الصدر الحنون ، التي كانت ملاذاً لي –بعد الله– كلما أهمني وشق عليَّ أمر ، فلهما كل الشكر والتقدير ، وأسأل المولى أن يرزقني برهما ، والإحسان إليهما ، وأن يطيل عمرهما على البر والتقوى.

كما أشكر جميع إخوتي ، وخالي الفاضل : يوسف بن محمد السويل ، على ما بذلوه من عون دؤوب حتى أنهيت هذه الرسالة ، وأسأل الله –تعالى– أن يجزل لهم الأجر والمثوبة.

كما أسأله –جلَّ شأنه– أن يغفر لأخي العزيز : علي ، الذي رحل عن دنيانا أثناء إعدادي هذا البحث ، والذي كان نعم الأخ المشفق الحريص على تقديم كل عون لي ، فاللهم أحسن إليه كما أحسن إليّ ، واغفر له ، وارحمه ، وتجاوز عنه ، واجمعنا به في دار كرامتك.

وأتقـــدم بالشكر والتقدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ولكلية الدعوة والإعــلام ، ممـــثلة في فضيلة عميدها ووكلائها على ما يقدمونه من جهود مباركة في خدمة العلم وطلابه.

وأخص بالشكر الجزيل فضيلة الدكتور / عبدالله بن محمد الرشيد ، الأستاذ المشارك في قســم الدعوة والاحتساب والمشرف على هذه الرسالة ، والذي كان قمة في العطاء والخلــق الكــريم ، على ما بذل وأعطى من وقته وجهده ونصحه حتى خرج البحث بصورته النهائية ، والشكر كذلك لفضيلة الدكتور/ إبراهيم بن عبدالله المطلق ، الأستاذ المســاعد في قسم الدعوة والاحتساب والمرشد والموجه لي في إعداد خطة البحث حتى تمت واتضح بناؤها .

فــلهما كل الشكر والتقدير ، ودعوة صادقـــة في ظهر الغيب أن يجزيهما الله عني خير ما جزى أستاذاً عن تلميذه .

كمـــا أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور/ حسين عبدالمطلب ، الأستاذ في قسم الدعوة والاحتساب، وفضيلة الدكتور/ عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ، الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والاحتساب ، على تفضلهما بقبول مناقشة الرسالة ، سائلة المولى –جلّ شأنه– أن يبارك لهما في علمهما وعملهما ، وأن يجزيهما عني خيراً.

والشكر موصول لكل أساتذتي الأجلاء ، ولمن كان له فضل عليَّ بعد الله –تعالى–، ولكل من أسدى إليّ معروفاً .

وأسأل المولى–جل شأنه– أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، ويبارك لي فيه ، وأسأله أن يغفر لي ولوالدي والمسلمين أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد :

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بسورة الحج .

المبحث الثاني : التعريف بأركان الدعوة إلى الله .

المبحث الأول: التعريف بسورة الحج .

أولاً: وجه تسميتها بسورة الحج :

تسمى هذه السورة بسورة الحج ، وليس لها اسم غير هذا .

ووجه تسميتها بهذا الاسم : أن الله ذكر فيها كيف أمر إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — بالدعوة إلى حج البيت الحرام ، وذكر ما شرع للناس يومئذ من النسك تـنويهاً بـالحج ، وما فيه من فضائل ومنافع ، وتقريعاً للذين يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام ، وإن كان نزولها قبل أن يفرض الحج على المسلمين بالاتفاق ، وإنما فرض الحج بالآيات التي في سورة البقرة وفي سورة آل عمران.[1]

ثانياً: نوعها وعدد آياتها :

اختلف أهل العلم في هذه السورة هل هي مكية أو مدنية ؟ على عدة أقوال :

١- فعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، ومجاهد،[2] وعطاء[3] —رحمهما الله- :

---

(١) التحرير والتنوير /(١٧٩/١٦) ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والآيات : قال -تعالى- : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ... ﴾ [سورة البقرة ، الآية:١٩٦] ، وقال -تعالى-: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ...﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ٩٧].

(٢) مجاهد بن جبر ، الإمام ، شيخ القرّاء والمفسرين ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، ولد سنة إحدى وعشـرين في خلافة عمر -ﷺ-، روى عن ابن عباس —رضي الله عنهما- ، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقـه ، كان فقيهاً ، كثير الحديث ، عالماً ورعاً ثقةً متقناً ، توفي بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومئة . انظر : سـير أعـلام النـبلاء/ (٤٤٩/٤-٤٥٧) ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تهذيب التهذيب/(٢٥/٤ ، ٢٦)، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، عناية: إبراهيم الزيبق ، عادل مرشد.

(٣) عطاء بن أبي رباح ، اسمه أَسْلَم القرشي ، الإمام ، مفتي الحرم ، ولد أثناء خلافة عثمان -ﷺ- في الجَنَد ، وهـي بلدة مشهورة في اليمن ، نشأ بمكة ، كان ثقة فقيهاً عالماً ، كثير الحديث ، فصيح الكلام ، انتهت فـتوى أهـل مكة إليه ، توفي سنة خمس عشرة ومئة. انظر : سير أعلام النبلاء /(٧٨/٥-٨٨) ، تهذيب التهذيب/(١٠١/٣-١٠٣).

هـــي مكـــية إلا ثـــلاث آيات من قوله -تعالى- :﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ..﴾، إلى ﴿... وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾.[1]

٢- ذكـــر ابن عطية[2]-رحمه الله- : أن النقاش[3]-رحمه الله-عدَّ ما نزل منها بالمدينة عشر آيات .

٣- وعـــن ابـــن عـــباس -رضي الله عنهما- أيضاً ، والضحاك[4]، وقتادة[5] -رحمهما الله- أنها مدنية إلا آيات : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ ، إلى قوله -تعالى-: ﴿... أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾.[6] فهن مكيات.

---

(١) سورة الحج ، الآيات (١٩-٢٢).

(٢) عـــبدالحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي ، (٤٨٠-٥٤١هـــ) ، أبو محمد ، الإمام العلاّمة ، شيخ المفسرين ، كان إماماً في الفقه والتفسير والعربية ، قوي المشاركة ، ذكياً فطناً مدركاً ، من أوعية العلم . انظر : سير أعلام النبلاء /(٥٨٧/١٩-٥٨٨) ، طبقات المفسرين /(ص٦٠ ، ٦١) ، للإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: علي محمد عمر.

(٣) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد النَّقَّاش ، (٢٦٦-٣٥٠هـــ) ، أبو بكر ، العلاّمة المفسِّر ، شيخ القرَّاء ، كان واسع الرحلة ، قديم اللقاء ، وهو في القراءات أقوى منه في الروايات ، من كتبه : « شفاء الصدور » في التفسير ، و« المناسك ». انظر : سير أعلام النبلاء /(٥٧٣/١٥-٥٧٦) ، طبقات المفسرين/(ص٩٤ ، ٩٥).

(٤) الضـــحَّاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم ، ويقال: أبو محمد الخرساني ، صاحب التفسير ، يعد من أوعية العـــلم ، وليس بالمجّود لحديثه ، وهو صدوق في نفسه ، ثقة ، كان معلّم كتاب ، وله باع كبير في التفسير والقصص ، نقل غير واحد وفاة الضحَّاك في سنة اثنتين ومئة . انظر: سير أعلام النبلاء /(٥٩٨/٤-٦٠٠) ، تهذيب التهذيب /(٢٢٦/٢،٢٢٧).

(٥) قَتَادة بن دِعَامة بن قتادة بن عزيز ، حافظ العصر ، قدوة المفسرين والمحدِّثين ، ولد سنة واحد وستين ، وهو مـــن أوعية العلم ، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ ، وهو حجة بالإجماع إذا بيَّن السماع ، وما توقف أحـــد في صـــدقه وعدالته وحفظه ، توفي سنة سبع عشرة ومئة ، أو ثماني عشرة ومئة . انظر : سير أعلام النبلاء /(٢٦٩/٥-٢٨٣) ، تهذيب التهذيب /(٤٢٨/٣-٤٣٠).

(٦) سورة الحج ، الآيات (٥٢ - ٥٥).

٤- وقال الجمهور : السورة مختلطة ، منها مكي ومنها مدني.[(١)]

يقول الشيخ ابن عاشور[(٢)] - رحمه الله -: « ليس هذا القول مثل ما يكثر أن يقولـــوه في بضـــع آيات من عدة سور أنه نزلت في غير البلد الذي نزل فيه أكثر الســـورة المستثنى منها ، بل أرادوا أن كثيراً منها مكي ، وأن مثله أو يقاربه مدني ، وأنه لا يتعين ما هو مكي منها، وما هو مدني ولذلك عبروا بقولهم: هي مختلطة».[(٣)]

وهـــذا القول هو الراجح ، قال الإمام القرطبي[(٤)]- رحمه الله - : « وهذا هو الأصـــح ، لأن الآيـــات تقتضي ذلك لأن ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ...﴾ مكي ، و﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ مدني ».[(٥)]

وعدد آياتها : ثمان وسبعون آية.

---

(١) انظـــر : التحرير والتنوير /(١٦/ ١٨٠) ، الجامع لأحكام القرآن /(١٢/٣) ، للإمام أبي عبد الله محمد ابن أحمـــد الأنصاري القرطبي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/(٦٢١/٣) ، للإمام محمـــد بن علي بن محمد الشوكاني ، وثق أصوله وعلّق عليه : سعيد محمد اللحام ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني /(١٧/ ١٤٤)، للإمام أبي الفضل محمود الألوسي البغدادي ، تحقيق : محمد أحمد الآمد ، عمر عبدالسلام السّلامي.

(٢) محمـــد الطاهر بن عاشور ، (١٢٩٦-١٣٩٣هـ) ، رئيس المفتين المالكيين بتونس ، وشيخ جامع الزيتونة وفـــروعه بـــتونس ، ولـــد وتوفي ودرس فيها ، لـــه مصنفات مطبوعة ، من أشهرها : «مقاصد الشريعة الإســـلامية» ، و«الـــتحرير والتنوير». انظر : الأعلام /(٦/ ١٧٤) ، تأليف: خير الدين الزركلي ، معجم المؤلفين /(٣/ ٣٦٣) ، تأليف : عمر رضا كحالة.

(٣) التحرير والتنوير /(١٦ / ١٨٠) .

(٤) محمـــد بـــن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي ، من كبار المفسرين ، صالح متعبد ، من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق ، واستقر بمنية ابن خصيب ، (في شمالي أسيوط ، بمصر) ، وتوفي فـــيها ســـنة إحـــدى وسبعين وست مئة ، من كتبه : «الجامع لأحكام القرآن» ، و«قمع الحرص بالزهد والقـــناعة». انظـــر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب /(٥/ ٣٣٥) ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، طبقات المفسرين /(ص٩٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن /(١٢/٣).

ثالثاً: فضائل السورة :

« ســـورة الحج من أعاجيب السور ؛ نزلت ليلاً ونهاراً ، سفراً وحضراً ، مكياً ومدنياً ، سلمياً وحربياً ، ناسخاً ومنسوخاً ، محكماً ومتشابهاً ».[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: « سورة الحج فيها مكي ومدني ، وليلي ونهاري ، وسفري وحضري ، وشتائي وصيفي ، وتضمنت منازل المسير إلى الله، بحيـــث لا يكـــون منـــزلة ولا قاطع يقطع عنها ، ويوجد فيها ذكر القلوب الأربعة، الأعمى والمريض والقاسي والمخبت الحي المطمئن إلى الله، وفيها من التوحيد والحكـــم والمواعظ على اختصارها ماهو بيِّن لمن تدبره ، وفيها من ذكر الواجبات والمســـتحبات كـــلها توحيداً وصلاة وزكاة وحجاً وصياماً ، قد تضمن ذلك كله قولــــه-تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[2] فيدخل في قـــوله : ﴿...وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ ...﴾ كل واجب ومستحب ، فخصص في هذه الآية وعمم ، ثم قال : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ... ﴾،[3] فهذه الآية وما بعدها لم تترك خيراً إلا جمعته ولا شراً إلا نفته ».[4]

رابعاً: موضوعات السورة :

جـــاءت ســـورة الحج مشتملة على موضوعات السور المكية في التأكيد على الإيمـــان بـــالله ، والتوحيد ، والإنذار ، والتخويف من الساعة ، وإثبات البعث ، وإنكـــار الشرك ، ومشاهد القيامة وأهوالها ، إلى جانب الموضوعات المدنية كالإذن بالقتال ، وحماية الشعائر ، والوعد بنصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يرد العدوان ، والأمر بالجهاد في سبيل الله ، وذلك لمجيء الآيات مختلطة بين ما هو مكي ومدني .

(١) الجامع لأحكام القرآن /(١٢/٣).

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٧) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٤) التفسير الكبير/(٥/٢١٩) ، للإمام العلاّمة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة .

فقـــد ابـــتدأت الســـورة الكريمة بخطاب الناس بأن يتقوا الله ويخشوا يوم الجزاء وأهوالـــه ، وخطـــاب المشـــركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله بالألـــوهية ، وعن المجادلة في ذلك اتباعاً لوساوس الشياطين .

ثم انتقلت من أهوال الساعة إلى أدلة البعث والنشور ، فعرضت دلائل البعث من أطوار حياة الإنسان وحياة النبات ، وربطت بين تلك الأطوار الثابتة وبين أن الله هو الحق ، وأنه يحي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير.

ثم عرَّضـــت بالمشـــركين بتكبرهم عن سنة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ، مذكرة إياهم بما منّ الله به عليهم في مشروعية الحج من المنافع فكفروا نعمته وأشركوا بـــه ، وأنـــه يوشـــك أن يحلّ بهم ما حلّ بالأمم من قبلهم الذين تلقوا دعوة الرسل بالإعراض والكفر فحلّ بهم العذاب .

ثم انتقلت السورة الكريمة إلى الإذن بقتال الكفار ؛ لحماية الشعائر والعبادات من العـــدوان الذي يقع على المؤمنين ، وضمان النصر والتمكين في الأرض لهم ، وذلك لبيان سنة الله في الدعوات ، وتطميناً للمسلمين بالعاقبة التي تنتظر الصابرين .

وفي خـــتام السورة ضربت مثالاً لعبادة المشركين للأصنام ، وبيَّنت عجز آلهتهم وضعفها ، كما ذكَّرت الناس بنعم الله –تعالى– عليهم ، ودعت إلى اتباع ملة إبراهيم – علـــيه الصلاة والسلام – وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله وحده – سبحانه وتعالى –، فإن الله هو مولاهم وناصرهم.(1)

خامساً : ما ورد من الأحاديث في بعض آيات السورة :

١– عـــن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: «قال النبي –ﷺ– : (**يقول الله**– عز وجل– **يوم القيامة** : **يا آدم** ، **فيقول** : **لبيك ربنا وسعديك** . **فينادي بصوت** : **إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب، وما بعث النار؟ ، قال: من كل**

(١) انظر: التحرير والتنوير /(١٦/ ١٨٣– ١٨٥) ، في ظلال القرآن /(٤/ ٢٤٠٦ ، ٢٤٠٧) ، تأليف : سيد قطب.

ألف – أراه قال – **تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الولد** ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾،[1] فشق ذلك على الـــناس حتى تغيرت وجوههم ، فقال النبي -ﷺ- :(**من يأجوج و مأجوج تسعمائة وتســـعة وتســـعين ومنكم واحد ، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجـــنة**). فكـــبرنا ، ثم قال: (**ثلث أهل الجنة**) . فكبرنا، ثم قال: (**شطر أهل الجنة**). فكبرنا».[2]

وعن عمران بن حصين[3] -رضي الله عنه- قال :« كنا مع النبي -ﷺ- في سفر فتفاوت بين أصحابه في السير ، فرفع رسول الله -ﷺ- صوته بهاتين الآيتين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ ، إلى قولــه:﴿ ...وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾،[4] فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطي ، وعرفوا أنه عند قول يقوله ، فقـــال: (**هل تدرون أي يوم ذلك ؟**) ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال: (**ذلك يوم يـــنادي الله فـــيه آدم ، فيناديه ربه فيقول : يا آدم ! ابعث بعث النار، فيقول: أي يا رب! ومـــا بعـــث النار؟ ، فيقول: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحـــد في الجـــنة**) . فيئس القوم ، حتى ما أبدوا بضاحكة ، فلما رأى رسول الله -ﷺ- الذي بأصحابه ، قال: (**اعملوا وأبشروا ، فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع**

---

(١) سورة الحج ، الآية (٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله:﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ ﴾ ، ح(٤٧٤١)، وأخـــرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب قوله: (**يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتســـعة وتســـعين**) ، ح (٣٧٩). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص ٣٩٨ ، ٧١٨) ، اشراف ومراجعة فضيلة الشيخ: صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

(٣) عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي ، أبو نجيد ، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر ، روى عن النبي -ﷺ- ، وروى عـــنه ابنه نجيد وآخرون ، استقضاه عبدالله بن عامر على البصرة ثم استعفاه ، وتوفي بها سنة اثنتين وخمسين . انظر : تهذيب التهذيب /(٣١٦/٣).

(٤) سورة الحج ، الآيتان (١،٢).

خليقتين ماكانتا مع شيء إلا كثرتاه ، يأجوج ومأجوج ، ومن مات من بني آدم وبني إبليس) ، قال: فسُرِّي عن القوم بعض الذي يجدون ، فقال: **(اعملوا وأبشروا ؛ فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرَّقْمَةِ[1] في ذراع الدابة).**[2]

٢- عن خُريم بن فاتك الأسدي[3] -رضي الله عنه-: أن رسول الله -ﷺ- صلى صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً ، فقال: **(عُدلت شهادة الزور بالشرك بالله)** ثلاث مرات، ثم تلا هذه الآية : ﴿...وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝﴾،[4] إلى آخر الآية.[5]

---

(١) الـرَّقْمَة : « الهَنَة الناتئة في ذراع الدابة من داخل ». النهاية في غريب الحديث والأثر /(ص٣٧٢) ، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري — ابن الأثير — ، إشراف وتقديم : علي بن حسين ابن علي بن عبدالحميد الحلبي الأثري .

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله -ﷺ-، باب ومن سورة الحج ،ح (٣١٦٩)، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، وصححه العلاّمة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله -. انظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح)/(ص٧١٣).

(٣) خُـريم بن فاتك بن الأخرم ، ويقال : خريم بن الأخرم بن شدَّاد بن عمرو بن فاتك الأزدي ، أبو أيمن ، ويقال : أبو يحيى ، لـه صحبه ، ذكره البخاري وغير واحد فيمن شهد بدراً ، مات بالرَّقة في عهد معاوية -رضي الله عنه-. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة /(٢٣٦/٢) ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود ، علي محمد معوض ، تهذيب التهذيب /(٥٤١/١).

(٤) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٥) أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأقضية ، باب في شهادة الزور ، ح (٣٥٩٩) ، وأخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب الأحكام ، باب شهادة الزور ، ح (٢٣٧٢) ، وضعَّفه العلاّمة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - رحمـه الله - ، انظر: سنن أبي داود /(ص٥٤٥) ، سنن ابن ماجة /(ص٤٠٥) ، وُذكر هذا الحديث في سـنن الترمذي (الجامع الصحيح) في كتاب الشهادات ، باب ماجاء في شهادة الزور ، ح(٢٣٠٠) ، (ص٥٢٠) ، وقال العلاّمة الألباني - رحمه الله - : « عزو هذا الحديث للترمذي خطأ ، إذ لم ينسبه لـه المخرِّجون قديماً ، فعزاه صاحب " المشكاة " (٣٧٧٩) مثلاً لأبي داود وابن ماجة ، وعزاه صاحب " الدر المنثور " (٤٤/٦) لأحمد وعبد بن حميد وأبي داود وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابـن مـردويه والبيهقي في " الشعب " ، ولم يذكر الترمذي ، وهو ساقط من النسخ الخطية الجيدة من " جامع الترمذي " ، ولم يعزه له المزي في " التحفة " ، ولا استدركه عليه أحد ، ولم يعلم المزي في رواية=

سادساً: عدد السجدات الواردة في السورة :

في سورة الحج سجدتان :

الأولى :هي قوله – سبحانه وتعالى- : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾.[1]

والثانية : قوله –سبحانه وتعالى- :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾.[2]

ومما يدل على ذلك:

١- مـــا رواه عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: « قلت لرسول الله -ﷺ- :يا رسول الله ! في ســـورة الحـــج سجدتان؟ ، قال : (**نعم ، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما**)».[3]

-حبيـــب بـــن النعمان عن خريم في ترجمة الأخير من " تهذيب الكمال "للترمذي ، كعادته ، فهذه الأمور وغيرها تجعلنا نقطع بعدم وجود هذا الحديث في كتابنا هذا ، وذكرناه هنا تبعاً للطبعات السابقة ، مع هذا التنويه ، والله الموفق للخيرات ، والهادي للصالحات » . [سنن الترمذي (الجامع الصحيح)/(ص٥٢٠)].

(١) سورة الحج ، الآية (١٨).

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٧) .

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في أبواب قراءة القرآن ، وتحزيبه وترتيله ، باب تفريع أبواب السجود ، وكم سجدة في القـــرآن ؟ ح (١٤٠٢) ، وأخـــرجه الإمام الترمذي في كتاب الجمعة عن رسول الله -ﷺ- ، باب في الســـجدة في الحج ، ح (٥٧٨) ، وقال : « هذا حديث ليس إسناده بذاك القوى ، واختلف أهل العلم في هـــذا ، فروي عن عمر بن الخطاب وابن عمر-رضي الله عنهما- أنهما قالا : فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين ، وبه يقول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق ، ورأى بعضهم فيها سجدة ، وهو قول سفيان الثوري ومالك وأهل الكوفة ». وقال العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- عن الحديث:«حسن »، انظـــر:سنن أبي داود/(ص٢١٨) ، سنن الترمذي(الجامع الصحيح)/(ص١٤٨) ، وقال: « والتحقيق أنه صحيح بشواهده دون (ومن لم يسجدهما ..)» ، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)/(ص ١٤٨).

٢- ما رواه عمرو بن العاص -ﷺ- : أن رسول الله -ﷺ- أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن ، منها ثلاث في المفصل ، وفي سورة الحج سجدتان .[1]

(١) أخرجه الإمام أبو داود في أبواب قراءة القرآن ، وتحزيبه وترتيله ، باب تفريع أبواب السجود ، وكم سجدة في القرآن ؟ ح (١٤٠١) ، وأخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب عدد سجود القـــرآن ، ح (١٠٥٧) . وضعَّفه العلاّمة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله -. انظر: سنن أبي داود/(ص٢١٨) ، سنن ابن ماجة /(ص١٨٩).

المبحث الثاني: التعريف بأركان الدعوة إلى الله .

أولاً: تعريف الأركان :

أ- تعريف الأركان لغة :

جمع رُكن ؛ وهو الجانب الأقوى للشيء ، وأركانُ كل شيء: جوانبه التي يستند إليها ، ويقوم بها.[1]

ب- تعريف الأركان اصطلاحاً :

ما يقوم به ذلك الشيء ، إذ قوام الشيء بركنه ، لا من القيام .[2]

ثانياً: تعريف أركان الدعوة :

« هي الأجزاء التي تمثل حقيقة الدعوة ، ولا تقوم الدعوة إلا بها ».[3]

وهي أربعة أركان :

١- موضوع الدعوة إلى الله.

٢- الداعي إلى الله.

٣- المدعو إلى الله.

٤- وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها وميادينها.

الركن الأول : موضوع الدعوة إلى الله :

موضوع الدعوة إلى الله هو الإسلام وهو الدين الذي يُدعى إليه الناس.

قال -تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ... ﴾.[4]

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز — رحمه الله — :« أما الشيء

---

(١) انظر : لسان العرب /(١٣/١٨٥) .

(٢) انظر: التعريفات /(ص١٢٤) ، للعلامة : علي بن محمد الشريف الجرجاني ، ضبط وفهرسة : محمد بن عبدالحكيم القاضي .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة /(ص ١٥٢).

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٩).

الــذي يُدعــى إليه ، ويجب على الدعاة أن يوضحوه للناس ، كما أوضحه الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فهو الدعوة إلى صراط الله المستقيم ، وهو الإسلام ، وهو دين الله الحق ».[1]

أ- تعريف الإسلام في اللغة :

مشتق من الاستسلام ، وهو الانقياد وإظهار الخضوع ، وسَلَّمَ الشيء لفلان أي خلّصه ، وَسلِمَ لــه الشيء أي خلُصَ لــه ، وسمي المسلم مسلماً لإظهاره الخضوع ، وإظهار الشريعة ، والتزام ما أتى به النبي-ﷺ- .[2]

ب- تعريف الإسلام في الاصطلاح :

هــو ما عرَّفه به رسول الله -ﷺ- في الحديث الذي رواه عمر -رضي الله عنه- ، لما سأله جبريل - عليه السلام- عن الإسلام ، فقال : (**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمــداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتيَ الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**).[3]

وممــا عُــرِّف به الإسلام -أيضاً- أنه : « النظام العام ، والقانون الشامل لأمور الحــياة ، ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد -ﷺ- من ربه ، وأمره بتبليغها إلى الناس ، وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب أو عقاب ».[4]

والتعريف المختار هو التعريف الأول ؛ لأنه يشمل أركان الإسلام الخمسة .

---

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة /(ص ٣٠) ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - .

(٢) انظر : لسان العرب /(٢٩٣/١٢).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله -سبحانه وتعالى-، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر ، وإغلاظ القول في حقه ، ح (١) ، وأخــرجه الإمــام البخاري بنحو هذا اللفظ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في كتاب الإيمان ، باب سؤال جــبريل الــنبي -ﷺ- عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، ح (٥٠) . انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص ٦٨١ ، ٦).

(٤) أصول الدعوة /(ص ١٠) ، للدكتور: عبد الكريم زيدان.

الركن الثاني : الداعي إلى الله :

أ- تعريف الداعي في اللغة :

«اســـم فاعل من دعا ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فــيه للمبالغة ».[1]

والــنبي -ﷺ- داعي الله ، ويطلق كذلك على المؤذن ، والداعِيَةُ : صريخ الخيل في الحروب ، وداعِيَةُ اللبن : بقيته التي تدعو سائره .[2]

والجمع دعاة وداعون كقضاة وقاضون.

والداعية مصدر ؛ كالعاقبة والعافية .[3]

فكل من حمل فكرة ودعا إليها ونادى بها مطلقاً ، سواء كانت هذه الفكرة شراً أو كانت هذه الفكرة خيراً ، وسواء كانت هذه الفكرة مما يحمد عليها شرعاً ، أو ما يذم عليها شرعاً ، فهو داعية لغةً .[4]

ب- تعريف الداعي إلى الله في الاصطلاح :

مما عُرِّف به الداعي إلى الله في الاصطلاح ، ما يلي:

١- « المبلِّغ للإسلام ، والمعلِّم له ، والساعي إلى تطبيقه ».[5]

٢- « المسلم المكلف شرعاً بالدعوة إلى الله-تعالى-».[6]

والتعريف الثاني يشمل الداعية النبي المؤيد من الله -تعالى- ، والداعية العالم المؤيد بالحجـــة والبرهان ، والداعية السلطان المؤيد بالقوة ، ويشمل كذلك المسلم العادي

---

(١) لسان العرب /(٢٥٩/١٤) ، المعجم الوسيط /(٢٨٧/١).

(٢) انظر: القاموس المحيط /(ص ١٢٨٣) .

(٣) انظـــر : تاج العروس من جواهر القاموس /(١٢٧/١٠ ، ١٢٨) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/(٢٦٤/٢).

(٤) انظر: مرشد الدعاة /(ص ١٠٥) ، محمد نمر الخطيب .

(٥) المدخل إلى علم الدعوة /(ص ٤٠) .

(٦) مرشد الدعاة /(ص ١٠٦).

الـــذي ليس مختصاً بعلم من علوم الشريعة ، فهو مكلف بالدعوة إلى الله ؛ بمقدار ما عنده من علم .[1]

ولا تضـــاد بـــين التعريفين السابقين ؛ فإن التعريف الثاني باعتبار نوع الداعية ، والتعريف الأول باعتبار أداء وظيفته .

الركن الثالث : المدعو إلى الله:

أ- تعريف المدعو في اللغة :

« اسم مفعول من دعاه يدعوه ، فهو : مدعو » .[2]

ب- تعريف المدعو إلى الله في الاصطلاح :

من توجه له الدعوة من أهل الإسلام ، أومن غيرهم .

الركن الرابع : وسائل الدعوة إلى الله ، وأساليبها ، وميادينها :

أولاً: وسائل الدعوة إلى الله :

أ- تعريف الوسيلة في اللغة :

وسل : الواو والسين واللام : كلمة لها معنيان متباينان جداً.

الأولى : الرغبة والطلب ، يقال : وسَلَ ، إذا رَغِب ، والواسل : الراغب إلى الله -عز وجل-، والثانية : السَّرقة ، يقال : أخذ إبله توسُّلاً .[3]

والوسيلة : هي ما يتقرب به المرء إلى غيره .[4]

وهي ما يتوصل به إلى الشيء.[5]

والوســـيلة إلى الله -تعـــالى- : «مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحري مكارم

---

(١) انظر : مرشد الدعاة /(ص ١٠٥) ومابعدها.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة /(ص ٤١).

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة /(١١٠/٦).

(٤) انظر : التعريفات /(ص ٢٦٣).

(٥) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر /(ص٩٧٢) .

الشريعة ، وهي كالقربة ».[1]

«وهي درجة النبي-ﷺ-في الجنة ، والجمع وسائلُ وُوُسلٌ » .[2]

والتوســـيل والتوسل بمعنى واحد . يقال : وَسَلَ فلان إلى ربه وَسِيلَةً وتوسل إليه بوسيلة ، أي تقرب إليه بعمل .[3]

قال –تعالى– : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ...﴾.[4]

وعن جابر بن عبدالله –رضي الله عنه– ، أن رسول الله –ﷺ– قال : **(من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة)**.[5]

قـــال الحـــافظ ابن حجر[6]– رحمه الله – عند شرح الحديث: « الوسيلة هي ما

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن /(ص٨٧١) ، للعلامة أبو القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق: صفوان بن عدنان داوودي .

(٢) المعجم الوسيط /(١٠٣٢) .

(٣) انظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)/(١٨٤١/٥) ، إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، تحقيق : أحمد ابن عبد الغفور عطار.

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٥٧).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء ، ح (٦١٤) ، وأخرجه الإمام مسلم بنحو هذا اللفظ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص في كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي -ﷺ- ثم يسأل الله لـــه الوسيلة ، ح(١١). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ٥٠ ، ٧٣٨).

(٦) أحمـــد بن علي بن محمد الكنانيّ العسقلاني شهاب الدين ابن حجر ، (٧٧٣-٨٥٢هـ) ، من أئمة العلم والـــتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، رحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ ، كان فصيح اللسان ، وولّي قضاء مصر عدة مرات ثم اعتزل ، لـــه تصانيف كثيرة ، منها : «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ، و«الإصابة في تمييز الصحابة». انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب /(٧/٢٧٠-٢٧٣) ، الأعلام /(١/١٧٨).

يتقرب به إلى الكبير ، يقال توسلت : أي تقربت ، وتطلق على المنـــزلة العلية ».[1]

ب- تعريف وسائل الدعوة إلى الله في الاصطلاح :

عرَّف بعض الكتاب والدعاة وسائل الدعوة إلى الله بتعريفات متعددة ومتقاربة ، منها :

١- « ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر ».[2]

٢- « مجموعـــة الطرق المحبوبة والمرغوب فيها لدى الدعاة للاتصال بالمدعوين ، والتأثير عليهم ، وتوجيههم ».[3]

٣- « مـــا يتوصل بـــه الـــداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية ».[4]

٤- « ما يتوصل به إلى دعوة الناس بطريق شرعي صحيح ».[5]

وهـــذا هـــو التعريف المناسب لوسائل الدعوة إلى الله ، لشموله جميع الوسائل ، وتقييدها بأن تكون وسائل شرعية صحيحة .

ثانياً: أساليب الدعوة إلى الله :

أ- تعريف الأسلوب في اللغة :

كلمة من الفعل الثلاثي سلب .

سلب الشيء سلباً : انتزعه قهراً، واستلبه : سلبه.[6]

فالسَّلْب : هو نزع الشيء من غيره على القهر ، قال -تعالى- : ﴿... وَإِن يَسْلُبْهُمُ

---

(١) فـتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري /(١١٣/٢) ، للإمام الحافظ أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني ، تقديم وتحقيق وتعليق : عبدالقادر بن شيبة الحمد.

(٢) أصول الدعوة /(ص ٤٤٧).

(٣) أسس في الدعوة ووسائل نشرها /(ص ٨٠) ، د. محمد بن عبد القادر أبو فارس .

(٤) المدخل إلى علم الدعوة /(ص ٤٩) .

(٥) وسائل الدعوة /(ص ١٦) ، د.عبد الرحيم بن محمد المغذوي .

(٦) انظر : المعجم الوسيط /(ص٤٤٠) .

ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ...﴾.[1] [2]

«وسلبته ثوبه سلباً من باب قتل : أخذت الثوب منه فهو سليب ومسلوب.

والسَّلَبَ : ما يسلب ، والجمع : أسلاب ، مثل : سبب وأسباب.

والأسـلوب بضم الهمزة : الطريق والفن ، وهو على أسلوب من أساليب القوم أي: على طريق من طرقهم ».[3]

يقال : سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه.

«ويقال : أخذنا في أساليب من القول : فنون متنوعة ، والجمع: أساليب ».[4]

وشجرة سليبٌ : سلبت أوراقها وأغصانها .

والسَّلبُ: السير الخفيف السريع والأُسْلُوب: عنق الأسد، والشموخ في الأنف.[5]

ويقال : إن أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبراً .

ويقال للسطر من النخيل : أسلوب ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب .[6]

ب- الأُسلوب في الاصطلاح:

عُرِّف الأسلوب في الاصطلاح بعدة تعريفات ، منها :

١- الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

٢- المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.

٣- طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك.[7]

---

(١) سورة الحج ، الآية (٧٣).

(٢) انظر : مفردات ألفاظ القرآن /(ص٤١٩) .

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/(٣/٣٨٥ ، ٣٨٦).

(٤) المعجم الوسيط /(ص٤٤٠).

(٥) القاموس المحيط /(ص ٩٨).

(٦) انظر : لسان العرب /(١/٤٧٣).

(٧) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن /(٢/٣٢٥). وللاستزادة : الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)/(ص٤٤) ، أحمد الشايب ، الأسلوب(دراسة لغوية إحصائية)/(ص ٢٣)، د. سعد مصلوح ، الأسلوب /(ص ٦٣) ، د. محمد بن كامل بن أحمد جمعة .

أما أساليب الدعوة خاصة فَتُعَرَّف بأنها :

« مجموعة الطرق العملية المتبعة في عرض الأفكار ، والتي يتعلمها الداعية ويطبقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس ».[1]

ثالثاً: ميادين الدعوة إلى الله :

أ- تعريف الميادين في اللغة :

ماد يميد ميداً وميداناً : تحرك ، وزاغ ، وزكا ، وماد السراب : اضطرب ، وماد الرجل : تبختر.[2]

ومـيدان الطريق : سُنَنه. والميداء : الغاية التي ينتهي إليها جري الخيل . وقيل : مجتمع الطريق.

والميدان مصدر ، والجمع ميادين.

والميدان : فسحة من الأرض متسعة معدة للسباق ، أو للرياضة ونحوهما . يقال : ميدان السباق ، وميدان الكرة ، وميدان الحرب.[3]

ب- تعريف ميادين الدعوة إلى الله في الاصطلاح :

هـي الأمـاكن التي يقوم فيها الداعي إلى الله بإيصال الدعوة للمدعو بأساليب ووسائل مخصوصة .

ومـن ذلـك مـيدان البيت ، والمسجد ، والمدرسة ، والسجن ، والمستشفى ، والجيش ... ونحو ذلك .

وفيما يلي أبين أركان الدعوة إلى الله في سورة الحج على وجه التفصيل.

---

(١) أسس في الدعوة ووسائل نشرها /(ص٨٠).

(٢) انظر: القاموس المحيط /(ص٣٢١) .

(٣) انظر: المعجم الوسيط /(ص٨٩٣) .

الفصل الأول:

موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الدعوة إلى الله في مجال العقيدة .

المبحث الثاني : الدعوة إلى الله في مجال الشريعة .

المبحث الثالث : الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق .

المبحث الأول: الدعوة إلى الله في مجال العقيدة .

توطئة :

الدعوة إلى العقيدة هو الأساس والمنطلق في الدعوة إلى الله ؛ فلا يُدعى إلى شيء قبلها من فعل الواجبات وترك المحرمات حتى تقوم هذه العقيدة وتتحقق ؛ لأنها هي الأساس المصحح لجميع الأعمال ، وبدونها لا تصح الأعمال ولا تقبل ولا يثاب عليها ، ومن المعلوم بداهة أن أي بناء لا يقوم ولا يستقيم إلا بعد إقامة أساسه.

ولهذا كان الرسل يهتمون بها قبل كل شيء ، وكان النبي -ﷺ-عندما يبعث الدعاة يوصيهم بالبداءة بالدعوة إلى تصحيح العقيدة ، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله -ﷺ- لما بعث معاذاً – ﷺ- إلى اليمن ؛ قال له : (**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**).[1]

فمن هذا الحديث الشريف ، ومن تتبع دعوة الرسل في القرآن ، ومن النظر في سيرة الرسول -ﷺ-، يؤخذ منهج الدعوة إلى الله ، وأن أول ما يدعى الناس إليه هو العقيدة المتمثلة بعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه ، كما هو معنى لا إله إلا الله.[2]

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الزكاة ، باب أخذ الصدقة من الأغنياء ، وترد في الفقراء حيث كانوا ، ح (١٣٩٥) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين ، وشرائع الإسلام ، ح (٣٠) ، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص١١٨ ، ٦٨٤).

(٢) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد /(ص ١٩) وما بعدها ، لمعالي الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان ابن عبدالله الفوزان .

المطلب الأول : الدعوة إلى توحيد الله ، والنهي عن الشرك .

أولاً : توحيد الله – سبحانه وتعالى – :

١– تعريف التوحيد:

أ– تعريف التوحيد في اللغة :

التوحيد في اللغة من الفعل الثلاثي وحَّد ، وتعني: التفرد ، ووحَّد الشيء وَحْداً : أفرده .

وتوحد الله بربوبيته ، وجلاله ، وعظمته : تفرده بها .

ووحد الله –سبحانه– : أقر وآمن بأنه واحد . والتوحيد : الإيمان بالله وحده ، لا شريك له. [١]

«ووحده توحيداً : جعله واحداً، والله الأوحد والمتوحد : ذو الوحدانية». [٢]

«والواحد من صفات الله ، معناه أنه لا ثاني له – سبحانه وتعالى –». [٣]

ب– تعريف التوحيد في الاصطلاح :

مما عُرف به التوحيد في الاصطلاح ، ما يلي :

١– « توحيد الله وإفراده بما يستحق من الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات». [٤]

٢– « نفي الكفء والمثل عن ذات الله –تعالى– ، وصفاته ، وأفعاله ، ونفي الشريك في ربوبيته ، وعبادته – عز وجلّ–». [٥]

---

(١) انظر: المعجم الوسيط /(ص ١٠١٦).

(٢) القاموس المحيط /(ص ٣٢٤).

(٣) لسان العرب /(٣/٤٥٠).

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة /(ص ١٠) ، للشيخ : محمد بن إبراهيم الحمد ، تقديم سماحة الشيخ : عبد العزيز ابن عبدالله بن باز–رحمه الله –.

(٥) عقيدة المؤمن/(ص ٨٧) ، لفضيلة الشيخ : أبو بكر جابر الجزائري.

٢- أنواع التوحيد :

الدعــوة إلى التوحيد هي أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقــوم فيه السالك إلى الله - عز وجل - ، وهو أول ما يدخل به في الإسلام ، وآخر ما يخرج به من الدنيا ، فهو أول واجب وآخر واجب.

وهو يتضمن ثلاثة أنواع :

الأول: الكلام في الصفات.

الثاني : توحيد الربوبية ، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

الثالث: توحيد الإلهية ، وهو استحقاقه -سبحانه- أن يُعبد وحده لا شريك له.

والتوحــيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن توحــيد الربوبــية ، وهو عبادة الله وحده لا شريك لــه ، فإن المشركين من العرب كــانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، وأن خالق السماوات والأرض واحد ، ولم يكونوا يعــتقدون في الأصــنام أنها مشاركة لله في خلق العالم ، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم ، باتخاذهم التماثيل شفعاء يتوسلون بهم إلى الله.[١]

٣- التوحيد الكامل :

لا يتحقق التوحيد الكامل إلا بأمرين :

أ- العلم اليقيني بأن الله وحده هو المعبود بحق ، فلا يعبد غيره سواء كان إنساناً أو حجراً أو شجراً أو هوىً أو أي شيء آخر.

ب- ألا يعبد الله إلا بما شرع .[٢]

---

(١) انظــر : شرح العقيدة الطحاوية /(ص٢١ – ٢٩) ، للإمام القاضي : علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، شعيب الأرنؤوط .

(٢) انظر: عقيدة المسلم وما يتصل بها /(ص ٢٢) ، تأليف: عبد الحميد السائح .

ثانياً : الإشراك بالله – سبحانه وتعالى – :

١– تعريف الشرك :

أ– تعريف الشرك في اللغة :

«الشرْكَةَ والشَّركة سواء : مخالطة الشريكين ، يقال : اشتركنا بمعنى تشاركنا».[١]

«والجمع أشراك وشركاءْ.

وأشرك بالله : كفر ، فهو مشرك ومُشركي».[٢]

وشـــركت فلانـــاً في الأمر شركاً و شَرْكَةً : كان لكل منهما نصيب منه ، فهو شريك.

ويقال أشرك بالله : جعل له شريكاً في ملكه.

والشَّرْكُ : النصيبُ واعتقاد تعدد الآلهة.[٣]

ب– تعريف الشرك في الاصطلاح :

أفضل ما عُرف به الشرك في الاصطلاح ، قول النبي –ﷺ– لما سُئل : أي الذنب أعظم عند الله ؟ ، فقال : (**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**).[٤]

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – رحمه الله – :« أن يجعل لله نداً ، أي : مثلاً في عبادته ، أو محبته ، أو خوفه ، أو رجائه ، أو إنابته ، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ».[٥]

---

(١) لسان العرب /(١٠/٤٤٨).

(٢) القاموس المحيط /(ص ٩٤٤).

(٣) انظر : المعجم الوسيط /(ص ٤٨٠).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله–تعالى–:﴿ ...فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ...﴾[البقرة:٢٢]، ح (٧٥٢٠) ، وأخـــرجه الإمـــام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب ، وبيان أعظمها بعده ، ح (١٤١) . انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٦٢٧ ، ٦٩٣).

(٥) مجمـــوع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية /(١/٩١) ، جمع وترتيب الشيخ : عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم ، وساعده ابنه : محمد .

٢- أنواع الشرك :

الشرك من أعظم مفسدات العقيدة ، وأشد الذنوب خطراً على العبد.

وهو على نوعين :

النوع الأول : شرك أكبر مخرج عن الملة ، وهو : كل شرك أطلقه الشارع ، وهو منافٍ للتوحيد منافاة مطلقة ، مثل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ؛ بأن يصلي لغير الله ، أو يذبح لغير الله ، أو ينذر لغير الله .

النوع الثاني : الشرك الأصغر ، وهو : كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة ، مثل الحلف بغير الله ، و الرياء.(١)

ثالثاً : الدعوة إلى توحيد الله ، والنهي عن الشرك ، في سورة الحج :

أعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة ، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، وهو دعوة غيره معه.(٢)

وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله به ؛ لأنه الأصل الذي يبنى عليه الدين كله ، ولهذا بدأ به النبي - ﷺ - في الدعوة إلى الله ، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به.

وكان الشرك أعظم ما نهى الله عنه ؛ لأن أعظم الحقوق هو حق الله-عز وجل-، فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق وهو توحيد الله عز وجل.(٣)

وغالب سور القرآن متضمنة للتوحيد ، بل كل سورة في القرآن ، فإن القرآن :

إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهذا هو التوحيد العلمي الخبري .

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، وهذا هو

---

(١) انظر : شرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة /(ص ١٤٧ ، ١٤٨) ، لفضيلة الشيخ : محمد ابن صالح العثيمين، إعداد الشيخ: فهد بن ناصر السليمان .

(٢) انظر: الأصول الثلاثة وأدلتها/(ص ٦) ، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، علّق عليها وصحح أصولها : محمد منير الدمشقي .

(٣) انظر: شرح ثلاثة الأصول /(ص ٤١) ، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد الشيخ : فهد ابن ناصر السليمان .

التوحيد الإرادي الطلبي .

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته ، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإمـــا خبر عن إكرامه لأهل توحيده ، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء توحيده .

وإمـــا خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.[(١)]

وجـــاءت الدعـــوة إلى الإيمان بالله وحده وترك عبادة ما سواه في سورة الحج في آيات عديدة وبطرق مختلفة ؛ وذلك إما في دعوةٍ صريحةٍ إلى الإيمان بالله وحده ونهي عن الإشراك به ، وإما بسوق الأدلة والبراهين العقلية على وحدانيته – سبحانه– ، أو بضرب الأمثلة على بطلان ألوهية غيره ، وذلك كما يلي :

١- تقرير ألوهية الله – سبحانه وتعالى – ، والأمر بالإسلام له :

أخـــبر الله– ســـبحانه وتعالى – بتفرده بالإلهية وأنه لا شريك لـــه ، وأمر عباده بالإسلام والانقياد له في قوله –تعالى–:﴿ ...فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ...﴾.[(٢)]

فقولـــه : ﴿ ...فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ...﴾ أي : لا شريك لـــه ، فإياه فاعبدوا ، ولـــه أخلصوا الألوهية .

وقولـــه :﴿... فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟...﴾ أي : فلإلهكم فاخضعوا بالطاعة ، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية.[(٣)]

وهذا أمر إلهي عظيم بعبادة الله وحده سبحانه.

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية /(ص ٤٢ ، ٤٣).

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٤).

(٣) انظـــر : جـــامع البـــيان عن تأويل آي القرآن /(١٦/٥٥٠) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي .

٢- الأمر باجتناب عبادة الأوثان :

في قولـــه -تعالى-:﴿... فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ...﴾[١] أمر باجتناب الشرك ، وترك عبادة ما سواه .

والوثن : الصنم ، وأصل الأوثان عند العرب كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحوها ، كانت العرب تنصبها وتعبدها .[٢]

والرجس : الشيء القذر ، وسماها رجساً : لأنها سبب الرجز وهو العذاب .

و ﴿ مِنَ ﴾ هـــنا لبيان الجنس ، أي اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس .[٣]

٣- تقرير بطلان ألوهية غير الله – تعالى -:

بـــيَّن الله أحقيـــته للعـــبادة ، وبطلان ألوهية غيره ، فقال –سبحانه وتعالى– : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾.[٤]

في هـــذه الآيـــة تقرير لتوحيد الألوهية ؛ فذلك الوصف بكمال القدرة والعلم ؛ ﴿...بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ... ﴾ الثابـــت في نفســـه الواجب لذاته وحده ، فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالمًا بذاته وبما عداه ، أو الثابت الإلهية ولا يصلح لها إلا من كان قادرًا عالماً ﴿...وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ...﴾ إلهاً ، ﴿... هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ ...﴾ المعدوم في حدِّ ذاته ، أو باطل الألوهية.[٥]

---

(١) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٢) انظر : لسان العرب /(٤٤٢/١٣ ، ٤٤٣).

(٣) انظـــر : الجامع لأحكام القرآن /(٣٧/١٢) ، تفسير القرآن العظيم /(٢٠٧/٣)، للإمام العلاّمة أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، راجعه ونقحه الشيخ: خالد بن محمد محرم .

(٤) سورة الحج ، الآية (٦٢).

(٥) انظر: أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل /(٩٥/٢)، لأبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي .

«﴿... وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ...﴾ على جميع الأشياء ، ﴿... ٱلْكَبِيرُ﴾ عن أن يكون لـــه شريك ، فلا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً ».[1]

ومـــا يدل -أيضاً- على بطلان ألوهية غير الله -تعالى- أن ما يُعبد من دون الله عاجز عن الخلق - وهذه أخص صفات الربوبية - ، كما أنها لا تملك نفعاً ولا ضراً .

قال -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾.[2]

٤- ذم من صرف شيئاً من العبادة لغير الله -تعالى - :

لقد ذم - سبحانه وتعالى - من صرف شيئاً من العبادة للأنداد والأصنام التي لا تنفع ولا تضر ، ووصفه بالضلال البعيد، حيث يقول : ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾.[3]

يقول العلاّمة ابن كثير[4]- رحمه الله - :« أي : من الأصنام والأنداد ، يستغيث بها ويستنصرها ، ويسترزقها ، وهي لا تنفعه ولا تضره ».[5]

وقوله -تعالى-: ﴿...ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ أي : المتجاوز الحد المعروف في

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم /(١١٧/٥) ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي .

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٣).

(٣) سورة الحج ، الآيتان (١٢ ، ١٣).

(٤) اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم البغدادي ، (٧٠٠-٧٧٤هـ) ، أبو الفداء ، حافظ ومؤرخ وفقيه ومفسر ومحدِّث ، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام ، ورحل في طلب العلم ، لـــه تصـــانيف كثيرة ، من أشهرها : «البداية والنهاية» ، و«تفسير القرآن العظيم». انظر: شذرات الذهب في أخـــبار مـــن ذهب /(٢٣١/٦ ، ٢٣٢) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/(٣٧٣ ، ٣٧٤) ، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ، الشهير بابن حجر العسقلاني ، تصحيح : د.سالم الكرنكوي.

(٥) تفسير القرآن العظيم /(١٩٩/٣). .

مدى الضلال ، أي : هو الضلال الذي لا يماثله ضلال لأنه يعبد ما لا غناء له.[1]

فهو ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ... ﴾ أي : يدعو ذلك المرتد عن التوحيد إلى الشـــرك من ضره يوم القيامة أقرب من نفعه ، حين يتبرأ منه ويحشر معه في جهنم ليكونا معاً وقوداً لها.[2]

ولهـــذا قال –تعالى-: ﴿...لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ...﴾ أي : بئس الناصر ، ﴿...وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ أي : الصاحب والمخالط وهو الوثن.[3]

٥- تأكيد عدم وجود أدلة وبراهين تسوغ الإشراك بالله :

المشـــركون في هـــذه العبادة التي تضر ولا تنفع ومع ما فيها من الضلال البعيد والهلاك المبين ليس لهم برهان يحتجون به لتمسكهم بها ، فقد قال –سبحانه وتعالى-: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾.[4]

قال الزمخشري[5]- رحمه الله -: « أي : ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ، ولا ألجأهم إليها علم ضروري ، ولا حملهم عليها دليل عقلي ».[6]

---

(١) انظر : التحرير والتنوير /(١٦/٢١٥).

(٢) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير /(٣/٤٥٨) ، لفضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري .

(٣) انظـــر: معـــالم التنـــزيل /(٣/٢٧٧) ، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي . تحقيق : خالد ابن عبدالرحمن العك ، مروان سوار .

(٤) سورة الحج ، الآية (٧١).

(٥) محمـــود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي ، أبو القاسم ، (٤٦٧-٥٣٨هـ) ، ولد في زمخشر (من قـــرى خـــوارزم) ، وكان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبديع ، كانت لـــه رحلة لبغداد وخراسان وغيرهمـــا ، جـــاور في مكة زمناً ، من أشهر كتبه : « الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » ، و « أساس البلاغة ». انظر : سير أعلام النبلاء /(٢٠/١٥١-١٥٦) ، طبقات المفسرين/ (ص١٢٠ ، ١٢١) ، الأعلام /(٧/١٧٨).

(٦) الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/(٣/٤٠)، لأبي القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي

لهذا وصفهم – سبحانه – بالظلم وتوعدهم بعذابه ، فقال: «﴿...وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ...﴾ بالإشراك ﴿... مِن نَّصِيرٍ﴾ ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله ».[1]

٦- الأمر بالحنيفية السمحة :

الحنيفية هي: « أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين ».[2]

وهي ملة إبراهيم – عليه السلام – ، وما يجب على الداعي أن يدعو إليها .

يقول – سبحانه وتعالى – : ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾.[3]

في هذه الآية يبين –سبحانه وتعالى– أهمية اتباع الحنيفية السمحة في حياة العبد ، وتأثيرها في استقراره ومعيشته.

يقـــول الإمام القرطبي[4] –رحمه الله –:«﴿... حُنَفَآءَ لِلَّهِ ..﴾ معناه مستقيمين ، أو مســـلمين مائلين إلى الحق ، ولفظة : ﴿... حُنَفَآءَ ... ﴾ من الأضداد تقع على الاستقامة وتقع على الميل ».[5]

وقولـــه : ﴿...غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ ...﴾ يعني أن الحنيفية السمحة إنما تتم بترك الشرك ، ومن أشرك بالله لا يكون حنيفاً.[6]

فمن أشرك ﴿...فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ...﴾ أي: سقط منها ، ﴿...فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ...﴾ بسرعة ﴿...أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ أي : بعيد ، وكذلك حال المشرك ،

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن /(٨٢/٩) ، لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ، عناية وتقديم ومراجعة : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

(٢) الأصول الثلاثة وأدلتها/(ص٦).

(٣) سورة الحج ، الآية (٣١).

(٤) تقدمت ترجمته في (ص٢٤) من هذه الرسالة.

(٥) الجامع لأحكام القرآن /(٣٨/١٢).

(٦) انظر: تفسير القرآن /(٤٣٧/٣) ، لأبي المظفر السمعاني ، تحقيق : أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم .

فالإيمان بمنـــزلة السماء محفوظة مرفوعة ، ومن ترك الإيمان ، فإنه بمنـــزلة الساقط من السـماء ، عرضـة للآفات والبليات، فإما أن تخطَّفه الطير فتقطعه أعضاء ، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب ، وفرقوه ، وأذهبوا عليه دينه ودنياه.(١)

ويجـب أن تكـون الحنيفية أول موضوع يدعو إليه الداعي في دعوته ، فإنه لا صلاح لأمر العبد إلا بصلاح إيمانه بربه ، وهو ما يجب الاهتمام به لما له من أثر عميق في حياة الفرد والمجتمع ، فإن التوحيد الخالص لله –سبحانه وتعالى- يمنح العبد راحة وطمأنيـنة وأمناً واستقراراً ، لأنه يعبد إلهاً واحداً ، يذكره في الرخاء ويفزع إليه في الشدة ، يذنب فيستغفر ربه فيغفر له ، يرجو ثوابه ويخشى عقابه ، يدفعه إيمانه به إلى طاعته للفوز برضاه ، وهو في هذا واحد في مجتمع لا يصلح إلا بصلاحه ، فالمجتمعات المؤمنة هي أسعد المجتمعات حالاً ، وأكثرها استقراراً ، بخلاف المجتمعات ذات العقائد الفاسدة التي تنتشر فيها الخرافات والأفكار الباطلة، ويعيش الفرد فيها في حيرة وتخبط، ويعـاني من التأخر والتعثر ؛ لهذا فنعمة التوحيد من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده ، وينبغي للعبد أن يحمده عليها –سبحانه وتعالى-.

---

(١) انظـر : تيسـير الكـريم الرحمن في تفسير كلام المنّان/(ص ٥٣٨)، للإمام العلاّمة : عبدالرحمن ابن ناصر السعدي ، تحقيق : د.عبدالرحمن بن معلا اللويحق .

المطلب الثاني : الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر .

أولاً: المقصود بالإيمان باليوم الآخر :

«هـــو أن تصدق بكل ما بعد الموت من عذاب في القبر ونعيمه ، وبالبعث بعد ذلك ، والحساب والميزان ، والثواب والعقاب ، وبالجنَّة والنار ، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة».[1]

والـــيوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء ، وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.[2]

ثانياً : حكم الإيمان باليوم الآخر:

حكم الإيمان باليوم الآخر فريضة واجبة ، وهو أحد أركان الإيمان الستة.[3]

ففي حديث عمر بن الخطاب- ﷺ- لما سأل جبريل - عليه السلام- النبي -ﷺ- عن الإيمـــان قـــال: (**أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**).[4]

ثالثاً : الإيمان باليوم الآخر في سورة الحج :

يتضمن الإيمان باليوم الآخر ثلاثة أمور ، جاءت في سورة الحج كما يلي:

الأول : الإيمان بالبعث :

وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية ، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين ، عراة غير مستترين ، غرلاً غير مختتنين.

والبعث : حق ثابت دلَّ عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين.[5]

قال – سبحانه وتعالى- :﴿... وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد /(ص ٢٩٠).

(٢) انظر : شرح ثلاثة الأصول /(ص ١٠٠).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية /(ص ٤٧٢) ، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد الشيخ: فهد ابن ناصر السليمان .

(٤) هذا الحديث سبق تخريجه في (ص٣٢) من هذه الرسالة.

(٥) انظر : شرح ثلاثة الأصول /(ص ١٠٠).

ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾.[1]

يقول الإمام الخازن[2]-رحمه الله- في تفسير هذه الآية :« أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لاشك فيها ، وأنها حق ، وأن البعث بعد الموت حق ».[3]

وقال - تعالى- : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾.[4]

قال العلاّمة ابن كثير[5]-رحمه الله- :« ذكر -تعالى- الدليل على قدرته-تعالى- على المعاد بما يُشاهد من بدئه للخلق ».[6]

ومن السُّنة ما روته عائشة -رضي الله عنها -عن النبي -ﷺ- أنه قال: (**تحشرون حفاة عراة غُرْلاً** [7]).[8]

---

(١) سورة الحج ، الآية (٧) .

(٢) علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ علاء الدين ، المعروف بالخازن ، (٦٧٨-٧٤١هـ) ، عالم بالتفسير والحديث ، من فقهاء الشافعية ، ولد ببغداد ، وسكن دمشق مدة ، وكان خازن الكتب بالمدرسة فيها ، له تصانيف ، منها : «لباب التأويل في معاني التنزيل» في التفسير ، «مقبول المنقول» في الحديث. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب /(١٣١/٦) ، الأعلام /(٥/٥).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل/(٢٨٢/٣) ، للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن .

(٤) سورة الحج ، الآية (٥).

(٥) تقدمت ترجمته في (ص٤٧) من هذه الرسالة.

(٦) تفسير القرآن العظيم /(١٩٥/٣).

(٧) غُرْلاً : جمع أغْرَل ، وهو الأقْلَف ؛ أي : غير مختونين. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر/(ص٦٦٩).

(٨) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق ، باب الحشر ، ح (٦٥٢٧) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، ح (٥٦). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص ٥٤٧ ، ١١٧٤).

وقد أجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله -تعالى- لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله.(1)

قال -تعالى- : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ... ﴾.(2)

وفيه يفصل الله – تعالى – بين المختلفين من خليقته ، قال – سبحانه وتعالى – : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾.(3)

وقال -تعالى-:﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.(4)

والإيمان بالبعث من القضايا المهمة التي ينبغي للداعي إلى الله أن يغرسها في نفوس المدعوين ، فيحرص على تأكيد الإيمان بالحياة بعد الموت ، وما يشتمل عليه من أمور ينبغي للعبد ألا يغفل عنها.

الثاني : الإيمان بالحساب والجزاء :

وهو أن الله- سبحانه وتعالى – يحاسب العبد على عمله ، ويجازيه عليه .

وقد دل على ذلك الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين.(5)

قال -تعالى-:﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾.(6)

فيقال للعبد إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة : هذا العذاب الذي نذيقكه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام ، واكتسبته فيها من الإجرام ؛ لأن الله ليس بظلام للعبيد ، فيعاقب بعض عبيده على جرم ، وهو يعفو مثله عن آخر غيره ، أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب فيعاقبه به ويعفو عن صاحب الذنب ، ولكنه لا

(1) انظر : شرح ثلاثة الأصول /(ص ١٠٠).

(2) سورة الحج ، الآية (٤٧).

(3) سورة الحج ، الآية (١٧).

(4) سورة الحج ، الآية (٦٩)

(5) انظر : شرح ثلاثة الأصول /(ص ١٠١).

(6) سورة الحج ، الآية (١٠).

يعاقب أحداً إلا على جرمه ، ولا يعذب أحداً على ذنب يغفر مثله لآخر إلا بسبب استحق به منه مغفرته .[1]

وقال-سبحانه وتعالى -: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.[2]

ومن السُّنة ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – ، عن النبي -ﷺ- ، فيما يرويه عن ربه – عز وجل – قال : (**إن الله –عز وجل– كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن همَّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة**).[3]

« وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة ، فإن الله –تعالى– أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به ، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحلَّ دماءهم، وذرياتهم ، ونساءهم ، وأموالهم ، فلو لم يكن حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه».[4]

قال –سبحانه و تعالى– :﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾.[5]

وقال –سبحانه– : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن /(١٦/٤٧١،٤٧٢).

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٤٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق ، باب من همَّ بحسنة أو سيئة ، ح (٦٤٩١) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت ، وإذا همَّ بسيئة لم تكتب ، ح (٢٠٧). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص ٥٤٤ ، ٧٠٠).

(٤) شرح ثلاثة الأصول /(ص ١٠٢).

(٥) سورة المؤمنون ، الآية (١١٥).

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾.[1]

والإيمـــان بالحساب والجزاء ضروري في تأصيل معاني العقيدة في نفس المدعو ، كما أن إيمان المدعو واعتقاده الجازم بأن الله –سبحانه- سيحاسبه على أفعاله يحجزه عن التمادي في ارتكاب المعاصي ، و يدعوه إلى مراجعة نفسه ومحاسبتها دائماً.

الثالث : الإيمان بالجنة والنار:

وأنهمـــا المـــآل الأبدي للخلق، وجزاؤهم على ما قدموه في دنياهم ، فالجنة دار النعـــيم الـــتي أعدَّها الله -تعالى- للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله.[2]

قال –سبحانه وتعالى- :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.[3]

والـــنار دار العذاب التي أعدَّها الله -تعالى- للكافرين المكذبين بآياته ، المعرضين عما جاء به الرسل من الحق المبين ، وفيها من العذاب والنكال ما تقشعر له الأبدان.

قال -تعالى- : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾.[4]

وقال –تعالى- : ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾.[5]

والإيمان بالجنّة والنار بأنهما جزاء الأعمال من القضايا التي تعتمد على محوري

(١) سورة الأعراف ، الآيتان (٦ ، ٧).

(٢) شرح ثلاثة الأصول /(ص ١٠٢).

(٣) سورة الحج ، الآية (٢٣)

(٤) سورة الحج ، الآيات (١٩- ٢٢) .

(٥) سورة الحج ، الآية (٥١).

الطمــع والخوف ، فالنفس البشرية تتقلب بين أمر ترجوه ، وآخر تخشاه ، وتأصيل هذه العقيدة في نفس المدعو إلى الله من الأمور التي ينبغي للداعي إلى الله أن يراعيها.

رابعاً : من ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة ، منها :

١- الرغبة في فعل الطاعة ، والحرص عليها ، رجاء ثواب ذلك اليوم.

٢- الرهبة عند فعل المعصية وعدم الرضى بها ، خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

٣- تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من ثواب الآخرة ونعيمها.

٤- استدامة المراقبة ، واستحضار اليوم الذي ينصب فيه ميزان العدل وتنشر فيه صحف الأعمال.

٥- التوازن بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، فلا يركن العبد إلى الدنيا ومغرياتها ولا يزهد فيها فيقعده ذلك عن العمل ، بل يبقى وسطاً كما قال -تعالى- : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.[1]

٦- تعمــيق الإيمان بعدل الله ؛ لأن المؤمن باليوم الآخر يعتقد أن هذه الدنيا دار ممر ، لا دار جزاء ومستقر ، وتعتريها النقائص والمنغصات ، أما الدار الآخرة فهي دار الجزاء العادل ، والقسطاس المستقيم ، يقيمه الإله العدل-سبحانه-، الذي لا يظلم أبداً ، ولا يجور حكمه على أحد.[2]

هــذا فــيما يتعلق بالدعوة إلى الله في مجال العقيدة في سورة الحج ، والتي ينبغي للداعــي إلى الله أن يــبدأ في تأصيلها في نفس المدعو إلى الله ، قبل أن يدعوه لقضايا الشريعة الإسلامية.

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٠١) .

(٢) انظر : شرح ثلاثة الأصول /(ص ١٠٥) ، العقيدة الإسلامية /(ص٤٥٦ – ٤٥٨) ، د.مصطفى بن سعيد الخن ، محيى الدين ديب مستو .

المبحث الثاني : الدعوة إلى الله في مجال الشريعة .

توطئة :

جـاءت الدعـوة إلى الشريعة الإسلامية في سورة الحج مجملة ومفصلة ، فأجمل -سبحانه وتعالى- الدعوة إليها في قولـه :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾.[1]

قـال أبـو حيَّان[2]- رحمه الله - في تفسير الآية : « يظهر في هذا الترتيب أنهم أمروا أولاً بالصلاة وهو نوع من العبادة ، وثانياً : بالعبادة وهي نوع من فعل الخير ، وثالثاً: بفعل الخير وهو أعم من العبادة ، فبدأ بخاص ، ثم بعام ، ثم بأعم ».[3]

أما ما أمر به تفصيلاً فالدعوة إلى القيام بواجبات التمكين في الأرض .

قال -تعالى- :﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾.[4]

والدعوة إلى أداء فريضة الحج ، قال -تعالى- : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾.[5]

والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، قال -تعالى-:﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ.. ﴾.[6]

وقـال - سبحانه وتعالى- :﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.[7]

وفيما يلي تفصيل ذلك.

---

(١) سورة الحج ، الآية (٧٧).

(٢) محمـد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي الأندلسي ، (٦٥٤-٧٤٥هـ) ، أبو حيان ، من كبار العلماء بالعربية و التفسير والحديث والتراجم واللغات ، ولد في إحدى جهات غرناطة ، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة بعد أن كف بصره ،من أشهر كتبه:« البحر المحيط»في تفسير القرآن،و«مجاني العصر »في تراجم رجال عصره. انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب /(١٤٥/٦ ، ١٤٧) ، الأعلام /(١٥٢/٧).

(٣) البحر المحيط /(٣٦٠/٦) ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الشيخ : عادل بن أحمد عبدالموجود ، وآخرون .

(٤) سورة الحج ، الآية (٤١) .

(٥) سورة الحج ، الآية (٢٧).

(٦) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٧) سورة الحج ، الآية (٣٩) .

المطلب الأول: الدعوة إلى القيام بواجبات التمكين في الأرض.

قال -تعالى- : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾.[1]

«يـراد بالتمكين التوثيق ، وأصله إقرار الشيء في مكان . وهو في الآية مستعمل في التسليط والتمليك ».[2]

ذكر بعض العلماء أن في هذه الآية بياناً لصفة المهاجرين والخلفاء الراشدين ، قال الإمـام أبـو بكر الجصاص[3] - رحمه الله - : «هذه صفة الذين أُذن لهم في القتال بقولـه -تعالى- : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ... ﴾ - إلى قوله - ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ... ﴾ - إلى قولـه - ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ... ﴾،[4] وهـذه صـفة المهاجرين ؛ لأنهم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، فأخبر -تعالى- أنه إن مكّنهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، وهو صفة الخلفاء الراشدين الذين مكّنهم الله في الأرض ، وهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان، وعلي -رضي الله عنهم- ، وفيه الدلالة الواضحة على صحة إمامتهم ؛ لإخبار الله -تعالى- بأنهم إذا مُكّـنوا في الأرض قـاموا بفروض الله عليهم ، وقد مُكّنوا في الأرض فوجب أن

(١) سورة الحج ، الآية (٤١) .

(٢) التحرير والتنوير /(١٦/٢٨٠)

(٣) أحمـد بن علي الرازي الحنفيّ ، (٣٠٥-٣٧٠هـ) ، أبو بكر الجصاص ، الإمام العلاّمة ، المفتي المجتهد ، سكن بغداد ومات فيها ، كان صاحب علم ورحلة ، وكان مع براعته في العلم ذا زهد وتعبد ، عُرض عليه قضاء القضاة فامتنع منه ، من كتبه :« أحكام القرآن ». انظر : سير أعلام النبلاء /(١٦/٣٤٠ ، ٣٤١) ، الأعلام /(١/١٧١).

(٤) سورة الحج ، الآيات (٣٩ - ٤٠) .

يكونوا أئمة القائمين بأوامر الله ، منتهين عن زواجره ونواهيه».[1]

إلا أن القرطبي[2] – رحمه الله – نقل عن الضحاك[3] في تفسير هذه الآية قوله : « هو شرط شرطه الله – عز وجل – على من آتاه الملك ».[4]

فتكون واجبات التمكين على هذا مقصورة على أولي الأمر .

لكن الصحيح أن هذه الواجبات تجب على المسلمين عامة ، فقد ذكر العلاّمة ابن كثير[5]– رحمه الله– عن عمر بن عبد العزيز[6]– رحمه الله – أنه خطب الناس ، فقال :﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ الآية ، قال :« ألا إنها ليست على الوالي وحده ، ولكنها على الوالي والمولى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلك ، وبما للوالي عليكم منه ؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة،[7] ولا المستكره بها ، ولا المخالف سرها علانيتها».[8]

ويبين ذلك – أيضاً – أن الشيخ ابن عاشور[9]– رحمه الله – ذكر أن قوله –تعالى– :﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ الآية ، يجوز أن يكون بدلاً من ﴿ مَن ﴾

---

(١) أحكام القرآن /(٥/٨٣) ، لحجة الإسلام الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصَّاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٢٤) من هذه الرسالة.

(٣) تقدمت ترجمته في (ص٢٣) من هذه الرسالة.

(٤) الجامع لأحكام القرآن /(١٢/٤٩).

(٥) تقدمت ترجمته في (ص٤٧) من هذه الرسالة.

(٦) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، (٦٣-١٠١هـ) ، الخليفة الزاهد ، كان ثقة مأموناً ، له فقه وعلم وورع ، وكان إمام عدل ، جيد السياسة ، فصيحاً مفوهاً ، دامت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأياماً. انظر : سير أعلام النبلاء /(٥/١١٤-١٤٨).

(٧) بزه يبزه بزاً : غلبه وغصبه ، وبز الشيء يبزهُ بزاً : انتزعه . لسان العرب /(٥/٣١٢).

(٨) تفسير القرآن العظيم /(٣/٢١٤)

(٩) تقدمت ترجمته في (ص٢٤) من هذه الرسالة.

الموصـــولة في قوله :﴿..وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ..﴾ ، فيكون المراد : كل من نصر الدين من أجيال المسلمين .[1]

ونصـــر الديـــن يمكـــن أن يـــأتي من عامة المسلمين ؛ بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك .

ثم قال : « والكلام مسوق للتنبيه على الشكر على نعمة النصر بأن يأتوا بما أمر الله به من أصول الإسلام ، فإن بذلك دوام نصرهم وانتظام عقد جماعتهم ، والسلامة مـــن اختلال أمرهم ، فإن حادوا عن ذلك فقد فرطوا في ضمان نصرهم وأمرهم إلى الله، فأما إقامة الصلاة فلدلالتها على القيام بالدين ، وتجديدٌ لمفعوله في النفوس ، وأما إيـــتاء الزكاة فهو ليكون أفراد الأمة متقاربين في نظام معاشهم ، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلتنفيذ قوانين الإسلام بين سائر الأمة من تلقاء أنفسهم ».[2]

فواجبات التمكين هي:

١- إقامـــة الصـــلاة في أوقاتها ، وحدودها ، وأركانها ، وشروطها ، في الجمعة والجماعات .

٢- إيـــتاء الـــزكاة التي على الولاة خصوصاً ، وعلى رعيتهم عموماً ، يؤتونها أهلها، الذين هم أهلها .

٣- الأمر بالمعروف ، وهذا يشمل كل معروف حُسنه شرعاً وعقلاً من حقوق الله والآدمـــيين ، و النهي عن المنكر، وهو كل منكر شرعاً وعقلاً معروف قبحه.[3]

ولأهمية هذه الواجبات وضرورة القيام بها سأفصل الحديث عنها فيما يلي.

(١) انظر : التحرير والتنوير /(١٦/ ٢٨٠) .

(٢) التحرير والتنوير /(١٦/ ٢٨٠) .

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان /(ص٥٤٠).

الواجب الأول : إقامة الصلاة :

أولاً : تعريف الصلاة :

أ- تعريف الصلاة في اللغة :

الصلاة: الركوع والسجود ، والجمع: صلوات ، والصلاة : الدعاء والاستغفار ، قال -تعالى- :﴿ ... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ... ﴾.(١)

وبه سميت الصلاة ؛ لما فيها من الدعاء والاستغفار .

والصلاة من الله رحمة ، ومن المخلوقين الملائكة والإنس والجن : القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح .

والأصل في الصلاة اللزوم . والصلاة من أعظم الفرض الذي أُمِرَ بلزومه. (٢)

وقيل هي: « العبادة المخصوصة المبينة حدود أوقاتها في الشريعة».(٣)

«والصلوات : كنائس اليهود ، وأصله بالعبرانية : صلوتا ».(٤)

قال -تعالى-:﴿ ...وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ...﴾.(٥)

وهذه مواضع إقامة العبادات ، فالصوامع لرهبان النصارى ، وعُبّاد الصابئين ، والبيع كنائس النصارى ، والصلوات كنائس اليهود ، والمساجد للمسلمين .(٦)

ب- تعريف الصلاة في الاصطلاح :

«التعبد لله -تعالى- بأقوال وأفعال معلومة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم».(٧)

---

(١) سورة التوبة ، الآية (١٠٣).

(٢) انظر : لسان العرب /(١٤/٤٦٤ ، ٤٦٥).

(٣) المعجم الوسيط /(ص٥٢٢).

(٤) القاموس المحيط /(ص١٣٠٤).

(٥) سورة الحج ، الآية (٤٠).

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن /(١٢/٤٨) .

(٧) الشرح الممتع على زاد المستقنع /(٢/٥).

ثانياً: حكم إقامة الصلاة :

جاء الأمر بإقامة الصلاة على الوجوب ، قال -تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾.[1]

وقال -تعالى-:﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾.[2]

كما جعلها من صفات عباده المخبتين ، حيث يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ ...وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.[3]

وهي الركن الثاني من أركان الإسلام فعن ابن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله - ﷺ -: (**بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان**).[4]

ثالثاً: الصلاة في الشرائع السماوية السابقة :

لقد كانت الصلاة مشروعة في كل الملل السابقة ، قال -تعالى- : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾.[5]

وهذا في معرض حديثه عن إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب – عليهم الصلاة والسلام-.

وقال -سبحانه- : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾.[6]

---

(١) سورة النساء ، الآية (١٠٣).

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٣) سورة الحج ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ، باب بني الإسلام على خمس ، ح (٨) ، والإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، ح (٢١) . انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٢ ، ٦٨٣).

(٥) سورة الأنبياء ، الآية (٧٣).

(٦) سورة مريم ، الآيتان (٥٤ ، ٥٥).

ولكنها كانت مختلفة عن صلاتنا ، فقد سُئل شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: هـــل كانت الصلاة على من قبلنا من الأمم مثل ما هي علينا من الوجوب والأوقات والأفعال والهيئات ، أم لا ؟

فأجــاب – رحمه الله – : «كانت لهم صلاة في هذه الأوقات ، لكن ليست مماثلة لصلاتنا في الأوقات والهيئات ، وغيرهما . والله أعلم ».[1]

رابعاً: منزلة فريضة الصلاة في الإسلام:

فرض الله – سبحانه وتعالى – الصلاة على هذه الأمة على رسوله محمد – ﷺ- لــيلة عُرج به بدون واسطة ، يقول – عليه الصلاة والسلام – في حديث الإسراء : (... **ثم عُــرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ، ففرض الله على أمتي خمسين صلاة** ...)،[2] فما زال -ﷺ- يراجع ربه – سبحانه – حتى خففها إلى خمس صلوات .

وقد أخَّر الله -تعالى- فريضتها إلى تلك الليلة إشادة بها ، وبيانًا لأهميتها لأنها :

أولاً : فُرضَت من الله – عز وجل – إلى رسوله بدون واسطة .

ثانياً : فرضت في ليلة هي أفضل الليالي لرسول الله -ﷺ-.

ثالثاً : فرضت في أعلى مكان يصل إليه البشر .

رابعاً : فرضت خمسين صلاة ، وهذا يدل على محبة الله لها ، وعنايته بها -سبحانه وتعــالى- ، ولكن خففت فجعلت خمساً بالفعل ، وخمسين في الميزان ، فمن صلاها فكأنما صلى خمسين صلاة.

وهــذا فضــل عظيم من الله – عز وجل – بالنسبة لهذه الأمة ، ولا نجد عبادة

---

(١) فقه الصلاة وأحكامها /(ص١١) ، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تهذيب وضبط وتعليق: السيد الجميلي.

(٢) أخــرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ، ح (٣٤٩) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله-ﷺ- إلى السماوات وفرض الصلاة ، ح (٢٥٩). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٣٠ ، ٧٠٥).

فرضـــت يومياً في جميع العمر إلا الصلاة ، فالزكاة حولية ، والصيام حولي ، والحج عمري .[1]

كمـــا إنها أولى واجبات من مُكّن لـــه في الأرض ، قال -تعالى- : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾.[2]

فكـــان المسجد الذي تؤدى فيه هو أول ثمار تمكين الله للمسلمين في الأرض ، ومنه بدأ تاريخهم الحضاري ، فبعد أن مكّن الله للإسلام والمسلمين بهجرة النبي -ﷺ- إلى المديـــنة ، واتخاذه منها قاعدة لبناء دولة الإسلام وحضارته، كان أول عمل قام به الرسول -ﷺ- هو بناء مسجد قُباء ليكون دليلاً عملياً على الالتزام بإقامة الصلاة بعد توحيد الخالق ، وعزماً على تنفيذ ما ألزمهم به ربهم .[3]

والصلاة هي أول ما يجب على الداعي أن يدعو إليها بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأول ما يجب على العبد بعد دخوله الإسلام ، فعن ابن عباس -رضـــي الله عنهما - أن النبي - ﷺ- بعث معاذاً - رضي الله عنه- إلى اليمن ، فقال :(**إنك ســـتأتي قومـــاً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ،...**).[4]

كما أن تركها يُخرج العبد من الإسلام ويدخله في دائرة الكفر ؛ فعن جابر ابن عبدالله - رضي الله عنه- أن رسول الله - ﷺ -قال : (**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك**

---

(١) انظر : الشرح الممتع على زاد المستقنع /(٢/ ٦ ، ٧).

(٢) سورة الحج ، الآية (٤١).

(٣) انظر : الصلاة /(ص٣٣٧) ، تأليف الأستاذ الدكتور : عبدالله بن محمد الطيار .

(٤) سبق تخريج هذا الحديث في (ص٤٠) من هذه الرسالة .

الصلاة).[1]

خامساً : أثر إقامة الصلاة على العبد :

لإقامة الصلاة أثر عظيم على العبد ، لا تتركه أي عبادة أخرى فهي عماد الدين ، ومفتاح كل خير ، تعطي القلب أُنساً وسعادة ، وتعطي الروح بشراً وطمأنينة ، وتعطي الجسد نشاطاً وحيوية ، وهي تربي النفس على طاعة الخالق ، وتعلم العبد آداب العبودية ، وواجبات الربوبية ، بما تغرسه في قلب صاحبها من قدرة الله وعظمته، وبطشه وشدته ، ورحمته ومغفرته ، كما تحليه وتجمله بمكارم الأخلاق ، لسموه بنفسه عن صفات الخِسّة والدناءة ؛ فإذا بحثت عن أثر الصلاة فيه وجدته صادقاً أميناً قانعاً وفياً حليماً متواضعاً عدلاً ، ينأى عن الكذب والخيانة والطمع ، والغدر والغضب والكبر والظلم .[2]

كما أنها تربي في نفس المصلي الشعور بالوحدة العامة بين المسلمين في أنحاء العالم الذين يتجهون في صلاتهم إلى مكان واحد هو بيت الله الحرام ، وتنمي الشعور بالوحدة والتعارف والتكافل كذلك بين المسلمين في الحي الواحد وهم يجتمعون في المسجد كل صلاة .

والمصلي الذي يتحرى دائماً وقت الصلاة ، ويحرص على أدائها في وقتها ، يتعود على الدقة في مواعيده ، والحرص على وقته ، كما أن انتظام المصلين خلف الإمام يعودهم على التلاحم والنظام ، وفي اتباعهم للإمام وعدم مسابقته تدريب على الطاعة والالتزام ، وتصويبهم للإمام تعويد على النصح عند الخطأ والنسيان ، ووقوفهم في صفوف الصلاة بلا تميز يولد في النفوس معنى المساواة والألفة وعدم التعالي .[3]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، ح (١٣٤). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ (ص٦٩٢).

(٢) انظر : الصلاة /(ص٢٤ ، ٢٥) .

(٣) انظر: من فقه الدعوة /(١٤٦/٢ ، ١٤٧) ، تأليف الأستاذ : مصطفى مشهور .

الواجب الثاني : إيتاء الزكاة :

أولاً: تعريف الزكاة :

أ- تعريف الزكاة في اللغة :

أصل الزكاة في اللغة : الطهارة والنَّماء والبركة والمدح ، وكل هذه الألفاظ استعملت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .[1]

وهي من الفعل زكا .

وزكا الشيء زُكُواً وزَكاءً وزَكاةً : نما وزاد .

وزكا فلان : صلح وتنعم .[2]

«وزكّى الرجل نفسه : إذا وصفها ، وأثنى عليها ».[3]

«والزكاة : صفوة الشيء ، وما أخرجته من مالك لتطهره به».[4]

ب- تعريف الزكاة في الاصطلاح:

«اسم لإخراج شيء مخصوص ، من مال مخصوص ، على وجه مخصوص ».[5]

ثانياً: حكم إيتاء الزكاة :

الزكاة فريضة واجبة على المسلم ، إذا توفرت شروطها ، وركن من أركان الإسلام ، وهي حق واجب في المال ، أوجبها الله تطهيراً ونماءً لمال المسلم ، يدفعه الغني للفقير حقاً له بلا غضاضة.

فقد جاءت النصوص الشرعية في الكتاب والسنة تأمر بها ، قال الله -تعالى- :

---

(١) انظر: لسان العرب /(١٤/٣٥٨).

(٢) انظر: المعجم الوسيط /(ص٣٩٦).

(٣) لسان العرب /(١٤/٣٥٨).

(٤) القاموس المحيط /(ص١٢٩٢) .

(٥) شرح الزركشي على مختصر الخرقي في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل /(٢/٣٧٢) ، للشيخ شمس الدين محمد بن عبدالله الزركشي الحنبلي ، تحقيق وتخريج فضيلة الشيخ : عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين.

﴿...وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾.[1]

وهـي ثـاني واجبات من مُكّن لـه في الأرض ، قال -تعالى- : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾.[2]

وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: **(بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان)**.[3]

واتفـق الصحابة -رضي الله عنهم- على قتال مانعيها ، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : « لما توفى رسول الله -ﷺ- وكان أبو بكر -رضي الله عنه- وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر-رضي الله عنه- : فكيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله -ﷺ-: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني مالـه ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله)** ، فقال : والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، والله! لو منعوني عناقاً[4] كانوا يؤدونها إلى رسول الله -ﷺ- لقاتلتهم على منعها . قـال عمر -رضي الله عنه-: فوالله ! ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر-رضي الله عنه- فعرفت أنه الحق ».[5]

فـإذا وجبـت الزكاة في المال وجب إخراجها إلى مصارفها الثمانية التي ذكرها المولى -جل شأنه- في قولـه :﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا

(١) سورة الحج ، الآية (٧٨).

(٢) سورة الحج ، الآية (٤١).

(٣) سبق تخريج هذا الحديث في (ص٦٢) من هذه الرسالة .

(٤) العناق :« الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة ». النهاية في غريب الحديث والأثر /(ص٦٤٦) .

(٥) أخـرجه الإمام البخاري في كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، ح (١٣٩٩ ،١٤٠٠) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ...، ح(٣٢) ، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص١١٠ ، ٦٨٤).

وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.[1]

وقد أوجب الإسلام الزكاة مرة كل عام ، ماعدا الثمار والزروع فموعد زكاها تمام نموها ، وهذا أعدل الأداء ، فإن وجوب الزكاة كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر يضر برأس المال ، ولا يدفعها الدافع عن سماح وتراض ، كما أن وجوبها مرة واحدة في العمر يضر بمن وجبت لهم الزكاة من المساكين فليس أعدل من مواعيد الزكاة.[2]

ثالثاً: الزكاة والفقر :

للزكاة أهمية كبرى في الشريعة الإسلامية لمعالجته الفقر ، فقد عرف الإنسان الفقر والحرمان منذ زمن قديم ، ولم يستطع الداعون – لمعالجة ذلك – في مختلف العصور انتشال الفقراء من وضعهم السيء ، كما أهم لم يفلحوا في كسب عطف الأغنياء وبذلهم على الفقراء ، وإذا تتبعنا الشرائع السماوية قبل الإسلام وجدناها دعت فيما دعت إليه إلى البر بالفقراء والضعفاء ، والإحسان إليهم ، والأخذ بأيديهم، وقد أفاض القرآن الكريم في إيضاح هذا الخلق السامي في دعوة كثير من الأنبياء السابقين ، قال -تعالى-: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾.[3]

وقال -تعالى- في أهل الكتاب عموماً : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٦٠).

(٢) انظر: فريضة الزكاة /(ص٩٣) ، تأليف : عبدالرزاق نوفل .

(٣) سورة المائدة ، الآية (١٢) .

حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾.[1]

ولكن هذه الدعوة إلى إيتاء الزكاة في هذه النصوص لا تعدو أن تكون ترغيباً في الإحسان والعطف ، وترهيباً من الأنانية والبخل ، ودعوة صريحة إلى التصدق عن طواعية واختيار ، ولا يفهم من هذه النصوص الإيجاب والإلزام ، كما أنها وكلت موضوع الزكاة إلى الأفراد ، ولم تُلزم الدولة بجبايتها وتوزيعها على مستحقيها ، ولم تحدد الأموال التي تزكى ولا شروط الزكاة ولا من تدفع له ؛ بل أبهمت ذلك كله ، الأمر الذي يتعذر معه جبايتها وتوزيعها ، ومن ثم لا تعد حلاً جذرياً للفقر ؛ بل يفهم منها التخفيف من ويلات الفقراء والتقليل من بؤسهم مع بقاء أصل المشكلة.[2]

يقول الدكتور يوسف القرضاوي :« وبهذا نقول إن الفقراء والضعفاء كانوا تحت رحمة الأغنياء ومنَّتهم ، إذا حركهم حب الله والآخرة ، أو حب الثناء والمروءة جادوا بشيء -لو قليلاً- على ذوي الضعف والحاجة والفقر ، فهم أصحاب الفضل والمنَّة ، وإذا غلب عليهم حب المال وحب الذات ، ضاع الفقراء وافترستهم مخالب الفاقة ، ولم يجدوا من يدافع عنهم ، أو يطلب لهم حقاً ، إذ لم يكن لهم حق معلوم ، وهذا هو خطر الإحسان الموكول إلى الأفراد».[3]

فلما جاء الإسلام أوجب الله الزكاة على عباده ، وحدد نصابها ومصارفها ، وألزم الأغنياء إذا توافرت شروطها إخراجها إلى الفقراء في وقتها المعلوم ، فريضة من الله ، ولذلك كان لها أثر كبير في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: من آثار إيتاء الزكاة على الفرد والمجتمع :

يترك إيتاء الزكاة آثاراً عظيمة في حياة الفرد والمجتمع ، ومن ذلك :

١- تحقيق العبودية لله – تعالى- ؛ وذلك أن الزكاة عبادة مالية تأتي استجابة

---

(١) سورة البينة ، الآية (٥) .

(٢) انظر : الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة /(ص١٤- ١٦) ، أ. د. عبدالله بن محمد الطيار.

(٣) فقه الزكاة /(٥٢/١) ، د. يوسف القرضاوي.

لأمر الله ووفاء لعهده .

٢- في الزكاة تطهير لنفس المعطي من البخل والشح والطمع ، وتربية لنفسه على الجود والبذل والعطاء ، وفيها كذلك تطهير لنفس الآخذ من الحقد والحسد .

٣- إعانة الضعفاء ، وكفاية أصحاب الحاجة .

٤- تنمية الروح الاجتماعية بين الأفراد ، فيشعر المسلم بعضويته في الجماعة المسلمة ، فهو يشارك في الواجبات وينهض بأعباء المجتمع .

٥- الزكاة تكفر الخطايا وتدفع البلاء ، فهي تطهير ورحمة للمسلم .

٦- أنها مصدر قوي لإشاعة الطمأنينة والهدوء في المجتمع ؛ إذ هي وسيلة من وسائل القضاء على الفقر والعوز والجوع والمرض .

٧- الزكاة مجلبة للمحبة ، وسبب لتقوية الرابطة بين الغني ومجتمعه .

٨- أنها تحرر الإنسان من سيطرة حب المال على نفسه .

٩- تحقق تداول المال بين أفراد المجتمع ، وفيها حدّ للفوارق الشاسعة بين الأغنياء والفقراء .

١٠- تحقق للإنسان السعادة الروحية والنفسية بالإحسان للآخرين ، ومشاركتهم آلامهم وحاجاتهم .

١١- أنها تغرس الأمانة المطلقة في نفوس الناس ؛ فالإنسان يقدّر بنفسه زكاة ماله ويخرجها من الصنف ولا رقيب عليه إلا الله.(١)

لهذا فعلى الداعي إلى الله أن يدعو الناس إلى إيتاء الزكاة ، ويحثهم على إخراجها امتثالاً لأمر المولى -جل شأنه- ، ويرغبهم في بذلها ؛ لأن ذلك سبب لنجاتهم وفوزهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

---

(١) انظر : الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة /(ص٢٣) وما بعدها ، فريضة الزكاة /(ص٦٧) وما بعدها .

كمـــا أن في منع أدائها الضرر الأعظم على المجتمع المسلم ؛ إذ لا تحقق أهدافها السامية ولا يُستفاد من ميزاتها المثلى ، بل يحل على الأمة غضب الله ونقمته ، وفي هذا بلاء عظيم ، وخطر جسيم .

الواجب الثالث : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أولاً: تعريف المعروف ، والمنكر:

أ - تعريف المعروف :

- تعريف المعروف في اللغة :

من عَرَفَ ؛ وهو العرفان : أي العلم ، عرّفه الأمر : أعلمه إياه .

والمعروف ضد المنكر ، والعُرف ضد النكر .[1]

وهو : « اسم لكل فعل يُعرف حُسنه بالعقل أو الشرع » .[2]

- تعريف المعروف في الاصطلاح :

«كـــل ما يعرفه الشرع ، ويأمر به ، ويمدحه ، ويثني على أهله ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات ، وفي مقدمتها توحيد الله -عز وجل- والإيمان به ».[3]

ب- تعريف المنكر :

- تعريف المنكر في اللغة :

المنكر من الأمر خلاف المعروف ، والنكرة : خلاف المعرفة .

والإنكار : تغيير المنكر.[4]

---

(١) انظر : لسان العرب /(٩/٢٣٦-٢٤٠).

(٢) المعجم الوسيط /(ص٥٩٥) .

(٣) القـــول الـــبين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر /(ص١٠) ، لفضيلة الشيخ : عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي.

(٤) انظر : لسان العرب /(٥/٢٣٢- ٢٣٤).

والاستنكار: استفهامك أمراً تنكره . وأنكر ، واستنكره ، وتناكره: جهله.[1]

ونكر على فلان فعله : عابه ونهاه .

والمنكر: هو كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه ، أو يُقبحه الشرع ، أو يُحرمه ، أو يكرهه.[2]

- تعريف المنكر في الاصطلاح :

«كل ما ينكره الشرع ، وينهى عنه ، ويذمه ، ويذم أهله ، ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع ، وفي مقدمتها الشرك بالله – عز وجل – ، وإنكار وحدانيته ، أو ربوبيته ، أو أسمائه ، أو صفاته ».[3]

ثانياً: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

جاءت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وإجماع الأمة ؛ دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال –تعالى– :﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.[4]

وقال – جل شأنه – : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.[5]

ومن السُّنة حديث عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– أن رسول الله –ﷺ– قال: **(ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته**

---

(١) انظر : القاموس المحيط/(ص٤٨٧).

(٢) انظر : المعجم الوسيط /(ص٩٥١ ، ٩٥٢).

(٣) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر /(ص١٠) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٠٤).

(٥) سورة المائدة ، الآيتان (٧٨ ، ٧٩).

ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمـــرون ، فمـــن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل).[1]

كمـــا دل على ذلك الإجماع ، قال ابن حزم[2]- رحمه الله - : « اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منها ».[3]

والأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر ثالث واجبات من مُكّن لــه في الأرض ، يقـــول الإمـــام الشـــوكاني[4]- رحمه الله - في تفسير قولـــه -تعالى- : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾[5]:« وفيه إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من مكنه الله في الأرض ، وأقدره على القيام بذلك ».[6]

---

(١) أخـــرجه الإمـــام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد ويـــنقص ، وأن الأمـــر بالمعـــروف والـــنهي عـــن المنكر واجبان ، ح (٨٠). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٦٨٨).

(٢) عـــلي بـــن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل ثم الأندلسي ، (٣٨٤-٤٥٦هـ) ، أبو محمد ، الفقيه الـــحـــافظ ، نشأ في تنعم ورفاهية ، ورزق ذكاءً مفرطاً ، وقد زهد في الرئاسة ، ولزم منـــزله مكباً على العلم ، لـــه مصنفات عدة ، منها: « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، ومنها كتاب : « الإحكام في أصول الأحكام ». انظر : سير أعلام النبلاء /(١٨/١٨٤-٢١٢).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل /(٥/١٩) ، للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ، تحقيق : د. محمد بن ابراهيم نصر ، د. عبدالرحمن عميره.

(٤) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ، (١١٧٣-١٢٥٠هـ) ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، مـــن أهل صنعاء ، ولد بهجرة شوكان ، نشأ في صنعاء وولّي قضاءها ، لـــه مؤلفات عدة منها : « فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير » ، و«نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث ســـيد الأخـــيار». انظـــر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع /(١/٤) ، للعلاّمة محمد بن علي الشوكاني ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، الأعلام /(٦/ ٢٩٨).

(٥) سورة الحج ، الآية (٤١).

(٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/(٣/٦٥٤ ، ٦٥٥).

وقد أورد القرآن الكريم هنا كلمة ﴿ .. ٱلْأَرْضِ..﴾ بدلاً من " الناس " ، وأوضح أن فـــائدة قوة المسلمين وشوكتهم إنما هي في قيامهم بتبليغ دين الله على الأرض ، ونشر الخير والقضاء على الشر ، فواجب المسلم ليس مقصوراً على العرب فقط أو العجم ، بـــل واجـــبه واجب عام شامل للدنيا أجمع ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في أي ركن من أركان الدنيا.(١)

ولكن انقسم الفقهاء في تحديد صفة الوجوب ، فقال البعض: إن الواجب فرض عين أي واجب محتم ، وعلى كل مسلم أن يؤديه بنفسه على قدر استطاعته ، ورأى الفـــريق الآخر وهم جمهرة الفقهاء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات كالجهاد فهو واجب حتم على كل مسلم ، ولكن هذا الواجب يسقط عن الفرد إذا أداه عنه غيره .(٢)

ويذكر الأستاذ الدكتور فضل إلهي الحكم الراجح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنه: يجب على كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، كلٌّ على قدر علمه وقدرته ؛ فمن كان علمه أكثر ستكون دائرة احتسابه أوسع ، ومن كان علمه أقل سيكون نطاق احتسابه أضيق ، ومن كان قادراً على الحسبة باليد فباليد ، ومن لم يستطع إلا باللسان فباللسان ، ولمن لم يستطع إلا بالقلب فبالقلب ، وهذا الأخير هو الذي يستطيعه كل مسلم، ولا يجوز لمسلم التخلي عن هذه الدرجة من الاحتساب.(٣)

ثالثاً : منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منـــزلة كبيرة في الإسلام ، فهما جماع الدين، وبهمـــا قامت دعوة الرسل – عليهم الصلاة والسلام – ،وذلك بأمر الناس بعبادة الله

---

(١) انظـــر : شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية /(ص٦٦) ، لأبي الأعلى المودودي ، ترجمة الدكتور: سمير بن عبدالحميد إبراهيم ، مراجعة الدكتور : عبدالحليم بن عويس بن إبراهيم يونس .

(٢) انظر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي /(١/٤٩٣، ٤٩٤) ، للشيخ : عبدالقادر عودة.

(٣) انظر: الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها /(ص٨٠) ، أ. د. فضل الهي .

وحده – سبحانه– ، ونهيهم عن عبادة غيره ، قال الإمام أبو حامد الغزالي[1]– رحمه الله –: « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله لــه النبيين أجمعين ، ولو طوي بساطه وأهمل عِلْمُهُ وعَمَلُه ، لتعطلت النــبوة واضــمحلت الديانة ، وعمَّت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشــرى الفســاد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ».[2]

ويقــول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: « وإذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهي؛ فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف ، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر ».[3]

رابعاً : أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أركــان الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة : المحتسِب ، والمحتسَب عليه ، والمحتسب فيه ، ونفس الاحتساب ، فهذه أربعة أركان.

الركن الأول : المحتسِب وهو الآمر بالمعروف و الناهي عن المنكر، ويشترط فيه أن يكون مكلفاً ، مسلماً ، قادراً ، فيخرج منه المجنون ، والكافر ، والعاجز، ويدخل فــيه آحــاد الرعايا ، وإن لم يكن مأذوناً لهم بالاحتساب من ولي الأمر، ويدخل فيه الفاسق ، والرقيق ، والمرأة .

الــركن الثاني : المحتسب عليه ، وهو فاعل المنكر ، وهو أن يكون في صفة يصير

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطُّوسي الشافعي ، (٤٥٠–٥٠٥هـ) ، أبو حامد الغزالي ، الإمام البحر ، حجة الإسلام ، كان لــه ذكاء وفطنة وتصرف ، برع في الفقه في مدة يسيرة ، ومهر في الكلام والجدل ، وأدخلــه ذكاؤه في مضايق الكلام ، من أشهر كتبه : «إحياء علوم الدين » وفيه خير كثير لولا ما فيه من طرائق الصوفية ، و« المستصفى » في أصول الفقه. انظر: سير أعلام النبلاء /(١٩/٣٢٢ –٣٤٦).

(٢) إحياء علوم الدين /(٢/٣٧٧) ، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تصحيح وتقديم : عبدالمعطي ابن أمين قلعجي.

(٣) الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية /(ص١١) ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية .

الفعل الممنوع في حقه منكراً ، وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنساناً.

الركن الثالث: المحتسَب فيه ، وهو كل منكر موجود في الحال ، ظاهر للمحتسِب بغير تجسس ، معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد .[1]

الـــركن الرابع : نفس الاحتساب ، ويقصد به القيام الفعلي بهذه الوظيفة من أمر بفعل حكم معين كإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وغير ذلك مما أمر الإسلام بفعله ، أو نهي عن أمر حرمه أو نهى عنه الإسلام ، كشرب الخمر ، أو استعمال آلات اللهو والطرب المحرمة ...ونحو ذلك.[2]

خامساً : من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

هناك حكم عظيمة تتحقق عند القيام بهذا الجانب العظيم من الدين ، وإذا تأملت هذه الحكم تجدها إما راجعة ومتعلقة بالآمر والناهي ، وإما عائدة إلى المأمور والمنهي، وإما عامة للجميع .

أ) ما يعود على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، ومنها :

١- الخروج من عهدة التكليف ، وإقامة الحجة على العباد .

٢- الحصول على الثواب العظيم الذي رتبه الله للقائمين بهذا الأمر .

٣- تكفير السيئات ، والنجاة من العذاب الدنيوي والأخروي الذي توعد الله به من قعد عن هذا الواجب وأهمله .

٤- التشـــبه بأفضل الخلق وأكملهم ، وهم رسل الله – صلوات الله وسلامه عليهم –.

ب) الفوائد العائدة على المأمور والمنهي ، ومنها :

١- تهيئة الأسباب لتحقيق النجاة الدنيوية والأخروية مما هو فيه من خطر الغفلة

(١) انظر: إحياء علوم الدين /(٢/٣٨٤) ، وما بعدها .

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة /(١/٢٣٢ ، ٢٣٣) ، د.عبدالعزيز بن أحمد المسعود.

أو الذنب .

٢- ما يُرجى له من الانتفاع والاستقامة ، فيتحقق الهدف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ج) الفوائد العامة التي لا تختص بطرف دون الآخر ، ومنها:

١- حفظ العقيدة والدين ، وإقامة الشريعة.

٢- دفع العقوبات العامة الحاصلة بسبب ذنوب العباد ، واستنزال رحمة الله -جل شأنه- .

قال -سبحانه وتعالى- : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾.[1]

وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال : **(والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم)**.[2]

٣- تقوية جانب المؤمنين ورفع عزهم ، وإذلال أهل الباطل، وكسر شوكتهم.

٤- استقامة الموازين ، واتزان المفاهيم في المجتمع فلا يحدث خلط ولا لبس في المعروف والمنكر؛ بخلاف لو أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ذلك يؤدي إلى خفاء الحقيقة، وإبراز وظهور الشر والباطل .[3]

فيجب على الداعية المسلم أن يكون من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، وعليه في الوقت نفسه أن يأمر الناس بأداء هذه الشعيرة العظيمة من الدين ، وأن يحثهم

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٢٥).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الفتن عن رسول الله - ﷺ - ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ح (٢١٦٩) ، وقال : «هذا حديث حسن » ، وصححه العلاّمة المحدّث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - ، انظر : سنن الترمذي (الجامع الصحيح)/(ص٤٩٠).

(٣) انظر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه)/(ص٧٤) وما بعدها ، د. خالد ابن عثمان السبت .

عـــلى القيام بها ، ويذكّرهم بفضلها ، وعظم شأنها ، والأهداف التي تحققها ، والآثار التي تترتب على إهمالها ، فإن المسلم لا يخلو من أن يكون عالماً ولو بجزئية من جزئيات الشــريعة ، فعليه أن يُبلغها ويأمر بها إن كانت من المعروف ، وينهى عنها إن كانت من المنكر بقدر استطاعته .

المطلب الثاني: الدعوة إلى أداء فريضة الحج .

أولاً: حكم أداء فريضة الحج :

الحج أحد أركان الإسلام ودعائمه العظام ، وهو من فروض الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة ، دل على وجوبه كتاب الله -سبحانه وتعالى- ، وسنة نبيه -ﷺ-، وإجماع المسلمين .

قال -تعالى- :﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ...﴾.[1]

قال العلاَّمة ابن كثير[2]- رحمه الله - عند تفسير هذه الآية : «هذه آية وجوب الحج عند الجمهور ».[3]

ومن السُّنة ما رواه أبو هريرة -ﷺ- قال: خطبنا رسول الله -ﷺ- فقال : (**أيها الناس : قد فرض عليكم الحج فحجوا**) ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ! فسكت ، حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله -ﷺ-: (**لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم** ، ...).[4]

وفي الحديث دلالة على وجوب الحج مرة واحدة في العمر .

أما دليل الإجماع فهو ما ذكره الموفق ابن قدامة[5]- رحمه الله - بقوله : « وأجمعت الأمة على وجوب الحج على المستطيع في العمر مرة واحدة ».[6]

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٩٧).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٤٧) من هذه الرسالة.

(٣) تفسير القرآن العظيم /(٣٣٨/١).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ، ح (٤١٢) . انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٩٠١).

(٥) موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، (٥٤١-٦٢٠هـ) ، أبو محمد ، الإمام القدوة المجتهد ، كان من بحور العلم ، وعالم أهل الشام في زمانه ، نَزِهَاً ، ورعاً ، عابداً ، ثقةً ، من أشهر مؤلفاته : «المغني» ، و«الكافي» ، و«المقنع». انظر: سير أعلام النبلاء /(١٦٥/٢-١٧٢).

(٦) المغني /(٦/٥) ، لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، تحقيق : أ.د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، عبدالفتاح محمد الحلو .

وقد عُرف الحج إلى بيت الله الحرام قبل بعثة النبي -ﷺ- ، قال -تعالى- :﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾.[1]

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ...﴾ أي :نـاد فـيهم بدعوة الحج ، والخطاب لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام -.[2]

قـال الإمام أبو بكر الجصاص[3]- رحمه الله -: «وهذه الآية تدل على أن فرض الحـج كـان في ذلك الوقت ؛ لأن الله -تعالى- أمر إبراهيم بدعاء الناس إلى الحج ، وأمـره كـان على الوجوب ، وجائز أن يكون وجوب الحج باقياً إلى أن بُعث النبي -ﷺ- ، وجائز أن يكون نسخ على لسان بعض الأنبياء ».[4]

هذا فيما قبل الإسلام ، أما بعد بعثة النبي -ﷺ- فقد فرض الحج في سنة تسع أو عشر من الهجرة على خلاف بين العلماء .

يقول الإمام ابن قيِّم الجوزية- رحمه الله - : «ولما نزل فرض الحج ، بادر رسول الله -ﷺ- إلى الحج من غير تأخير ، فإن فرض الحج تأخر إلى سنة تسع أو عشر».[5]

ثانياً: فضل فريضة الحج :

لفريضة الحج فضائل عديدة ، منها :

١- أنـه يهدم ما قبله من الذنوب ، فعن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال :« فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي -ﷺ- فقلت : ابسط يمينك فلأبايعك ، فبسط يمينه ، قال: فقبضت يدي ، قال : **(مالك يا عمرو؟)** قلت : أردت

---

(١) سورة الحج ، الآية (٢٧).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم /(٥/١٠٤).

(٣) تقدمت ترجمته في (ص٥٨) من هذه الرسالة.

(٤) أحكام القرآن /(٥/٦٤) ، لحجة الإسلام الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

(٥) زاد المعـاد في هـدي خير العباد /(٢/١٤٦) ، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيِّم الجوزية ، تحقيق : مصطفى بن عبدالقادر عطا .

أن أشترط . قال : (**تشترط بماذا ؟**) قلت : أن يغفر لي . قال : (**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ...**)».[1]

٢- أن الحاج يعود من حجه كيوم ولدته أمه ، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ-: (**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**).[2]

٣- أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - ﷺ -: (**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**).[3]

ثالثاً: منزلة فريضة الحج :

للحج منزلة كبرى في الإسلام ؛ ففيه إظهار عبودية المسلم لربه - جلَّ شأنه -، وتأدية شكر نعمه عليه ، فإن العبادات وجبت لحق العبودية ، أو لحق شكر النعمة ، وكل ذلك لازم في العقول ، وفي الحج إظهار العبودية وشكر النعمة .

أما إظهار العبودية : فلأن إظهار العبودية هو إظهار التذلل للمعبود ، ويتجلى ذلك في الحج ؛ لأن الحاج في حال إحرامه يظهر الشعث ويرفض أسباب التزين .

وأما شكر النعمة ؛ فلأن العبادات بعضها بدنية وبعضها مالية ، والحج عبادة لا

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله ، وكذا العمرة والحج ، ح(١٩٢). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٦٩٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور ، ح (١٥٢١) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة ، ح (٤٣٨). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص١٢٠، ٩٠٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة ، ح (٤٣٧) ، وأخرجه الإمام البخاري في كتاب العمرة ، باب وجوب العمرة وفضلها ، ح(١٧٧٣). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٩٠٣ ، ١٣٩).

تقـــوم إلا بالبدن والمال ، ولهذا لا يجب إلا عند وجود المال وصحة البدن ، فكان فيه شكر النعمتين ، وشكر النعمة لا يكون إلا في استعمالها في طاعة المنعم وشكر النعمة واجب شرعاً وعقلاً .[1]

رابعاً: من آثار أداء فريضة الحج :

عـــند قيام المسلم بأداء هذه الشعيرة العظيمة تتحقق مصالح كبرى ، وتترك هذه العبادة أثرها الواضح في حياة الأمة عامة ، وفي حياة المسلم خاصة ، وبها تتحقق منافع عظمى ، قال -تعالى- : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾.[2]

قال ابن عباس - ﷺ-: « منافع في الدنيا ، ومنافع في الآخرة ؛ فأما منافع الآخرة فرضوان الله -عز وجل-، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم، والذبائح ، والتجارات ».[3]

وقال تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾.[4]

فالهدايـــا ينتفع بها أصحابها ، بالركوب ، والحلب ، ونحو ذلك مما لا يضرها إلى وقت مقدر وهو ذبحها إذا وصلت محلها وهو البيت العتيق ، فإذا ذُبحت أكلوا منها ، وأهدوا ، وأطعموا البائس الفقير.[5]

---

(١) انظـــر : بدائـــع الصنائع في ترتيب الشرائع /(٢/١١٨ ، ١١٩) ، للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي .

(٢) سورة الحج ، الآية (٢٨، ٢٩) .

(٣) أخـــرجه ابــن أبي حاتم في تفسير سورة الحج ، برقم (١٣٨٨٩) . انظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله-ﷺ- والصحابة والتابعين /(٨/٢٤٨٨) ، للإمام الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد بن محمد الطيب.

(٤) سورة الحج ، الآية (٣٣).

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان/(ص٥٣٨).

فمن آثار هذه العبادة على الأمة :

١- أنها تصل حاضر الأمة الإسلامية بماضيها ، وتربط الجيل الحاضر بالجيل الأول ، فقد أمر الله نبينا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- بدعوة الناس للحج ،قال -تعالى- : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾.(١)

٢- سقوط الشعارات الزائفة التي تجعل التفاضل بين الناس حسب أجناسهم ، وألوانهم ، ومكانتهم في الدنيا .

٣- توحيد كلمة المسلمين ، وجمع شملهم تحت راية التوحيد ، والدعوة إلى نبذ الفرقة والاختلاف .

٤- تبادل المنافع التجارية والخبرات الاقتصادية في مختلف ديار الإسلام ، حيث يفد إلى الأماكن المقدسة ملايين الناس من شتى بقاع العالم ، منهم العلماء المتخصصون في مجال الاقتصاد ، وهذه فرصة طيبة لدراسة المشكلات الاقتصادية للبلاد الإسلامية .

٥- في الحج رواج اقتصادي للمسلمين ؛ لما يتطلبه من سلع وخدمات خاصة .

أما عن آثارها على الحاج المسلم ، فمنها :

١- أن الحاج يرجع إلى بلده -بإذن الله - وقد غفر له ، وإن كان حجه مبروراً فله الجنة ، وما أعظمها من جزاء تهفو النفوس لنيلها والسعي لطلبها.

٢- تجديد ذكر الله ، وتقوية صلة الحاج بربه ، يصحب ذلك خضوع وخشوع للخالق - سبحانه وتعالى - في مواضع ومواقف متعددة من الحج .

٣- تذكير المسلم باليوم الآخر ، فالحج مظهر مصغر ليوم الحشر والعرض على الله ، فيزداد إيمانه ، وتقوى طاعته ، وتفيض مشاعر الشوق للقاء الله -جلّ

---

(١) سورة الحج ، الآية (٢٧).

شأنه-.

٤- في الحـــج يتعلم الحاج دروس البذل والتضحية بخروجه من بلاده ، وتركه لأهله ، ودفع المال في نفقات الحج .

٥- في الحـــج تدريب عملي للحاج على الصبر وتحمل المشاق ؛ وذلك بالصبر على طاعة الله ، والصبر عما حرم الله .

٦- الحج نقطة تحول في حياة المسلم ، فالحاج الذي يبقى أثر الحج في نفسه يعود منه وقد تحسن حاله واستقام أمره وأقبل على طاعة ربه .[١]

ومن خلال ما سبق يتضح ما لفريضة الحج من أهمية بالغة باعتبارها موضوع من موضـــوعات الدعوة إلى الله في مجال الشريعة ، فينبغي للداعي إلى الله أن يحرص على دعـــوة الناس لأدائها ، ومعرفة أركانها وواجباتها ومستحباتها حتى تحقق الآثار المرجوة منها.

---

(١) انظر: الحج /(ص٣٨) وما بعدها ، د. عبدالله بن محمد الطيار ، الحج والحجاج أمواج وأثباج /(ص٢٥) ، للدكتور: زيد بن محمد الرماني.

المطلب الثالث : الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله .

أولاً: تعريف الجهاد :

أ- تعريف الجهاد في اللغة :

الجهاد في اللغة من جَهَدَ يجهد جهداً، والجَهْدُ : المشقة والوسع والطاقة ، يقال : جَهَدَ جَاهِدُ للمبالغة.

وجهد العيش جهداً : ضاق واشتد .

وأجهد : وقع في الجهد والمشقة . وجهد فلاناً : بلغ مشقته .[1]

والجَهْد : الغاية .

وجُهِدَ الرجل : إذا هَزُلَ .

والجَهاد : الأرض المستوية ، وقيل : الأرض الجدبة التي لا شئ فيها .

وجَاهَدَ العدو مُجاهدةً وجِهاداً : قاتله ، وجَاهَد في سبيل الله .

والجِهَاد : محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل.[2]

ب- تعريف الجهاد في الاصطلاح :

للجهاد في الشريعة الإسلامية ، معنيان :

الأول : المعنى العام ، ويشمل جميع أنواع الجهاد ، من مجاهدة النفس ، ومجاهدة الكفار، والدعوة في سبيل الله ، ونحو ذلك .

قـــال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - في تعريفه :« هو بذل الوسع ، وهو القدرة في حصول محبوب الحق ، ودفع ما يكرهه الحق ». [3]

---

(١) انظر : المعجم الوسيط /(ص١٤٢) .

(٢) انظر : لسان العرب /(٣/١٣٣- ١٣٥) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية /(١٠/١٩٢ ، ١٩٣) .

قال -تعالى- : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ...﴾.[1]

قال أبو حيان[2]- رحمه الله - في تفسير الآية :« أمر بالجهاد في دين الله وإعزاز كلمته ، ويشمل جهاد الكفار ، والمبتدعة ، وجهاد النفس ».[3]

الثاني : المعنى الخاص ، ويقصد به قتال المسلم للكافر ، بعد دعوته إلى الإسلام ، أو إلى الجزية ، وامتناعه من ذلك.

و تعريفه : قتال مسلم كافراً غير ذي عهد ؛ لإعلاء كلمة الله -تعالى-.[4]

وعرَّفه الحافظ ابن حجر[5]-رحمه الله- فقال :« بذل الجهد في قتال الكفار».[6]

قال -سبحانه وتعالى- :﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.[7]

أي : « أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين ».[8]

ثانياً: حكم الجهاد :

الجهاد بمعناه العام فرض عين على كل مسلم ؛ لأن الإنسان لا يخلو من أن يكون مجاهداً لنفسه في حال من الأحوال .

أما حكم الجهاد بمعناه الخاص ، وهو قتال الكفار ، فهو فرض كفاية ، قال ابن حـــزم[9]- رحمه الله -: « والجهاد فرض على المسلمين ، فإذا قام به من يدفع العدو

---

(١) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٥٧) من هذه الرسالة.

(٣) البحر المحيط /(٦/٣٦٠) .

(٤) انظـــر : الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك /(٢/٢٦٧) ، لأبي البركات أحمد ابن محمد بن أحمد الدردير ، خرَّج أحاديثه وفهرسه : د. مصطفى بن كمال وصفي .

(٥) تقدمت ترجمته في (ص٣٥) من هذه الرسالة.

(٦) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري /(٦/٥).

(٧) سورة الحج ، الآية (٣٩) .

(٨) لباب التأويل في معاني التنـــزيل /(٣/٢٩١).

(٩) تقدمت ترجمته في (ص٧٣) من هذه الرسالة.

ويغزوهم في عقر دارهم ، ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين وإلا فلا».[1]

إلا أن هـــناك حـــالات يصير فيها الجهاد الخاص فرض عين ، ذكرها الموفق ابن قدامة[2]- رحمه الله - في المغني ، وهي:

الأول: إذا الـــتقى الزحفان وتقابل الصفان ، حرم على من حضر الانصراف ، وتعين عليه المقام .

الثاني: إذا نزل الكفار ببلد ، تعين على أهله قتالهم ، ودفعهم .

الثالث: إذا استنفر الإمام قوماً ، لزمهم النفير معه.[3]

ثالثاً: مراتب الجهاد :

لـــلجهاد أربع مراتب وهي : جهاد النفس ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين ، وجهاد الشيطان ،[4] وسأبين أبرزها فيما يلي :

أ – جهاد النفس :

جهـــاد الـــنفس هو أساس جهاد الكفار ، لأن الذي لا يستطيع جهاد نفسه لا يُتوقع منه أن يضحي بها أو بغيرها من الأموال والأهل ونحو ذلك .

لهـــذا فهو أعظم من جهاد الكفار ، فلأجل هذه النفس أرسل الله الرسل وأنزل الكتـــب لحفظها ولبيان ما يصلحها ، ويجعلها مصلحة مرشدة تعمر الأرض بالتوحيد والإيمـــان والعمل الصالح ، وتدعو إليه ، لجعل كلمة الله هي العليا ، فإن جميع شرائع هذا الدين إنما جاءت لهذا .

قـــال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – رحمه الله – : «جميع الولايات في الإسلام مقصـــودها أن يكـــون الديـــن كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ؛ فإن الله

---

(١) المحـــلى بالآثـــار /(٥/٣٤٠) ، للإمـــام أبي محمـــد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق : د.عبدالغفار بن سلمان البنداري .

(٢) تقدمت ترجمته في (٧٩) من هذه الرسالة.

(٣) انظر : المغني /(٨/١٣) .

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد/(٣/٦).

- سبحانه وتعالى - إنما خلق الخلق لذلك ، وبه أنزل الكتب ، وبه أرسل الرسل ، وعليه جاهد الرسل والمؤمنون ».[1]

فيجب على الإنسان أن يجاهد نفسه لتؤمن بهذا الدين ، وتلتزم بأوامره ونواهيه ؛ لأن في ذلك صلاحها وفوزها ، كما عليه أن يحفظها من السوء والفساد والشر الذي يهلكها ويرديها ، وعلى رأس ذلك :

- **الجهل** : فإن الجهل يؤدي إلى قبيح المعاصي من الشرك بالله إلى أصغر معصية ، والجاهل قد يقف أمام الحق معانداً وجاحداً ومستكبراً ، ولو كانت حجج هذا الحق أوضح من الشمس في رابعة النهار .

قال - سبحانه وتعالى- : ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.[2]

والجهال لا يكتفون بارتكاب المعاصي؛ بل يدعون غيرهم إلى ارتكابها .

- **الغفلة** : وهي من أعوان النفس الأمارة بالسوء ، وداء عضال يحجب صاحبه عن النظر إلى أبواب الخير ، فتمر أيامه ولياليه وهو سادر في لهوه لا يفيق إلا على هادم اللذات .

وقد وصف الله الغافلين وهم يتحسرون على أيامهم الضائعة في آيات عدة ، قال -تعالى- :﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.[3]

- **الهوى** : ميل النفس إلى الهوى واتباع شهواتها سبب كبير لهلاكها ، لهذا شدد الله - جلَّ شأنه - على اتباع الإنسان هوى نفسه ، أو هوى غيره من أهل الضلال والكفر ، قال -سبحانه وتعالى- : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية /(٦١/٢٨) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١١١).

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٩٧).

يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾.(١)

فهذه أبرز أعداء النفس ، وبمعرفتها يعرف المرء كيف يجاهد نفسه ، ويخضعها لأمر الله – جل شأنه – ويكبح جماحها أن تشذ عن طريق الله –سبحانه وتعالى– إلى معصيته وطاعة عدوه ، وهذه المجاهدة أمرها شاق ولازم ومستمر لما جُبلت عليه النفس من ميل للشهوات واتباع للهوى ، لهذا لزم المسلم أن يسعى إلى جهادها بتقوية صلتها بالله –عز وجل– ، وطرد جهلها بالعلم النافع ، وملء فراغها بالعمل الصالح ، ومحاسبتها على ما منحها الله من نعم ظاهرة وباطنة توجب عليها شكره وطاعته والبعد عن معصيته ، كما يذكرها برقابة الله الدائمة ، فهو – سبحانه – لا تخفى عليه خافية ، ويخوفها بالموت وبأهوال يوم القيامة ، ويوجهها للاقتداء بالأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم– ، وبصحابة رسول الله –ﷺ– ، والسلف الصالح –رحمهم الله– ، ويغرس فيها الأخلاق الفاضلة والأهداف السامية ، ويتعاهدها بأعظم ما تُزكي به النفوس ؛ التوبة النصوح فإن فيها تطهيراً للنفس المثقلة بالذنوب ، وعودةً إلى صفاء النفس وطمأنينتها ؛ والتي لا تتحقق إلا بالعودة الصادقة إلى طاعة الله – سبحانه وتعالى –، والتزام شرعه.(٢)

ب – جهاد الكفار بالقتال:

هذا النوع من الجهاد فرع عن النوع الأول ، ولم يُفرض على المسلمين إلا بعد الهجرة ؛ فإن الفترة المكية كانت فترة دعوة إلى الإيمان بإله واحد ، وتربية وإعداد للنفس للخضوع لله – سبحانه وتعالى – ، ولم يؤذن لرسول الله – ﷺ– بالقتال إلا بعد الهجرة حينما نزلت آية الإذن في قوله –تعالى–:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.(٣)

---

(١) سورة القصص ، الآية (٥٠) .

(٢) انظر : الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته /(٢٧٦/١) ، د.عبدالله بن أحمد القادري .

(٣) سورة الحج ، الآية (٣٩) .

قـــال ابـــن العربي[1]- رحمه الله -:« معنى أُذِنَ أبيح ، فإنه لفظ موضوع في اللغة لإباحة كل ممنوع ».[2]

وكـــان هـــذا الإذن دليلاً على الإباحة ، ثم فُرض الجهاد على هذه الأمة لمن بدأها بالقتال ، قال – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[3]

والمرحلة الأخيرة لفرض الجهاد كانت فرضه مطلقاً ، لنشر دعوة الإسلام ، قال – سبحانه وتعالى – :﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾.[4]

وقد أشار إلى هذه المراحل الإمام ابن قيِّم الجوزية- رحمه الله – فقال : «ثم فرض علـيهم قـتال المشركين كافة ، وكان محرماً ، ثم مأذوناً به ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين».[5]

وقـد رتب الله –جل شأنه– على الجهاد في سبيله من الأجر العظيم مالا يخطر على قلب بشر ، قال –تعالى– :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن

---

(١) محمـــد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن العربي الأندلسي المالكي ، (٤٦٨-٥٤٣هـ) ، أبو بكر ، الإمام العلاّمة ، الحافظ القاضي ، كان فصيحاً بليغاً خطيباً ، ثاقب الذهن ، كريم الشمائل ، ولّي قضاء إشبيليه ثم عُزل ، فأقبل على نشر العلم وتدوينه ، من كتبه : « أحكام القرآن » ، و« أمهات المسائل ». انظر : سير أعلام النبلاء /(٢٠/١٩٧- ٢٠٤).

(٢) أحكام القرآن /(١٢٨٤/٣) ، للإمام أبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، تحقيق : علي محمد البجاوي .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٩٠) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢١٦) .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد /(٥٢/٣) .

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.[1]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -ﷺ- : (**أنتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل**).[2]

وهذا الأجر العظيم منبثق من هدف الجهاد السامي ، وهو تعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

رابعاً: من آثار الجهاد :

للجهاد في سبيل الله آثار عظمى ، سواء أكان جهاداً للنفس ، أو قتالاً للكفار ، ومنها ما يلي :

أ - آثار جهاد النفس :

١- تحقيق العبودية لله – سبحانه وتعالى- ؛ وذلك بمجاهدة النفس ، وإخضاعها لأوامره ونواهيه .

٢- نجاة العبد من عقاب الله –سبحانه وتعالى- ، وعذابه .

٣- الفوز والفلاح في هذه الحياة الدنيا ، وفي الآخرة .

٤- تحقيق السعادة ، والراحة النفسية ، والاستقرار الاجتماعي .

٥- كبح جماح النفس عن الوقوع في الشهوات والملذات المحرمة ، وصيانتها من الذنوب والمعاصي .

---

(١) سورة الصف ، الآيات (١٠-١٣) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ، باب الجهاد من الإيمان ، ح (٣٩) ، وأخرجه الإمام مسلم بنحو هذا اللفظ في كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ، ح (١٠٣). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٥ ، ١٠١٤).

٦- زيادة الانتاج ، والفاعلية الإيجابية للإنسان في خلافة الأرض .

ب- آثار جهاد الكفار بالقتال:

١- تعبـــيد الناس لله رب العالمين ، ونشر الدين الإسلامي ، وهداية الناس إلى الحق بعبادة الله وحده لا شريك لـــه ، قال -تعالى- : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝ ﴾.[1]

٢- حماية حوزة الدين من أن تستباح ، وتكسر شوكته .

٣- رد كيد الأعداء ، وإظهار ذلهم ، وصغارهم .

٤- إظهار عزة المسلمين ، وعلو شأنهم .

٥- بالجهـــاد يخـــرج المســـلم من الوعيد الشديد الذي توعد الله — سبحانه وتعـــالى- من تخلف عنه في حالة الاستنفار ، قال -تعالى- : ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾.[2]

٦- نيل إحدى الحسنيين ، إما الشهادة أو النصر .

وحتى يترك الجهاد أثره العميق على الفرد والأمة ينبغي للداعي إلى الله أن يحرص على دعوة الناس للقيام بأمره والعناية بشأنه ، استجابة لأمر المولى -جلّ شأنه-، وبهذا تتضح أبرز موضوعات الدعوة إلى الله في مجال الشريعة في سورة الحج .

---

(١) سورة الأنفال ، الآيتان (٣٩ ، ٤٠).

(٢) سورة التوبة ، الآية (٣٩).

المبحث الثالث : الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق.

توطئة :

للتحلي بالأخلاق الفاضلة في الدين الإسلامي أهمية كبيرة لما له من أثر في سلوك الإنسان ، وأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة .

فقد دلت التجارب الإنسانية ، والأحداث التاريخية ، على أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة ، ومتناسب معها ، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها ، ومتناسب معها ، فبين القوى المعنوية والأخلاق تناسب طردي دائماً ، صاعدين وهابطين .

كما أن انهيار كل خلق من مكارم الأخلاق يقابله دائماً انقطاع رابطة من الروابط الاجتماعية ، وبانهيارها جميعاً تنهار جميع الروابط الاجتماعية ، ويصبح المجتمع مفككاً.[1]

ومن أجل هذا جاءت عناية الإسلام بالدعوة إلى الخلق الفاضل ؛ وذلك لأهميته وفضله ، وهو ما يجب على الداعية أن يتحلى به ، و يدعو غيره إليه .

وفي سورة الحج آيات عدة تأمر بالأخلاق الفاضلة ، وتنهى عن الأخلاق الرديئة ، ومن ذلك الأمر بشكر الله -تعالى- ، والحث على العفو ، والتنفير من الخيانة .

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها /(٣٣/١) وما بعدها . أ.د. عبدالرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني.

المطلب الأول : شكر الله - تعالى - .

أولاً : تعريف الشكر :

أ- تعريف الشكر في اللغة :

الشُكر بالضم : عرفان الإحسان ونشره .

والشكر من الله : المجازاة والثناء الجميل.

وشكره ، وشكر له ، شكراً وشكوراً وشكراناً . والشكور : الكثير الشكر.(1)

والشـــكور من صفات الله - جل شأنه - ، ومعناه : أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء ، وشكره لعباده ، مغفرته لهم .

والشكر : مقابلة النعم بالقول ، والفعل ، والنية ، فيثني على المنعم بلسانه ، ويلزم نفســـه على طاعته ، ويعتقد أنه موليها ، وهو من شكرت الإبل تشكر ، إذا أصابت مرعىً فسمنت عليه.(2)

وشَـــكِرَت الضرع : امتلأ باللبن ، ويقال: شكرت الناقة . وشكرت السحابة : امتلأت .

وشكر فلان : سخا بعد بخل.(3)

ب- تعريف الشكر في الاصطلاح :

مما عُرِّف به الشكر في الاصطلاح ، ما يلي :

١- « ظهـــور أثـــر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً ، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة».(4)

---

(١) انظر : القاموس المحيط /(ص٤١٩).

(٢) انظر : لسان العرب /(٤/٤٢٤).

(٣) انظر : المعجم الوسيط /(ص٤٩٠).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /(٢/٥٧٥) ، للإمام أبي عبدالله محمد بن قيِّم الجوزية ، تحقيق : عبدالعزيز بن ناصر الجليل.

٢- « تصور المنعم عليه النعمة وإظهارها».[1]

ثانياً: قواعد شكر الله -تعالى-:

شكر الله -تعالى- مبني على خمس قواعد ، هي :

١- خضوع الشاكر للمشكور .

٢- حب الشاكر للمشكور .

٣- اعتراف الشاكر بنعمة المشكور .

٤- ثناء الشاكر على المشكور بهذه النعمة .

٥- أن لا يستعمل الشاكر النعمة فيما يكره المشكور .

فهذه الخمس هي أساس الشكر ، وبناؤه عليها ، فمتى عُدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة.[2]

ثالثاً: شكر الله -تعالى- من نعم الله على العبد :

النعم تنقسم إلى ما هو غاية مطلوبة لذاتها ، وإلى ما هو مطلوب لأجل الغاية .

أما الغاية ، فهي سعادة الآخرة ، ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور :

بقاء لا فناء لـــه ، وسرور لا غمَّ فيه ، وعلم لا جهل معه ، وغنى لا فقر بعده ، وهي السعادة الحقيقية .

أما القسم الثاني : فهو الوسائل إلى السعادة المذكورة ، وهي أربعة أقسام :

الأول: فضائل النفس ، كالإيمان وحسن الخلق.

الثاني : فضائل البدن ، من القوة والصحة ونحوها .

الثالث : النعم المطيفة بالبدن ، من المال والجاه والأهل.

الرابع : الأسباب التي جمع بينها وبين ما يناسب الفضائل من الهداية ، والإرشاد ،

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة /(ص٢٧٩) ، للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ، المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : د. أبو اليزيد العجمي .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /(٢/٥٧٥).

والتسديد ، والتأييد ، وكل هذه نعم عظيمة.[1]

لهـــذا فشــكر الله -تعالى- يعدُّ من نعم الله على العبد ؛ إذ تعود منفعته عليه دنياً وآخرة .

يقول الإمام ابن قيِّم الجوزية- رحمه الله - : « وأمره بالشكر أيضاً إنعام آخر عليه، وإحسان منه إليه ، إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة ، لا إلى الله ، والعبد هو الذي ينتفع بشكره ، كما قال -تعالى-:﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾،[2] فشكر العبد إحسان إلى نفسه دنيا وآخرة».[3]

رابعاً : شكر الله – تعالى – في سورة الحج :

يتحقق شكر الله -تعالى- بالقلب واللسان والجوارح .

أما شكر القلب: فهو تصور النعمة.[4]

وشكر اللسان : إظهار الشكر لله بالتحميد.

وشــكر الجــوارح : اســتعمال نعم الله في طاعته ، والتوقي من الاستعانة بها في معصيته.[5]

وقد جاءت سورة الحج تدعو إلى شكر الله على نعمه ، ومن ذلك قوله -تعالى- : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.[6]

---

(١) انظر : مختصر منهاج القاصدين /(ص٣١٠) ، للإمام أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي ، تحقيق : زهير الشاويش.

(٢) سورة لقمان ، الآية (١٢).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /(٢/٨٨٥).

(٤) انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة /(ص٢٧٩).

(٥) انظر: مختصر منهاج القاصدين /(ص٣٠٥).

(٦) سورة الحج ، الآية (٣٦).

ففي هذه الآية يذكر المولى - سبحانه وتعالى- تسخيره الأنعام لعباده ، وما فيها من النفع للإنسان ، ويأمر بشكره عليها .

فذكر شكر الله باللسان ، ويكون بالتحميد ، فقال : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على تسخيرها ، فإنه لولا تسخيره لكم ، لم يكن لكم بها طاقة ، ولكنه ذللها لكم وسخرها، رحمة بكم وإحساناً إليكم فاحمدوه.[1]

وذكر شكر الله بالجوارح ، باستعمال نعم الله في طاعته ؛ بالتصدق على الفقراء والمحتاجين ، فقال : ﴿ وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ...﴾.

والقانع : هو الراضي الذي لا يسأل ، وهو من قنع يقنع إذا سأل .

والمعتر : هو المعترض الذي يطيف بك طالباً ما عندك بالسؤال أو السكوت.[2]

ومن شكر نعم الله - أيضاً - ذَبْحُ الهدايا ، قال -تعالى-:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.[3]

قال مجاهد[4]-رحمه الله- في المنسك: « إهراقة دم الهدي ».[5]

أي: لكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكاً ، فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها ، ولننظر أيكم أحسن عملاً ، والحكمة في أن جعل لكل أمة منسكاً : لإقامة ذكره ، والالتفات إلى شكره.[6]

وقد بيّن - سبحانه وتعالى - أن من منافع الحج شكر الله على نعمه ، فقال -تعالى-: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان /(ص٥٣٨).

(٢) انظر : التفسير الواضح /(٥٩/١٧) ، للشيخ : محمد محمود حجازي .

(٣) سورة الحج ، الآية (٣٤).

(٤) تقدمت ترجمته في (ص٢٢) من هذه الرسالة.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الحج ، برقم (١٤٠١٩) . انظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله-ﷺ- والصحابة والتابعين /(٢٥٠٤/٨).

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان /(ص٥٣٨).

مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾.[1]

قال الإمام العلاّمة عبدالرحمن السعدي[2]- رحمه الله - : « وهذا من المنافع الدينية والدنيوية ، أي ليذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا شكراً لله على ما رزقهم منها، ويسرها لهم ».[3]

كما ذم الله -سبحانه وتعالى- الجاحدين لنعمه الظاهرة والباطنة ، قال -تعالى-: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ ﴾.[4]

ففي قوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ...﴾ تذييل يجمع المقصد من تعداد نعم المنعم بجلائل النعم المقتضية انفراده باستحقاق الشكر ، واعتراف الخلق له بوحدانية الربوبية.

والكفور : مبالغة في الكافر ، لأن كفرهم كان عن تعنت ومكابرة .

وقيل : ويجوز كون الكفور مأخوذ من كفر النعمة ؛ وتكون المبالغة باعتبار آثار الغفلة عن الشكر.[5]

قال الإمام الماوردي[6]- رحمه الله - : « فحق على من عرف موقع النعمة أن

---

(١) سورة الحج ، الآية (٢٨).

(٢) عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي ، (١٣٠٧-١٣٧٦هـ) ، ولد في عنيزة في القصيم ، ونشأ نشأة صالحة كريمة ، أقبل على العلم بجد وعزيمة ، وحفظ القرآن قبل أن يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، اشتغل بالتدريس والتأليف ، له ما يزيد عن ثلاثين كتاباً ، منها : « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان» وهو أشهرها ، و« القواعد الحسان في تفسير القرآن ». انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون/(٣/ ٢١٨) ومابعدها ، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسّام ، الأعلام/(٣ /٣٤٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان /(ص٥٣٧).

(٤) سورة الحج ، الآية (٦٦).

(٥) انظر : التحرير والتنوير /(١٦/٣٢٦).

(٦) علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي ، (٣٦٤-٤٥٠هـ) ، أبو الحسن ، الإمام العلاّمة ، صاحب التصانيف ، حدَّث عنه أبو بكر الخطيب ووثقه ، ولّي القضاء ببلدان شتى ، ثم سكن بغداد ، له مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والأدب ، منها : «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» ، و« أدب الدنيا والدين». انظر: سير أعلام النبلاء /(١٨/٦٤-٦٨) ، الأعلام /(٤/٣٢٧).

يقبـــلها متمثلاً لما كلف منها ، وقبولها يكون بأدائها ، ثم بشكر الله -تعالى- على ما أنعم به من إسدائها ؛ فإن بنا من الحاجة إلى نعمه أكثر مما كلفنا شكر نعمه».[1]

ولابد للداعي إلى الله أن يحرص على شكر الله -تعالى- في شأنه كله ، فإن نعمه -ســبحانه- سابغة على عباده ، وبشكر الله تدوم النعم وتزداد ، كما ينبغي للداعي إلى الله أن يحث المدعوين على شكر الله ، ويذّكرهم بفضله -سبحانه- ، والذي يجب أن يقابلوه بالحمد والشكر له -جلّ شأنه-.

---

(١) أدب الدنــيا والدين /(ص١٥٠) ، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، تحقيق : ياسين بن محمد السواس.

المطلب الثاني : العفو .

أولاً: تعريف العفو :

أ- تعريف العفو في اللغة :

من الفعل عفا ، والعفو : الفضل.

وأدرك الأمر عفواً صفواً ، أي : في سُهُولة وسَراح.

والعافية : أن يعافيه الله -تعالى- من سقم أو بلية ، وهي الصحة ضد المرض.(1)

«ورجل عفو عن الذنب : عافٍ .

وأعفاه من الأمر : برأه ».(2)

وعفا عن ذنبه عفواً : لم يعاقبه عليه . والعفو من المال : ما زاد على النفقة ، والعفو من الماء : ما زاد على الشاربة ، وأُخذ بلا كلفة ولا مزاحمة .

والعفو : المعروف . والعَفُوُّ : الكثير العفو.(3)

ب- تعريف العفو في الاصطلاح :

أن تستحق حقاً فتسقطه ، وما يُؤدى عنه من قصاص أو غرامة ، وهو غير الحلم والكظم .(4)

ثانياً: العفو من أسماء الله – تعالى- :

العَفُــوّ من أسماء الله -تعالى- ، قال ابن الأثير(5)- رحمه الله -: «عفا في أسماء الله

---

(1) انظر : لسان العرب/(72/15) وما بعدها.

(2) القاموس المحيط /(ص1313).

(3) انظر : المعجم الوسيط /(ص612).

(4) انظر: مختصر منهاج القاصدين /(ص200).

(5) المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري ثم الموصلي ، (544-606هـ) ، مجد الدين أبو السعادات ، قرأ الحديث والعلم والأدب ، وكان رئيساً مشاوراً ، ولّي ديوان الإنشاء وعظم قدره ، ثم عرض لــه فالج في أطرافه ، فلزم داره ، من مصنفاته: «جامع الأصول في أحاديث الرسول» ، و«غريب الحديث » . انظر: سير أعلام النبلاء /(21/ 488-491).

-تعالى- العَفُوّ ، هو فَعُول من العَفْو ، وهو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه ، وأصله المحو والطمس ، وهو من أبنية المبالغة».[1]

وقـــال الغزالي[2]- رحمه الله - : «العَفُوّ من أسماء الله ، وهو الذي يمحو السيئات ويـــتجاوز عن المعاصي ، وهو قريب من الغفور ، ولكنه أبلغ منه ؛ فإن الغفران ينبئ عـــن الستر ، والعفو ينبئ عن المحو ، والمحو أبلغ من الستر ، وحظ العبد من ذلك لا يخفـــى وهو يعفو عن كل من ظلمه بل يُحسن إليه ، كما يُرى الله -تعالى- محسناً في الدنـــيا إلى العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة ، بل وربما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم وإذا تاب عليهم محا سيئاتهم ، إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب لـــه ، وهذه غاية المحو للجناية».[3]

ثالثاً: العفو في سورة الحج :

رغّـــب الله -تعـــالى- في العفو في سورة الحج ، وبيّن أنه يستحب العفو فيما إذا كانـــت الإســـاءة مخصوصة بالعافي كمن أُخذ ماله أو شتم عرضه ونحو ذلك ، مما لا ضـــرر فيه على الشرع ، أو على أحد من الناس ، فإن أبى العفو وطلب القصاص ، فهذا حقه الذي كفله لـــه الشارع ، قال -تعالى- : ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.[4]

أي : ذلك بأن من جُني عليه وُظلم ، فإنه يجوز لـــه مقابلة الجاني بمثل جنايته فإن فعل ذلك ، فليس عليه سبيل ، وليس بملوم ، فإن بُغي عليه بعد هذا فإن الله ينصره ، لأنـــه مظلوم فلا يجوز أن يُبغى عليه بسبب أنه استوفى حقه ، وإذا كان المجازي غيره

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر /(ص٦٢٧).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٧٥) من هذه الرسالة.

(٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى /(ص١٤٠) ، للإمام أبي حامد محمد الغزالي ، عناية : بسام ابن عبدالوهاب الجابي .

(٤) سورة الحج ، الآية (٦٠).

بإساءته إذا ظلم بعد ذلك نصره الله فالذي بالأصل لم يعاقب أحداً ولكن ظُلم وجُني عليه فالنصر إليه أقرب.[1]

ولما بيَّن – سبحانه وتعالى – حق الإنسان في الانتصار لنفسه ممن ظلمه ، حث علـى العفو والمغفرة ، فقال : ﴿.. إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمنتصر حين اتبع هواه في الانتقام ، وأعرض عما ندب الله إليه بقولـه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾،[2]وفـيه ترغيب بالحث على العفو والمغفرة ، فإنه -تعالى- مع كمال قدرتـه وتعالي شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى ، وتنبيه على أنه -تعالى- قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده.[3]

أمـا إذا كانت الإساءة عائدة بالضرر على الشرع ، أو على جماعة من الناس فإنه إن كان فيها أدنى شبهة فللسلطان العفو وإن لم يكن فيها شبهة فليس له العفو .

وحق على المُعَاقِب أن لا يكون سبعاً في انتقامه ، بل لا يعاقب حتى يزول غضبه لـئلا يقدم على ما ليس بواجب ، ولذلك جرت سنة السلطان بحبس المجرم حتى ينظر في جرمه ويعيد النظر فيه .[4]

وخلـق العفـو من الأخلاق المهمة التي ينبغي للداعي إلى الله أن يتخلق بها ؛ لأنه يـتعرض في دعوته إلى كثير من أذى الناس ، وبصبره وحلمه وعفوه عما يلقاه منهم تـثمر دعوته ثماراً يانعة ، وتؤتي جهوده أهدافها المرجوة منها ، كما ينبغي أن يحث المدعوين إلى التخلق بهذا الخلق العظيم ، فبه تسمو النفوس وتصفو من أكدار الحياة ، وتتوثق عرى الروابط الاجتماعية ، وترتقي المجتمعات الإنسانية.

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان/(٥٤٣).

(٢) سورة الشورى ، الآية (٤٣).

(٣) انظر : أنوار التنـزيل وأسرار التأويل /(٢/٩٤).

(٤) انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة /(ص ٣٤٣).

المطلب الثالث: التنفير من الخيانة.

أولاً: تعريف الخيانة:

أ- تعرف الخيانة في اللغة:

خان الشيء خوناً وخيانة ومخانة: نقصه. يقال: خان الحق، وخان العهد. ومنه خان الأمانة: لم يؤدها أو بعضها. وخان فلاناً: غدر به.[1]

وتخونه وخوّنه وخون منه: نقصه. ويقال: تخونته الدهور، وتخومته: أي تنقصته. والتخون له معنيان: أحدهما التنقص، والآخر التعهد.[2]

والخـــون: أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح، والخون: الضعف، وفترة في النظر، ومنه خائن العين؛ للأسد، وخائنة الأعين: ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل، أو ينظر نظرة ريبة.[3]

ب- تعريف الخيانة في الاصطلاح:

« مخالفة الحق بنقض العهد في السر».[4]

ثانياً: حكم الخيانة:

عدَّ الإمام الذهبي[5]-رحمه الله- الخيانة من الكبائر؛ بدليل الحديث الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي - ﷺ- أنه قال: (**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا**

---

(١) انظر: المعجم الوسيط /(ص٢٦٣).

(٢) انظر: لسان العرب /(١٣/١٤٥).

(٣) انظر: القاموس المحيط /(ص١١٩٤).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن الكريم /(ص٣٠٥).

(٥) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (٦٧٣-٧٤٨هـ)، أبو عبدالله، حافظ مؤرخ، علاّمة محقق، ولد في دمشق، ورحل إلى القاهرة، وطاف كثيراً من البلدان، كف بصره في آخر حياته، تصانيفه كبيرة وكثيرة تقـــارب المئة، منها: «سير أعلام النبلاء»، و« تذكرة الحفاظ». انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب /(٦/١٥٣، ١٥٦)، الأعلام /(٥/٣٢٦).

وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان).[1]

وقـــال : « الخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض ، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ، ومالك ، وارتكب العظائم».[2]

ثالثاً: التنفير من الخيانة في سورة الحج :

وصف الله الخائن بالكفور في سورة الحج ؛ للتنفير من هذا الخلق ، وذم أصحابه ، فقال -سبحانه وتعالى- :﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾.[3]

قال أبو السعود[4]- رحمه الله -: « نفي المحبة كناية عن البغض أي أن الله يبغض كـــل خوان في أماناته -تعالى- وهي أوامره ونواهيه ، أو في جميع الأمانات التي هي معظمها كفور لنعمته».[5]

وقال القرطبي[6]- رحمه الله - في سبب نزول هذه الآية : « نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة ، أراد بعض مؤمني مكـــة أن يقتل من أمكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال ، فنـــزلت هذه الآية إلى

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ، باب علامات المنافق ، ح(٣٣) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب خصال المنافق ، ح(١٠٨). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٥ ، ٦٩٠).

(٢) الكـــبائر /(ص١١٨، ١١٩) ، للحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : مشهور ابن حسن بن محمود سلمان.

(٣) سورة الحج ، الآية (٣٨).

(٤) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، (٨٩٨-٩٨٢هـ) ، أبو السعود ، مفسر ، شاعر ، من علماء الترك المســتعربين ، ولد بقرية قرب القسطنطينية ، ودرس ودرّس في بلاد متعددة ، تقلّد القضاء والإفتاء ،كان حاضر الذهن ، سريع البديهة ، من كتبه : « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » في التفسير ، «تحفـــة الطلاب » في المناظرة. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب /(٣٩٨/٨ ، ٤٠٠) ، الأعلام /(٥٩/٧).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم /(١٠٨/٥).

(٦) تقدمت ترجمته في (ص٢٤) من هذه الرسالة.

قوله ﴿كَفُور﴾ فوعد فيها سبحانه بالمدافعة ، وهي أفصح نهي عن الخيانة والغدر».[1]

و أعظم الخيانة خيانة الأمانة التي كُلف بها الإنسان ، قال -تعالى- : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾.[2]

والأمانة هي الفرائض ، عرضها الله على السموات والأرض والجبال ، إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك ، وأشفقوا من غير معصية ؛ ولكن تعظيماً لدين الله أن لا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها ، وهو قوله -تعالى- : ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ يعني غراً بأمر الله.[3]

وتحت هذه الخيانة تدخل جميع أنواع الخيانات الأخرى ؛ لأنها فرع عنها ، والتي تكون بمعصية الله في أوامره ، وتكليفاته ، وباستعمال شيء من نعم الله في هذا ، فقد جعل الله ما في الإنسان من القوى الظاهرة والباطنة أمانة تحت يده ، فهو يستطيع التصرف بها حسب إرادته ، ولكنه مطالب بأن لا يتصرف بها في فعل شر أو ضر أو معصية أو عدوان ، فإذا تصرف بهما في فعل شيء من ذلك فقد خان فيما استأمنه الله عليه .[4]

فهذا الخلق الذميم مما يجب على المسلم عموماً ، والداعي إلى الله على وجه الخصوص تجنبه ؛ لما فيه من خسة لا تتفق مع أخلاق المسلم الفاضلة .

وبهذا يتضح أن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، والتنفير من الأخلاق الذميمة من الموضوعات الرئيسة التي جاءت في سورة الحج ، ومن الواجب على الداعي إلى الله أن يحرص على التخلق بالأخلاق الحسنة ، كما ينبغي له أن يحرص على دعوة الناس إليها ، وإبراز أهميتها وضرورتها للمجتمعات الإنسانية .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن /(١٢/٤٥).

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٧٢).

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم /(٣/٤٨٦).

(٤) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها /(١/٦٥٥).

الفصل الثاني :

الداعي إلى الله في سورة الحج

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مهمة الداعي إلى الله في سورة الحج .

المبحث الثاني : إعداد الداعي إلى الله في سورة الحج .

المبحث الثالث : صفات الداعي إلى الله في سورة الحج .

المبحث الأول: مهمة الداعي إلى الله في سورة الحج .

توطئة :

مهمة الداعي إلى الله هي الدعوة إليه ، وهي تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ؛ لهذا كانت هذه المهمة من أسمى المهام وأشرفها ، فكان أول من قام بها الرسل – عليهم الصلاة والسلام – فتعاهدوا البشرية بالرسالة أزماناً متعددة ، حتى ختمت النبوة ، وتم البناء بأفضل الخلق وأكملهم نبينا محمد - ﷺ- ، ثم حمل الدعاة إلى الله من بعدهم هذه المهمة ، يسعون فيها لإرشاد الناس إلى هذا الدين العظيم ، فتقبلها أناسٍ فتحققت لهم بها السعادة الحقيقية بالطمأنينة النفسية ، والأمن الروحي ، والهداية إلى الطريق المستقيم ، قال الله -تعالى- :﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.[1]

وأعرض عنها آخرون فحاق بهم جزاء ما كانوا يصنعون ، قال-تعالى- :﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.[2]

ومهمة الداعي إلى الله في سورة الحج جاءت تتميز بأمرين عظيمين :

الأمر الأول : أن الدعوة إلى الله مهمة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأتباعهم ، وفي هذا شرف لها يميزها عن باقي المهام .

الأمر الثاني : أن الدعوة إلى الله جاءت توازن بين تبليغ الدعوة إلى الله وبين تطبيق هذه الدعوة في واقع المدعو ، فلا يطغى جانب على آخر.

(١) سورة الحج ، الآية (٥٤) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٧) .

المطلب الأول: الدعوة إلى الله مهمة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

أولاً: حاجة البشر إلى دعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام -:

رسـل الله - عليهم الصلاة و السلام- هم مشاعل الخير ، وحملة الرسالة ، وأول الدعـاة وأكمـلهم ، جـاءوا بالدعوة إلى الله ، فكانت مهمتهم من أشرف المهام وأعلاها، تستمد مكانتها من الوحي الإلهي الذي تحمله ، وتسعى إلى تبليغه وتطبيقه .

قال -تعالى-: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ ﴾.[1]

وحاجة البشر إلى الرسل والرسالات حاجة عظيمة ، فهم النور الذي يضيء للعباد طريقهم ، ويُبين لهم معيشتهم ، ويهديهم إلى صلاح عاقبتهم .

قال الإمام ابن قيِّم الجوزية -رحمه الله- مبيناً ذلك :

« ومـن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ، وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنـيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا يُنال رضى الله ألبته إلا على أيديهم ، فالطيب من الأعمـال والأقوال والأخلاق ، ليس إلا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتمـيز أهـل الهدى من أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحـه ، والعـين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأي ضرورة وحاجة فرضت ، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير ».[2]

ثانياً: منهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام- في الدعوة إلى الله :

للرسـل - علـيهم الصلاة والسلام -منهج متميز في الدعوة إلى الله ، يمر بثلاث

---

(١) سورة الحج ، الآيتان(٧٥ ، ٧٦).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد /(١/ ٤٠) .

مراحل[1]:

١- إعلان الدعوة والأمر بها :

قال -تعالى- : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.[2]

في هـــذه الآية يأمر الله -تعالى- نبينا الكريم محمداً -ﷺ- أن يعلن للناس مهمته وهي الدعوة إلى الله ، وينذرهم من الإعراض عنها .

يقول الإمام أبو جعفر الطبري[3]- رحمه الله- في تفسير الآية : أي قل يا محمد إني « أبــين لكـــم إنذاري ذلك وأظهره ، لتنيبوا من شرككم ، وتحذروا ما أنذركم من ذلك ، لا أملك لكم غير ذلك».[4]

٢-الجدال والتوضيح ، وبيان الآيات الدالة على حقيقة الدعوة :

قال -تعالى- : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾.[5]

فمع وضوح الحق وبيانه إلا أن الجدال من أولي الضلال قد يحتدم كبراً وتعالياً على الحق فيتوعدهم الله بعذابه العظيم ، ويذمهم بصفاهم القبيحة .

قال -سبحانه- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾.[6]

---

(١) انظر : أسس الدعوة وآداب الدعاة /(ص٧٢) ، للدكتور : محمد السيد الوكيل .

(٢) سورة الحج ، الآية (٤٩) .

(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، (٢٢٤-٣١٠هـ) ، أبو جعفر الطبري ، الإمام العَلَم المجتهد ، من أهل آمل طبرستان ، أكثر الترحال ، كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً ، وكان صادقاً ، ثقةً ، حافظاً ، رأساً في التفســير ، إماماً في الفقه ، علاّمة في التاريخ ، عارفاً بالقراءات ، من كتبه: « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » ، و«تاريخ الرسل والملوك » ، و«تاريخ الرجال ». انظر: سير أعلام النبلاء /(١٤/٢٦٧-٢٨٢)، طبقات المفسرين/(٩٥-٩٧).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن /(١٦/٦٠٠).

(٥) سورة الحج ، الآية (١٦).

(٦) سورة الحج ، الآيتان (٣ ، ٤).

وقال -سبحانه- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾.[1]

وفي مقابل ذلك أمر الله -سبحانه وتعالى - رسوله - ﷺ - بترك جدالهم بعد إقامة الحجة عليهم ، قال تعالى :﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.[2]

قال الزجّاج[3]- رحمه الله -: « هو نهي للرسول - ﷺ - عن منازعتهم ».[4]

وقال الشيخ ابن عاشور[5]- رحمه الله -:« عُطف على انتهاء المنازعة في الدين أمر بالدوام على الدعوة وعدم الاكتفاء بظهور الحجة ، كأن المكابرة تجافي الاقتناع ؛ ولأن في الدوام على الدعوة فوائد للناس أجمعين ».[6]

وقال : « وفي قوله ﴿... ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ...﴾ تفويض أمرهم إلى الله- تعالى-، وهو كناية عن قطع المجادلة معهم ، وإدماج بالتعريض بالوعيد والإنذار بكلام موجه صالح لما يتظاهرون به من تطلب الحجة ، ولما في نفوسهم من إبطان العناد ».[7]

---

(١) سورة الحج ، الآيتان (٨ ، ٩).

(٢) سورة الحج ، الآيتان (٦٧، ٦٨) .

(٣) إبراهيم بن محمد بن السَّرِيِّ الزَّجَّاج البغدادي ، أبو إسحاق ، الإمام ، من أهل العلم والأدب والدين ، نحوي زمانه ، لزم المبرِّد فنصحه وعلّمه ، ثم كان من ندماء المعتضد ، له تآليف جمة ، منها : « معاني القرآن » ، و«العروض » ، توفي سنة إحدى عشرة وثلاث مئة . انظر : سير أعلام النبلاء / (١٤/ ٣٦٠) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب /(٢/٢٥٩).

(٤) التحرير والتنوير /(١٦/ ٣٢٩) .

(٥) تقدمت ترجمته في (ص٢٤) من هذه الرسالة.

(٦) التحرير والتنوير /(١٦/ ٣٢٩) .

(٧) المرجع السابق /(١٦/ ٣٣٠) .

والجــدال المذمــوم ليس إلا إشارة على تكذيبهم وعنادهم ؛ لهذا فالله – سبحانه وتعالى – يُسلّي عن رسوله الكريم – ﷺ – بإخباره أن هذا هو ديدن الكفار المعاندين مع الرسل السابقين – عليهم الصلاة والسلام – .

قال-جلّ شأنه -: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ ﴾.[1]

و هذه المجادلة والنقاش مرجعها إلى الله –سبحانه– فيحكم فيها ، قال –تعالى– : ﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ ﴾.[2]

٣–تطبيق شريعة الله – تعالى–:

قال –تعالى– : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ...﴾.[3]

قال الإمام القرطبي[4]– رحمه الله – :« أي شرعاً عاملون به ».[5]

فكل رسول جاء بشرع خاص لقومه وسعى لتطبيقه ، ونبينا الكريم –ﷺ– جاء بالشريعة الإسلامية السمحة للناس عامة ، وعمل بها ، وأمر بالتزامها.

وقد أمر المولى – سبحانه – بتطبيق شرائع الإسلام ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝ ﴾ .[6]

---

(١) سورة الحج ، الآيات (٤٢– ٤٤) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٦٩) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٦٧) .

(٤) تقدمت ترجمته في (ص٢٤) من هذه الرسالة.

(٥) الجامع لأحكام القرآن /(١٢/ ٦٢) .

(٦) سورة الحج ، الآيتان (٧٧ ، ٧٨) .

ففي قوله -تعالى-: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ...﴾ بيان أن الشريعة الإسلامية تميزت عن الشرائع السابقة باليسر ورفع الحرج .

وفي قوله-تعالى- : ﴿...لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ...﴾ ، بيان لتمام دعوة الرسل-عليهم الصلاة والسلام-، واستقامة أمرها ، وقيام الحجة على العباد .

يقول الإمام الشوكاني[1]-رحمه الله-:« ﴿...لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ...﴾ أي بتبليغه إليكم ، ﴿...وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ...﴾ أن رسلهم قد بلغتهم».[2]

ويجب على الداعي إلى الله أن يسعى لتطبيق منهج الرسل – عليهم الصلاة والسلام – في دعوتهم لأقوامهم ، ففيهم قدوة حسنة لمن أراد أن يقوم بمهمة الدعوة إلى الله على الوجه الصحيح .

(١) تقدمت ترجمته في (ص٧٣) من هذه الرسالة.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/(٣/ ٦٧٥) .

المطلب الثاني : التوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله.

أولاً: أهمية التوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله :

جاءت مهمة الداعي إلى الله توازن بين الدعوة إلى الله بلاغاً وبياناً ، وبين تطبيق وتنفيذ ما شرعه الله لعباده في واقع حياتهم ، فلا يكفي دخول الناس إلى دين الله وتركهم هملاً لا يفقهون من شريعته شيئاً ، بل يجب تعليمهم وتوجيههم وتطبيق هذه الشريعة في جميع الأمور .

لهذا فالتوازن بين هذين الأمرين مما تميزت به مهمة الداعي إلى الله .

ففي بداية الدعوة يجب على الداعي أن يجتهد في نقل المدعو إلى آفاق الإسلام ودعوته في قوة وإيمان إلى الربانية الشاملة التي تهيئ للإنسان حياة صالحة وسعيدة ، تعطي للقلب حقه ، وللبدن حقه ، وللنفس حقها ، فيسعى إلى تغيير ما في نفوس المدعوين حتى يغير الله ما بهم من فساد ، وكل دعوة لا تبلغ هذا الهدف أولاً -وقبل كل شيء- أو ترى هذه الغاية التي هي بداية كل خير ، فجهدها ضائع وعملها لا طائل منه.[1]

فإذا حصلت الاستجابة ، وقبل المدعو الدعوة إلى الله ، وجب على الداعي أن يتعهده بما يكفل له المناعة من الانتكاسة والعودة إلى ظلمات الجهل والضلال ، فيبصره بمعالم الدين ، ويثبته عليه ؛ وذلك بتعليمه معالم الإسلام ومعانيه وأفكاره ، فلا يجوز للداعي أن يترك المستجدين وشأنهم بمجرد أنهم قبلوا الإسلام وصاروا من عداد المسلمين ، فقد تبقى فيهم بقايا كثيرة أو قليلة من دائهم القديم : الشرك بأنواعه ، والمعاصي بأنواعها ، مما يعرضهم إلى الانتكاس والرجوع عن الإسلام ، أو السير على غير هدى ، في حين يحسبون أنهم مهتدون.[2]

---

(١) انظر : الدعوة قواعد وأصول /(ص٢٠٧) ، تأليف: جمعة عبدالعزيز.

(٢) انظر: أصول الدعوة /(ص٤٤٢) .

والفهـــم المتوازن لهذه القضية ، يُسَّهِل على الداعي إلى الله عمله ، ويضمن لـــه تحقـــيق الـــثمار اليانعة لهذه الدعوة ، ومن أجل ذلك ينبغي للداعي مراعاتها في أداء مهمته.

ثانياً: التوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله في سورة الحج :

يتضـــح الـــتوازن بين البلاغ والتطبيق في الدعوة إلى الله في سورة الحج بالأمر بإعلان النذارة وتبليغ الدعوة إلى الله في قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.[1]

وقوله : ﴿...وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾.[2]

وبتفصيل وتبيين بعض شريعة الله،[3] والأمر بتطبيقها في مقابل ذلك.

قال -تعالى- :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾.[4]

وقال -تعالى- :﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾.[5]

وقال —سبحانه- :﴿ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟

---

(١) سورة الحج ، الآية (٤٩) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٦٧) .

(٣) سبق تفصيل ذلك عند الحديث عن موضوع الدعوة إلى الله في مجال الشريعة في (ص٥٧) وما بعدها من هذه الرسالة.

(٤) سورة الحج ، الآية (٧٧) .

(٥) سورة الحج ، الآية (٤١) .

بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾.[1]

وذلك في توازن دعوي فريد ، يهتم بتبليغ الدعوة إلى الله إلى جانب الحرص على تطبيق شريعة الله ، وهذا مما امتازت به مهمة الداعي إلى الله .

---

(١) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

المبحث الثاني: إعداد الداعي إلى الله في سورة الحج .

توطئة :

الدعوة إلى الله بحاجة إلى دعاة يفقهون دينهم الفقه الواجب ، ويدركون واقعهم، ويملكون همة عالية لنشر الدعوة إلى الله بين الناس ، ويجعلون ذلك شغلهم الشاغل .

ومن أجل دعاة هذه صفتهم نحن بحاجة إلى إعداد دقيق ، وتهيئة مكثفة لطائفة من أبناء هذا الدين لحمل مهمة الدعوة إلى الله ، ليقوموا بالفرض الكفائي إلى جانب قيام كل مسلم بما يجب عليه على قدر الإستطاعة.

وإعداد الداعي إلى الله في سورة الحج جاء مبنياً على ركيزتين مهمتين :

الركيزة الأولى : صلة الداعي إلى الله بربه -سبحانه وتعالى-، وبقدر هذه الصلة ومـــدى قوتها ومتانتها تؤتي جهود الداعي إلى الله ثمارها المنتظرة -بمشيئة الله-، وبها يستطيع الداعية - بإذن الله- أن يواصل دعوته رغم ما يعترضه من عوائق .

الركيزة الثانية : فهم الداعي إلى الله لآيات الله ، ولما كان الداعية مبلِّغاً عن الله كان من الضروري أن يكون فاهماً لآياته -سبحانه وتعالى- ، فلا يصح أن يبلِّغ ما لا يفهمه ، أو ما أساء فهمه .

فاهتمام الداعي إلى الله بهاتين الركيزتين أمر لازم لأداء مهمته على الوجه الأمثل.

المطلب الأول: صلة الداعية بالله -تعالى- .

أولاً: أهمية صلة الداعية بالله -تعالى-:

الداعية مرشد الناس إلى الله ، وموجههم نحو هذا الهدف ، فكل هدفه أن يعرِّفهم بالله -سبحانه وتعالى- ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة.

وعلى الداعية أولاً أن يقوي صلته بالله ، ويجعل إيمانه قائماً على التفرغ الكامل لمولاه ، والارتباط المطلق به ، والتوكل الراسخ عليه ، والتسليم التام لكل ما يأتي به من غير ارتياب أو حرج ؛ لتكون الدعوة ظاهرة في قوله وفعله.(1)

وقد جاءت بعض الآيات في سورة الحج تقوي هذه الصلة فهي تدعو إلى معرفة الله ، وأنه الواحد المتفرد بالخلق والتدبير ، ذي القوة والجلال ، والعظمة والقدرة.

فالآيات واضحة لا غموض فيها في تقرير وحدانية الله ، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ ...فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ...﴾.(2)

وفي إثبات قدرته ، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾.(3)

وفي الإشارة إلى آيات الله الكونية الدالة على عظمته - جلَّ شأنه - قال:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.(4)

وقال -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ

---

(1) انظر: الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)/(ص٤٤١) .

(2) سورة الحج ، الآية (٣٤) .

(3) سورة الحج ، الآية (٧٤) .

(4) سورة الحج ، الآيات (٦٣- ٦٥) .

سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾.[1]

وفي تقرير علم الله الواسع الذي لا يُغفل شيئًا ، قال-تعالى- :﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾.[2]

فـإن هذه الآيات ، تغرس في الداعية الإيمان بالله ، وتؤدي إلى المعرفة الوثيقة به -سـبحانه -، وتقوي صلته به ، وتجعله يعتقد من قرارة نفسه أن الآجال بيد الله ، وأن مـا أصـابه لم يكـن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله لـه ، وإن اجتمعت عـلى أن يضـروه بشـيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، كما يعتقد من سـويداء قلبه أن الأرزاق بيد الله ، وأن ما قسمه الله للعبد لم يكن لأحد أن يمنعه ، وأن ما أمسكه عنه لم يكن لأحد أن يعطيه ، ويعتقد من أعماق أحاسيسه ومشاعره أن الله – سبحانه – معه ، يسمعه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.[3]

فأهم ما يجب على الداعية ويعينه على القيام بالدعوة توثيق صلته بالله-تعالى- في يقـين وقوة وإيمان ، وتفريغ قلبه لله ، وتقوية الارتباط به ، وترسيخ التوكل عليه ، والتسـليم لـه في كل ما يأتي عن الله ورسوله - ﷺ- من غير ارتياب أو حرج ؛ لـيكون قـيامه بالدعوة ظاهراً في قوله وفعله عن عقيدة إيمانية راسخة وصلة وثيقة بالله، فينطلق بدعوته من مبدأ تحقيق الغاية التي من أجلها خُلق الخلق وهي عبادة الله وحده ، والإيمان بالله الخالق والتسليم له يقتضي ضرورة أن تكون العبادة لـه وحده لا شريك لـه ؛ لأن العبادة هي الحبل الوثيق الذي يربط الإنسان بالله وليس هناك سبيل سواها.[4]

---

(١) سورة الحج ، الآية (٦١).

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٠).

(٣) انظر : سلسلة مدرسة الدعاة /(١٣٩/١) وما بعدها ، للدكتور : عبدالله بن ناصح علوان.

(٤) انظر : صفات الداعية الناجح /(ص٢٢ ، ٢٣) ، تأليف : صالح بن محمد العليوي.

ثانياً: من ثمرات صلة الداعية بالله -تعالى-:

يجني الداعي إلى الله ثمرات كبرى عندما يقوي صلته بالله -تعالى-، من أبرزها :

١- دفاع الله -سبحانه- عن الداعي إلى الله :

أمر الله -سبحانه- عباده المؤمنين بتوثيق صلتهم به ؛ وذلك بالاعتصام به حيث يقول : ﴿...وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾.[1]

و الاعتصام بالله : هو التوكل عليه ، والامتناع به ، والاحتماء به ، وسؤاله أن يحمي العبد ، ويعصمه ، ويدفع عنه.[2]

وفي هـذه الآية يأمر الله -سبحانه- عباده المؤمنين بالثقة به في جميع أمورهم ، وألا يطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه ، فهو ناصرهم ومتولي أمورهم ، إذ لا مثيل لـه -سبحانه- في الولاية والنصرة ؛ بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة.[3]

فمن ثمرات الاعتصام بالله الدفاع عن العبد المؤمن ، قال -تعالى- : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨﴾.[4]

قال الإمام ابن قيِّم الجوزية- رحمه الله - :« فإن ثمرة الاعتصام به : هو الدفع عـن العبد ، والله يدافع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي به إلى العطب ، ويحميه منه ، فيدفع عنه الشبهات والشهوات ، وكيد عدوه الظاهر والباطن ، وشر نفسه ، ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها ، بحسـب قـوة الاعتصـام به وتمكنه ، فَتُفْقَدُ في حقه أسباب العطب ، فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها ، ويدفع عنه قَدَره بقدره ، وإرادته بإرادته ، ويعيذه به منه».[5]

---

(١) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /(٢/٥٣) .

(٣) انظر: أنوار التنـزيل وأسرار التأويل /(٢/٩٨) .

(٤) سورة الحج ، الآية (٣٨) .

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /(٢/ ٥٣ ، ٥٤) .

٢- نصر الله –سبحانه– للداعي إلى الله :

ينصر الله الداعية المؤمن الذي قويت صلته بالله –سبحانه–؛ وذلك لنصره دينه بالدعوة إليه ، وتحمل الأذى في سبيله ، قال –تعالى– :﴿...وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝﴾.[١]

وقد ذكر الله –سبحانه وتعالى– نصره للداعي الأول نبيه محمد –ﷺ– في قوله : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝﴾.[٢]

وهذا النصر ليس سراباً خادعاً ، ولا تمنياً كاذباً ؛ بل وعداً صادقاً من الله – سبحانه وتعالى – لمن ينصر دينه ، فعلى الداعية المؤمن أن يقوي صلته بربه ، ويعْمِر قلبه باللجوء إليه ، والتوكل عليه ، والاعتصام به في شأنه كله حتى يتحقق له النصر منه –سبحانه وتعالى–.

٣- تمكين الله –سبحانه– للداعي إلى الله في الأرض:

من ثمرات صلة الداعية بالله –تعالى– التمكين في الأرض ، وذلك بعد أن ينصره الله على أعدائه ، قال –تعالى–: ﴿...وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝﴾.[٣]

قال الشيخ ابن عاشور[٤]–رحمه الله–:« أي مكّنّاهم بالنصر الموعود به إن نصروا دين الله».[٥]

فإن من ينصر الله ينصره ، ويمكّن له في الأرض جزاء صلته القوية بالله ونصره له.

---

(١) سورة الحج ، الآية (٤٠) .

(٢) سورة الحج ، الآية (١٥) .

(٣) سورة الحج ، الآيتان (٤٠ ، ٤١).

(٤) تقدمت ترجمته في (ص٢٤) من هذه الرسالة.

(٥) التحرير والتنوير/(١٦/٢٨٠).

المطلب الثاني : فهم الداعية لآيات الله -تعالى- .

أولاً: أهمية فهم الداعية لآيات الله -تعالى-:

حوى القرآن الكريم من حقائق الحياة ، وعلومها ، وشؤونها ، وما يُصلح حالها كنوزاً لا يستغني عنها بشر ، فهو كلام الله - سبحانه وتعالى - ، غير مشوب بأهواء البشر ، وتقلباتهم ، نور يهدي ويضيء عتمات ليل البشرية بتشريعات إلهية ، وقيم فاضلة ، وآداب عالية ، وأخلاق سامية ، ﴿ ...تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾.[1]

والداعية المؤمن أشد الناس حاجة لتدبر هذا الكتاب المعجز ، وفهمه فهماً عميقاً ، لما يعود عليه من النفع العظيم .

وقد أنزل المولى -جل شأنه- هذا القرآن بيِّناً ، واضحاً ، ميسراً ، لا غموض فيه ، قال -تعالى- :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴾.[2]

أي : كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد - ﷺ - هذا القرآن آيات بيِّنات ، يعني : دلالات واضحات ، يهدين من أراد الله هدايته للحق ، ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحق من أراد ، أنزل هذا القرآن آيات بيِّنات.[3]

قال الإمام ابن قيِّم الجوزية - رحمه الله - : « وأما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه ، وجمع الفكر على تدبره وتعقله ، وهو المقصود بإنزاله ، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر».[4]

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده ، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن ، وإطالة التأمل فيه ، وجمع الفكر على معاني آياته ؛ فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما ، وعلى طرقاتهما ، وأسبابهما ، وغاياتهما ، وثمراتهما ، ومآل

---

(١) سورة فصلت ، الآية (٤٢) .

(٢) سورة الحج ، الآية (١٦) .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن /(١٦/٤٨٥) .

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /(٢/٣٤) .

أهـــلهما ، وتُتلُّ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة ، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه ، وتشيد بنيانه ، وتوطد أركانه ، وتريه صورة الدنيا والآخرة ، والجنة والنار في قلبه ، وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم وتبصره مواقع العبر ، وتشهده عدل الله وفضله ، وتعرِّفه ذاته ، وأسماءه وصفاته وأفعاله ، وما يحبه وما يبغضه ، وصراطه الموصـــل إليه ، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه ، وقواطع الطريق وآفاقها ، وتعرِّفه النفس وصفاها، ومفسدات الأعمال ومصححاقها ، وتعرِّفه طريق أهل الجنة ، وأهـــل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم ، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة ، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه ، وافتراقهم فيما يفترقون فيه .

وبالجملة تعرِّف الداعية الرَّب الذي يدعو إليه ، وطريق الوصول إليه ، وما لـــه من الكرامة إذا قدم عليه .

وتعـــرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى : ما يدعو إليه الشيطان ، والطرق الموصلة إليه ، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه.[1]

ثانياً: من آثار سوء فهم الداعية لآيات الله -تعالى-:

من أعظم الآثار التي يتركها سوء فهم الداعية لآيات الله -تعالى- ما يلي:

١- سوء التأويل لآيات الله -تعالى- :

سوء التأويل لآيات الكتاب وحملها على معان تُخرجها عما أراد الله بها نوع من التحريف الذي ذَم الله عليه أهل الكتاب ، فقد حرفوا كتبهم لفظاً بالزيادة والنقصان ومعنوياً بسوء التأويل .

أمـــا القرآن فهو محفوظ في الصدور والمصاحف ، ولا سبيل إلى تحريفه تحريفاً لفظياً ، ولكن قد يدخل في تفسيره سوء التأويل ، وهو التحريف المعنوي .[2]

وعدم فهم مراد الآيات ينتهي بالداعية إلى سوء تأويلها ، ومن ثم يؤدي ذلك إلى

---

(١) انظر : مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /(٢/ ٣٥ ، ٣٦) .

(٢) انظر : ثقافة الداعية /(ص٣٣) وما بعدها .د. يوسف القرضاوي .

تحريف مقاصد الشريعة ، وإلى خلل كبير في تطبيقها في واقع الحياة.

٢- سوء التبليغ عن الله -تعالى-:

الداعي إلى الله يهدف إلى نشر العلم الصحيح ، وإلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وسوء فهم آيات الله يحول دون تحقيق ذلك ، بل يؤدي إلى نشر العلم الباطل والأفكار المحرفة ، فإن كل علم لا يقوم على فهم دقيق وعميق لكتاب الله وسنة نبيه -ﷺ- لا يوصل إلى الله .

لهذا كان الفهم العميق من الداعية لآيات الله أمراً ضرورياً يساعده على معرفة مرتكزات سليمة في الدعوة إلى الله ، ويبعده عن مظان الخطأ والزلل ، لا سيما أن الناس يتوجهون للداعي إلى الله لطلب الفتيا ، والاستشارات...ونحوها ، وسوء فهمه لآيات الله يؤدي به إلى الإفتاء بغير علم ، وإلى تضليل الناس ، وتشويه الحقائق .

المبحث الثالث: صفات الداعي إلى الله في سورة الحج .

توطئة :

للداعي إلى الله صفات مُثلى ، ينبغي أن يتصف بها كل داع حريص على توجيه الناس وإرشادهم إلى الخير ، فصفات الداعي إلى الله ليست مقتصرة عليه وحده ؛ وإنما ترتبط بدعوته ، وتؤثر تأثيراً مباشراً في علاقاته ومعاملاته مع غيره من الناس .

ولا يقتصر هذا التأثير على علاقته بغيره من بني الإنسان ؛ بل يتعدى ذلك إلى علاقته بربه وخالقه – سبحانه وتعالى – في مفهوم أسمى وأعلى .

فإن صفات الداعي إلى الله ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإيمانه بالله ، وبرسوله – ﷺ – ، فالإسلام حثَّ على أكرم الصفات وأفضلها ، ونهى عن سفاسفها ، وبقدر إيمان الداعي وإخلاصه تتجلى أكمل الصفات السامية التي هي ثمرة من ثمرات الإيمان والعبادة .

وفي سورة الحج جاءت بعض الآيات تحث على بعض الصفات الكريمة التي ينبغي للداعي إلى الله أن يحرص على تطبيقها في شأنه كله ، فدعا –سبحانه وتعالى- إلى الإحسان في عبادته ، والإحسان إلى عباد الله ، وأمر بتقواه ، وحثَّ على تعظيم حرماته ، كما أمر – تعالى- رسوله الكريم – ﷺ- بتبشير المخبتين إليه ؛ الوجلة قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ، والمنفقين لما رزقهم الله فيما يرضي الله .

وأيضاً أمر –جلَّ شأنه- باجتناب بعض الصفات المذمومة كقول الزور ، والمجادلة بالباطل .

المطلب الأول: الإحسان .

أولاً: تعريف الإحسان :

أ- تعريف الإحسان في اللغة :

الإحسان من الفعل الثلاثي حسن ، وهو: ضد الإساءة .

يقال: رجل مُحسن ومحسان .

وأحسنتُ بفلان ، وأسأت بفلان ، أي : أحسنت إليه ، وأسأت إليه ، ويقال : أَحْسِنْ بنا ، أي : أحسن إلينا ، ولا تسئ بنا .

وحسَّنت الشيء تحسُّناً : زيَّنته.[1]

وحَسُنَ حُسْناً : جَمُل ، فهو حسن.

وأحسن الشيء : أجاد صنعه وأتقنه.[2]

ب- تعريف الإحسان في الاصطلاح :

«هو ما يكون متعلق المدح في العاجل ، والثواب في الآجل ».[3]

ويختلف معنى الإحسان في الاصطلاح بحسب وروده في السياق :

أ- إذا اقترن بالإيمان والإسلام دل على مراتب الدين ، وتعريفه على هذا المعنى كما عرَّفه رسول الله -ﷺ- في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما سأله جبريل - عليه الصلاة والسلام- عن الإحسان ، فقال : **(أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).**[4]

ب- إذا ورد مطلقاً فُيراد به فعل ما هو حسن ، وفيه يقول فضيلة الشيخ محمد ابن عثيمين - رحمه الله - :« الإحسان ضد الإساءة وهو أن يبذل

---

(١) انظر: لسان العرب /(١٣/ ١١٥ - ١١٧).

(٢) انظر : المعجم الوسيط /(ص١٧٤).

(٣) التعريفات /(ص١٠١) .

(٤) سبق تخريج هذا الحديث في (ص٣٢) من هذه الرسالة.

الإنســـان المعروف ، ويكف الأذى ، فيبذل المعروف لعباد الله في ماله ، وجاهه ، وعلمه ، وبدنه».[1]

ثانياً: أنواع الإحسان :

الإحسان نوعان :

أ- **إحسان في عبادة الله :**

وهو مرتبتان :

١- (**أن تعـــبد الله كأنك تراه**) ؛ وهذه العبادة عبادة طلب وشوق ، وعبادة الطلـــب والشـــوق يجد الإنسان من نفسه حاثاً عليها ؛ لأنه يطلب هذا الذي يحبه ، فهو يعبده كأنه يراه ، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه .

٢- (**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**) ؛ وهذه العبادة عبادة هرب وخوف ؛ ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان ، فإذا لم تكن تعبد الله -عز وجل- كأنك تراه وتطلبه ، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه فإنه يراك .[2]

ب- **إحسان لعباد الله :**

ويكون ذلك بإحدى ثلاث :

١- الإحســـان باللســـان ؛ وذلـــك بحسن الخلق ، والشفاعة عند أصحاب المناصب ، وتعليم الناس ، ونحو ذلك .

٢- بالمال ؛ مثل أن يتحمل دفع الديات ، وإكرام الضيف ، وبذل الصدقات.

٣- بـــالفعل ؛ ويكـــون بالعفو عن المسيء ، والصفح الجميل عن المذنب ، وكظم الغيظ والدلالة على الخير ، ونحو ذلك.[3]

---

(١) شرح ثلاثة الأصول /(ص١١٨) .

(٢) انظر : المرجع السابق /(ص١١٩).

(٣) انظر : موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية /(٥/٧٤) وما بعدها ، الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك .

ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج الإحسان:

مـــن أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الداعي إلى الله الإحسان ، وقد بشر الله المتصفين بها في قوله –تعالى- :﴿..وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.[1]

يقـــول الشـــيخ العلاّمـــة عبد الرحمن السعدي[2]-رحمه الله- في تفسير الآية : « ﴿..وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾. بعـــبادة الله بأن يعبدوا الله كأنهم يرونه ، فإن لم يصـــلوا إلى هـــذه الدرجة فليعبدوه معتقدين وقت عبادتهم اطلاعه عليهم ، ورؤيته إياهم ، والمحسنين لعباد الله بجميع وجوه الإحسان ؛ من نفع مال أو علم أو جاه أو نصـــح أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو كلمة طيبة ونحو ذلك ، فالمحسنون لهم البشارة من الله بسعادة الدنيا والآخرة ، وسيحسن الله إليهم كما أحسنوا في عبادته ولعباده ».[3]

والإحســـان مـــن عناصر التربية الواعية ، وقد دلّ على ذلك قوله –تعالى- : ﴿...وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾،[4]وهو في صورته العليا صفة رب العالمين، لأن الإســـاءة تنتج عن الجهل والعجز والقصور وما إلى ذلك من أوصاف مستحيلة على الله ، فإنه- سبحانه وتعالى- أخبر عن صنعه للكون الكبير ، فقال : ﴿...صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ ..﴾،[5] وطلب من الناس أن يفتشوا عن مآخذ في هذه الصناعة الباهرة وهيهات أن يجدوا ذلك ، قال تعالى :﴿...مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ

---

(١) سورة الحج ، الآية (٣٧) .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٩٨) من هذه الرسالة.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان/(ص٥٣٩).

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٩٥) .

(٥) سورة النمل ، الآية (٨٨) .

خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ ﴾.[1]

والله -سبحانه وتعالى – عندما نشر أبناء آدم فوق الأرض ، وأناط بهم عمارة هذا الكون كلفهم –كي يكونوا ربانيين– أن يحسنوا العمل .

وعن شدَّاد بن أوس[2]-رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: (**إن الله كتب الإحسان على كل شيء...**)[3].[4]

وكل شيء من ربنا إحسان منه إلينا ، قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية -رحمه الله-: « ففي كل ما خلقه الله إحسان إلى عباده ، يُحمد عليه حمد شكر ، وله فيه حكمة تعود إليه ، يستحق لأجلها أن يُحمد عليه حمداً يستحقه لذاته ».[5]

ولهذا كان الإحسان في عبادة الله من أهم الصفات التي ينبغي للداعي إلى الله أن يتحلى بها ؛ فهي أفضل منازل العبودية وأعلاها وأكملها ، وهي المعين له في دعوته إلى الله .

كما أن الإحسان إلى عباد الله من صفات عباد الله المؤمنين الذين يؤثرون رضي الله على ما سواه ، ويرجون رحمته – سبحانه وتعالى – ، والداعية بإحسانه إلى الناس يكسب قلوبهم ومحبتهم ويتهيأون لسماع حديثه ، والأخذ عنه ، وهو الطريق الأسرع لتحقيق غايته .

وإذا تدبر الداعي إلى الله ما هو فيه من نعم الله ، وعظيم إحسانه – سبحانه

---

(١) سورة الملك ، الآيتان (٣ ، ٤) .

(٢) شدَّاد بن أوس بن ثابت الخزرجي ، ابن أخي حسَّان بن ثابت ، أبو يَعْلَى ، وقيل : أبو عبدالرحمن ، روى عن النبي -ﷺ- وعن كعب الأحبار ، كانت له عبادة واجتهاد في العمل ، توفي سنة ثمان وخمسين ، وهو ابن خمس وسبعين سنة . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة /(٢٥٨/٣ ، ٢٥٩).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الصيد ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل ، وتحديد الشفرة ، ح (٥٧). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص١٠٢٧).

(٤) انظر : المحاور الخمسة للقرآن الكريم /(ص١٩٤ ، ١٩٥) ، للشيخ : محمد الغزالي .

(٥) الحسنة والسيئة /(ص٦٩) ، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية . تحقيق وتقديم : د. محمد بن جميل غازي .

وتعالى- ، أدرك عظم هذه الصفة ، وأنه ينبغي لـــه أن يتزود بها في مسيرته إلى الله ، يطلـــب وجـــه الله بإحســـانه إلى الناس ، ويسعى إلى تحسس حاجات المدعوين ، والمسارعة إلى قضاء حاجاتهم دون أن يحتاجون إلى ذكرها .

فإن اتصافه بهذه الصفة المثلى توجب لـــه محبة الناس وقبولهم لـــه ؛ فيُسَّهِل ذلك عليه دعوتهم ، والأخذ بأيديهم عن ورود مواطن الهلاك .

المطلب الثاني: التقوى .

أولاً: تعريف التقوى:

أ- تعريف التقوى في اللغة :

مـــن الفعل الثلاثي وَقَى : وقاه الله وَقْياً ووَقَايَة ووَاقِية : صانه . ووقَيتُ الشيء أقيه : إذا صنته وسترته عن الأذى .

وقد توقيت واتقيت الشيء: حَذِرْتهُ ، والاسم : التقوى .[1]

واتقى بالشيء : جعله وقاية له من شيء آخر .

والتقوى : الخشية والخوف .

واتقى الله : خاف عقابه ، فتجنب ما يكره.[2]

ب- تعريف التقوى في الاصطلاح :

عـــرَّفها طلق بن حبيب[3] -رحمه الله- فقال : « التقوى عمل بطاعة الله رجاء رحمـــة الله على نور من الله ، والتقوى ترك معصية الله مخافة عقاب الله على نور من الله».[4]

قـــال الذهـــبي[5]-رحمه الله- معلّقاً على ذلك :«أبدع وأوجز ، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم والاتباع ، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله ».[6]

---

(١) انظر : لسان العرب/(١٥/ ٤٠١ ، ٤٠٢) .

(٢) انظر : المعجم الوسيط /(ص١٠٥٢).

(٣) طلق بن حبيب العنـــزي البصري ، تابعي زاهد كبير ، من العلماء العاملين ، ثقة صدوق ، من أعبد أهل زمانـــه ، كان طيب الصوت بالقرآن ، برّاً بوالديه ، توفي قبل المئة . انظر: سير أعلام النبلاء /(٤/٦٠١-٦٠٣) ، تهذيب التهذيب /(٢/٢٤٥ ، ٢٤٦).

(٤) أخرجه الإمام ابن أبي شيبة في كتاب الزهد ، باب حديث طلق بن حبيب ، ح(٣٥١٥٠). انظر: الكتاب المصـــنف في الأحاديث والآثار /(٧/١٩٠) ، للإمام الحافظ أبي بكر عبدالله ابن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي ، ضبطه وصححه : محمد عبدالسلام شاهين.

(٥) تقدمت ترجمته في (ص١٠٣) من هذه الرسالة.

(٦) سير أعلام النبلاء /(٤/٦٠١).

وأصل التقوى : أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معصيته.[1]

ثانياً: مراتب التقوى :

للتقوى ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : التوقي عن العذاب المخلد بالتبرؤ من الكفر ، وعليه قوله -تعالى- : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾.[2]

المرتبة الثانية : التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك، حتى الصغائر، وهو المراد في قوله -تعالى- : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.[3]

المرتبة الثالثة : أن يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق — عز وجل — ويتبتل إليه بكليته ، وهي التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله -تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.[4] [5]

ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج التقوى:

تقوى الله -سبحانه وتعالى- من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعي إلى الله، لما فيها من الاستجابة لأمر الله -تعالى- ، فقد أمر الله عباده في مواضع عدة من

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم /(٣٩٨/١) ، للإمام الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشهير بابن رجب ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، إبراهيم باجس.

(٢) سورة الفتح ، الآية (٢٦) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٩٦) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٠٢).

(٥) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم /(٢٨/١).

كتابه الحكيم بلزوم تقواه ، قال -تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾.[1]

وقال -تعالى-:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝ ﴾.[2]

وهي زاد عظيم للداعي إلى الله تعينه على عوائق الطريق ، ولها عاقبة حسنة تؤول إليها .

فقد بشّر المولى -سبحانه- عباده المتقين ببشارات عدة منها : البشرى بالكرامات ، والبشرى بالعون والنصرة ، وبالعلم والحكمة ، وتكفير الذنوب ، وتعظيم الأجر والثواب ، والمغفرة ، والتيسير والسهولة في الأمر ، والخروج من الغم والمحنة ، والرزق الواسع ، والنجاة من العذاب والعقوبة ، والفوز بالمراد ، والتوفيق والصحة ، والشهادة لهم بالصدق ، والبشارة بالكرامة ، والبشارة بمحبة الله ، والفلاح ، والجنات والعيون، والأمن من البلية ، وعز الفوقية على الخلق ، وزوال الخوف والحزَن والعقوبة ، والأزواج الموافقة في الجنان ، وقرب الحضرة واللقاء والرؤية عند مليك مقتدر.[3]

وكل هذه البشارات مما يسعى إليها المسلم عامة ، والداعي إلى الله خاصة لما يلقاه في طريق دعوته من صوارف شتى تتطلب تقوى الله في السر والعلن ، استجابة لأمر الله بلزوم تقواه ، وطمعاً في الفوز بهذه البشارات.

وقال أبو حاتم[4]- رحمه الله - : «لن تصفو القلوب من وجود الدرن فيها حتى

---

(١) سورة الحج ، الآية (١) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٢) .

(٣) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/(٣٠١/٢) وما بعدها ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : محمد علي النجار، عبدالعليم الطحاوي .

(٤) محمد بن حبَّان بن أحمد بن حبَّان التميمي الدارميُّ البستيّ ، أبو حاتم ، الإمام العلاّمة ، الحافظ المجود ، ولد سنة بضع وسبعين ومئتين ، كان على قضاء سمرقند زماناً ، من فقهاء الدين ، وحفّاظ الآثار ، وكان ثقةً نبيلاً فهماً ، له تصانيف عدة ، منها : «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» ، و«غرائب الكوفيِّين» ، توفي بسجستان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة . انظر : سير أعلام النبلاء /(١٦/٩٢-١٠٤) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب /(١٦/٣).

تكون الهمم في الله هماً واحداً ، فإذا كان كذلك ، كُفي الهم في الهموم إلا الهم الذي يؤول متعقبه إلى رضا الباري - جل وعز - بلزوم تقوى الله في الخلوة والملأ ، إذ هو أفضل زاد العقلاء في دَارَيْهِمْ ، وأجلُّ مطية الحكماء في حالَيْهم ».[1]

ولأجل ذلك كانت تقوى الله من الصفات الرئيسة التي ينبغي للداعي إلى الله أن يتحلى بها ، ويحرص عليها ، ويدعو الناس إلى الأخذ بها ولزومها.

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء /(ص٣٢) ، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، محمد بن عبدالرازق حمزة ، محمد بن حامد الفقي .

المطلب الثالث: تعظيم حرمات الله -تعالى-.

أولاً: تعريف تعظيم حرمات الله:

تتكون صفة تعظيم حرمات الله من لفظين، هما:

التعظيم، والحرمات، وسأبين المعنى اللغوي لكلٍ منها، ثم أُبين المعنى الاصطلاحي لحرمات الله، وتعظيم حرمات الله.

أ- التعريف اللغوي:

- **تعريف التعظيم في اللغة:**

التعظيم: مصدر عظَّم. يعظِّم تعظيماً وأعظمه: فخَّمه، وكبَّره.

واستعظمه: رآه عظيماً، كأعظمه.

واستعظم الرجل: تكبَّر، كتعظَّم.

والعظموت كجبروت: الكبر، والنخوة، والزهو، وأما عظمة الله -تعالى-، فلا توصف بهذا.[1]

- **تعريف الحُرمات في اللغة:**

الحِرْمُ، بالكسر: الحرام، والجمع حُرُمٌ.

وحَرَمَهُ الشيء: مَنَعَهُ.[2]

وتَحَرّم منه بحُرْمه: تَحَمّى وتمنَّع.

والمَحْرَمة والمَحْرُمة: ما يحرم انتهاكه من عهد أو ميثاق أو نحوهما.[3]

والحُرُمَات: جمع حُرمة، وهي ما لا يحل لك انتهاكه.

والمحَارِمُ: ما لا يحل استحلاله.[4]

---

(١) انظر: القاموس المحيط /(ص١١٣٩).

(٢) انظر: المصدر السابق/(ص١٠٩١، ١٠٩٢).

(٣) انظر: المعجم الوسيط /(ص١٦٩).

(٤) انظر: لسان العرب /(١٢/١٢٢).

ب- التعريف الاصطلاحي :

- **تعريف حرمات الله في الاصطلاح :**

هي كل ماله حرمة ، وأُمِرَ باحترامه بعبادةٍ أو غيرها ، كالمناسك كلها ، وكالحرم والإحرام ، وكالعبادات التي أمر الله العباد القيام بها.(١)

- **تعريف تعظيم حرمات الله في الاصطلاح :**

العلم بأن حرمات الله واجبة المراعاة والحفظ ، والقيام بمراعاتها ، وحفظ حرمتها، وعدم التعدي فيما كان محرَّماً منها.(٢)

ثانياً: أهمية تعظيم حرمات الله :

لتعظيم حرمات الله أهمية كبيرة في الشريعة الإسلامية ، ومما يدل على ذلك:

١- أن الله أعدَّ لمن عظَّم حرماته خيراً كثيراً :

قال -تعالى- : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ...﴾.(٣)

قال الإمام العلاَّمة ابن كثير(٤)- رحمه الله -: « أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه فله على ذلك خير كثير ، وثواب جزيل ، فكما على فعل الطاعات ثواب كثير ، وأجر جزيل ، كذلك على ترك المحرمات ، واجتناب المحظورات».(٥)

٢- أن الله أعدَّ عذاباً عظيماً لمن همَّ بالسيئة في حرم الله بسبب همِّه بذلك ، بخلاف البقاع الأخرى فلا يعاقب فيها بالهَّم .

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان /(ص٥٣٧).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/(٣/٣١)، تفسير النَّسَفي(المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل)/(٣/١٠١) ، لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النَّسَفي .

(٣) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٤) تقدمت ترجمته في (ص٤٧) من هذه الرسالة.

(٥) تفسير القرآن العظيم /(٣/ ٢٠٧) .

قال -تعالى- :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.[1]

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : «لو أن رجلاً همَّ فيه بإلحاد وهو بِعَدَن أَبْيَنَ[2] لأذاقه الله -عز وجل- عذاباً أليماً ».[3]

قال الإمام العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي[4]-رحمه الله- :« فمجرد إرادة الظلم والإلحاد في الحرم موجب للعذاب ، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم».[5]

٣- تعظيم رسول الله -ﷺ- لحرمات الله ، فكان إذا انتهكت حرمات الله انتقم لله -تعالى-.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : **«ما خُيِّر النبي - ﷺ - بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم ، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه ، والله ما انتقم لنفسه في**

---

(١) سورة الحج ، الآية (٢٥) .

(٢) أَبْيَنُ : موضع في جبل عدن في اليمن. انظر: معجم البلدان /(٨٦/١)، للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي.

(٣) أخرجه الهيثمي في كتاب التفسير ، باب سورة الحج ، برقم (١١١٨٤) ، وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح » ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد /(١٧١/٧) ، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق : عبدالله بن محمد الدرويش ، وأخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير ، باب نار جهنم سوداء لا يضيء لهيبها ولا جمرها ، برقم (٣٥١٢) ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه » ، المستدرك على الصحيحين /(ص٦٨٤) ، للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الحج ، برقم (١٣٨٦١) ، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله -ﷺ- والصحابة والتابعين/(٢٤٨٣/٨).

(٤) تقدمت ترجمته في (٩٨) من هذه الرسالة.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان /(ص٥٣٦).

شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله».[1]

٤- أن تعظيم حرمات الله يحفظ الأمن والسلام للحياة البشرية ، وينظم حياة الإنسانية ، ويقودها إلى الطمأنينة والاستقرار.

يقول سيد قطب- رحمه الله - : «تعظيم حرمات الله يتبعه التحرج من المساس بها وذلك خير عند الله ، خير في عالم الضمير والمشاعر ، وخير في عالم الحياة الواقع، فالضمير الذي يتحرج هو الضمير الذي يتطهر ، والحياة التي تُرعى فيها حرمات الله هي الحياة التي يأمن فيها البشر من البغي والاعتداء ويجدون فيها متابة أمن ، وواحة سلام ، ومنطقة اطمئنان».[2]

ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج تعظيم حرمات الله:

إن عظمة الله – تعالى- في قلب الداعي إلى الله تقتضي تعظيم حرمات الله ، وتعظيمه حرماته تحول بينه وبين الذنوب والمعاصي ، وحين يهون عليه أمر الله ونهيه، ويجترئ عليه بالمعاصي ، فإن الله – عز وجل- يرفع مهابته من قلوب الخلق ، فيهون عليهم ، ويستخفون به كما هان عليه أمره واستخف به ، فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس ، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس ، وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظم الناس حرماته ، وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع أن لا ينتهك الناس حرماته ؟ أم كيف يهون عليه حق الله ولا يُهوِّنه الله على الناس ، أم كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به الخلق ؟[3]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود ، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله ، ح (٦٧٨٦) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل ، باب مباعدته -ﷺ- للآثام ، واختياره من المباح أسهله ، وانتقامه لله -تعالى- عند انتهاك حرماته ، ح (٧٧). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٥٦٦ ، ١٠٨٨).

(٢) في ظلال القرآن /(٤/ ٢٤٢١).

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي/(ص١١٩ ، ١٢٠)، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيِّم الجوزية ، تحقيق : أبي حذيفة عبيدالله بن عالية.

قال -تعالى- :﴿ ...وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ...﴾.[1]

كما أن تعظيم حرمات الله – تعالى- دليل على قوة إيمان الداعي إلى الله ، وشدة خشيته لله ، فإن ذلك يردعه عن انتهاك ما نهى الله عنه ، ويدفعه إلى فعل ما أمر الله بـه ، وبذلك تتضح عبوديته لله وحده لا شريك لـه ، وتزداد صلته بالله ، فيراقب الله في سره وعلانيته ، وفي أحواله كلها.

فتعظيم حرمات الله صفة عظيمة ، ينبغي للداعي أن يلتزم بها ويحرص عليها ، ويدعو الناس إليها ، لأثرها في نفسه وفي الآخرين ، فهي باب عظيم للخير وعد الله به من عَظَّم حرماته من عباده المؤمنين ، قال -تعالى- : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ...﴾.[2]

كما أن تعظيم حرمات الله سبب لدخول الجنَّة ، فعن جابر -ﷺ- قال : أتى النبي -ﷺ- النعمان بن قوقل[3] -ﷺ- فقال : « يا رسول الله ، أرأيت إذا صليتُ المكتوبة ، وحرَّمتُ الحرام ، وأحللتُ الحلال ، أأدخل الجنة ؟ » فقال النبي -ﷺ-: **(نعم)**.[4]

كما أنها تؤدي إلى حفظ أمن المجتمعات ، ونزول البركات ، والمجتمع المعظّم لحرمات الله يرفل بالأمن والسلام لالتزامه بشرع الله.

---

(١) سورة الحج ، الآية (١٨).

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٣) النعمان بن قَوقَلَ بن أصرم بن فهر بن ثعلبه بن غَنم بن عمرو بن عوف ، ويقال : إن قوقلاً لقب ، واسمه ثعلبة أو مالك بن ثعلبة ، لـه صحبه ، شهد بدراً ، وذُكر أنه استشهد بأحد . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة/(٦/٣٥٥ ، ٣٥٦).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنَّة ، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنَّة ، ح(١٦). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٦٨٣).

المطلب الرابع: الإخبات .

أولاً: تعريف الإخبات:

أ- تعريف الإخبات في اللغة :

الإخبات مصدر.

وخبت المكان خبتاً : اطمأن .

وخبت ذكره : خفي .

وأخبت : خشع وتواضع . وأخبت إليه : اطمأن .

والخبت من الأرض : ما انخفض واتسع ، والخبت : المنخفض فيه رمل ، والوادي العميق الممدود ، فيه نبات.[1]

ب- تعريف الإخبات في الاصطلاح :

هو أول مقامات الطمأنينة ، وهو: ورود المأمن من الرجوع والتردد.[2]

يقول الإمام ابن قيِّم الجوزية – رحمه الله – في بيان هذا التعريف : « لما كان الإخبات أول مقام يتخلص فيه السالك من التردد الذي هو نوع غفلة وإعراض ، والسالك مسافر إلى ربه ، سائر إليه على مدى أنفاسه ، ولا ينتهي مسيره إليه مادام نفسه يصحبه ، شبَّه حصول الإخبات له بالماء العذب الذي يَرِدُه المسافر على ظمأ وحاجة في أول مناهله ، فيرويه مورده ، ويزيل عنه خواطر تردده في إتمام سفره ، أو رجوعه إلى وطنه لمشقة السفر ، فإذا ورد ذلك الماء : زال عنه التردد وخاطر الرجوع . كذلك السالك إذا ورد مورد الإخبات تخلص من التردد والرجوع ، ونزل أول منازل الطمأنينة بسفره ، وجَدَّ في السير ».[3]

---

(١) انظر: المعجم الوسيط /(ص٢١٤) .

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /(٢/١٦٨).

(٣) المصدر السابق/(٢/١٦٨، ١٦٩) .

ثانياً: صفات المخبتين في سورة الحج:

المخبـــتون هم المطمئنون بذكر الله ، أو المتواضعون الخاشعون ، فالإخبات من الخبت وهو المطمئن من الأرض.[1]

وقـــد أمر الله – سبحانه وتعالى – نبيه الكريم -ﷺ- بتبشير المخبتين في سورة الحـــج ، كما بيَّن صفاهم فقال :﴿ ...وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.[2]

وقد عرض الإمام الشوكاني[3]– رحمه الله – إلى بيان الصفات الأربع للمخبتين فقال:«وصف – سبحانه– هؤلاء المخبتين بقوله﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...﴾ أي : خافت وحذرت مخالفته ، وحصول الوجل منهم عند الذكر لـــه – سبحانه – دلـــيل على كمال يقينهم وقوة إيماهم ، ووَصَفهم بالصبر﴿...عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ...﴾ من الـــبلايا والمحـــن في طاعة الله ، ثم وَصَفهم بإقامة ﴿...ٱلصَّلَوٰةِ...﴾ أي : الإتيان بها في أوقاها على وجه الكمال ، ثم وَصَفهم–سبحانه– بقوله ﴿...وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي : يتصدقون به وينفقونه في وجوه البر ، ويضعونه في مواضع الخير».[4]

وسأبين هذه الصفات الأربع فيما يلي .

أ) الوجل :

أولاً: تعريف الوجل :

أ- تعريف الوجل في اللغة :

الوجل مصدر وَجِلَ يوجل وَجَلاً بالفتح : الفزع والخوف.[5]

---

(١) انظر: تفسير النَّسَفي(المسمى مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل)/(٣/١٠٢).

(٢) سورة الحج ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥) .

(٣) تقدمت ترجمته في (٧٣) من هذه الرسالة.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير /(٣/ ٦٤٧ ، ٦٤٨) .

(٥) انظر : لسان العرب /(١١/ ٧٢٢) .

ب- تعريف الوجل في الاصطلاح :

هو: «رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه، وعقوبته، أو لرؤيته».[1]

وجعل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- الوجل بمعنى الخوف.[2]

ومما يدل على ذلك أن عائشة -رضي الله عنها- قالت : «سألتُ رسول الله -ﷺ- عن هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ... ﴾»[3] قالت عائشة: « أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ » قال : (**لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم** ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴾[4]).[5]

ثانياً: درجات الخوف من الله :

الخوف من الله على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الخوف من العقوبة ، وهو الخوف الذي يصح به الإيمان ؛ وهو خوف العامة ، وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجناية ، ومراقبة العاقبة بحيث لا ينساها .

الدرجة الثانية : خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة المشوبة بالحلاوة ، فإن من حصلت له اليقظة بلا غفلة ، واستغرقت أنفاسه فيها ، استحلى ذلك ؛ لهذا ينبغي عليه أن يخاف المكر وانقلاب الحال ، وسلب هذه اليقظة.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /(٢/ ١٣٨) .

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية /(٧/ ١٩).

(٣) سورة المؤمنون ، الآية (٦٠).

(٤) سورة المؤمنون ، الآية (٦١).

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله -ﷺ- ، باب ومن سورة المؤمنين ، ح (٣١٧٥) ، وقال العلامة المحدِّث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني عن الحديث : «صحيح» ، انظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح)/(ص٧١٤).

الدرجـــة الثالثة : وهي درجة الخاصة ، وليس فيها خشية الخوف ؛ وإنما هيبة الجـــلال ، وذلـــك لأن وحشـــة الخوف إنما يكون مع الانقطاع والإساءة ، وأهل الخصوص أهل وصول وقرب من الله ، فليس خوفهم كخوف المسيئين المنقطعين ؛ لأن الله – عز وجل – معهم بصفة الإقبال عليه ، وهذا بخلاف هيبة الجلال ، فإنها مـــتعلقة بذاتـــه وصفاته ، وكلما كان عبده لـــه أعرف وإليه أقرب ، كانت هيبته وإجلاله في قلبه أعظم .(١)

ثالثاً: من ثمرات الخوف من الله :

الخـــوف ليس مقصوداً لذاته ؛ بل مقصودٌ لغيره ؛ وله ثمرات كبرى ، فالخوف المحمود الصادق : ما حال بين صاحبه ومحارم الله ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.(٢)

ومـــن ثمراته أنه يقمع الشهوات ، ويكدِّر اللذات ، فتصير المعاصي المحبوبة عند الإنســـان مكروهة ، فتحترق الشهوات بالخوف ، وتتأدب الجوارح ، ويذل القلب ويستكين ، ويفارقه الكِبر والحقد والحسد ، ويصير مستوعب الهمّ لخوفه ، والنظر في خطـــر عاقبـــته ، فلا يتفرغ لغيره ، ولا يكون لـــه شغل إلا المراقبة ، والمحاسبة ، والمجاهدة ، فلا شغل لـــه إلا ما وقع فيه من الأعمال ، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قـــوة الخـــوف ، وقـــوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله - تعالى - وصفاته ، وبعيوب النفس ، وما بين يديها من الأخطار والأهوال.(٣)

رابعاً: من صفات الداعي المخبت إلى الله في سورة الحج الخوف من الله:

الخـــوف مـــن الله هي الصفة الأولى التي يتصف بها المخبتون ، قال – تعالى- : ﴿ ...وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... ﴾.(٤)

---

(١) انظر : مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين /(٢/ ١٤١) وما بعدها .

(٢) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز /(٢/ ٥٧٧) .

(٣) انظر : مختصر منهاج القاصدين /(ص٣٣٢) .

(٤) سورة الحج ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥) .

فالخوف من الله هو حال العارفين بالله ، الخائفين من سطوته وعقوبته ، وذلك لقـــوة يقيـــنهم ومراعاقم لرهم وكأهم بين يديه ، وليس كما يفعله بعض المبتدعة والجهال من الصراخ والعويل ، والزعم أن ذلك من أجل الوجل والخشوع عند ذكر آيات الله !!

ولم يكـــن هذا هدي رسول الله - ﷺ -، ومن بعده أصحابه - ﷺ - ، وهم أعـــرف الناس بالله — تعالى—، وأخوفهم منه وأكثرهم تعظيماً لجلاله ، وإنما كانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله ، والبكاء خوفاً من الله .[1]

والداعي إلى الله المخبت لـــه يوجل قلبه عند ذكر الله ، فيذكر سلطانه —سبحانه وتعالى– ، وعظيم شأنه ، ويرتجف ويهتز وجدانه هيبة وإجلالاً لمولاه رب السموات والأرض ، وخوفـــه من ربه لايؤدي به إلى القنوط واليأس ، وإنما يدفعه إلى مراقبة حاله ، ومحاسبة نفسه ، وإلى الجدِّ في الدعوة إلى الله ؛ لإنقاذ البشرية من استحقاق عذاب الله .

ب) الصبر :

أولاً: تعريف الصبر :

أ- تعريف الصبر في اللغة :

صَبَرَ يَصْبِرُ ، فهو صابرٌ وصَبيرٌ وصَبُورٌ ، وتَصَبَّرَ واصطَبَرَ واصَّبَرَ.

وأصل الصبر : الحبس ، وهو نقيض الجزع.[2]

« والصبر : التجلد وحسن الاحتمال .

والصبر عن المحبوب : حبس النفس عنه .

والصبر عن المكروه : احتماله دون جزع».[3]

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن /(١٢/ ٤٠) .

(٢) انظر: القاموس المحيط /(ص٤٢١، ٤٢٢).

(٣) المعجم الوسيط /(ص٥٠٦) .

ب- تعريف الصبر في الاصطلاح :

هـــو : «حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه».[(1)]

ثانياً: أنواع الصبر :

للصبر ثلاثة أنواع :

١- الصبر على طاعة الله .

٢- الصبر عن معصية الله .

٣- الصبر على أقدار الله .

فالأولان : الصبر على ما يتعلق بالكسب .

والثالث : الصبر على ما لا كسب للعبد فيه.[(2)]

ثالثاً: حاجة الداعية إلى الصبر :

أكثر الناس حاجة للصبر من يحمل رسالة الدعوة إلى الله ، وإلى صراطه المستقيم، والنصح والإرشاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاضطلاع بمهامها .

فالســـأم والملل والضجر يجعل الداعية ييأس من فائدة قيامه برسالته ، فيكف عن أدائهـــا ، أو يتهاون في القيام بها ، وربما يجد نفسه بعد حين يطول أو يقصر منساقاً مع مؤثرات البيئة التي يعيش فيها ، ومتنازلاً عن بعض مبادئه التي دعا إليها .

فالداعية إذا لم يكن حاملاً لرسالته بصورة عملية نشيطة ، صابراً على ما يواجهه مـــن عوائق ، فإنه يتحول تلقائياً إلى مدافع ، ثم إلى مراقب غير مدافع ، ثم إلى متأثر شـــيئاً فشيئاً ، وقد يصل إلى مساير متابع ، ومن هنا تظهر حكمة الله العلي الجليل بأمـــر رســـله – علـــيهم الصلاة والسلام – والدعاة إلى الله ، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، بالصبر في قيامهم بوظائفهم ومهامهم .[(3)]

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن /(ص٤٧٤) .

(٢) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز /(٣/٣٧٥) .

(٣) انظر : فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر /(١/١٢٦) ، تأليف : أ.د.عبدالرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني .

فالداعي إلى الله يحتاج إلى الصبر في دعوته في ثلاثة أحوال :

١- قبل الدعوة بتصحيح النية والإخلاص ، وتجنب دواعي الرياء والسمعة وعقد العزم على الوفاء بالواجب ، وطلب العلم.

٢- أثناء الدعوة فيلازم الصبر عن دواعي التقصير والتفريط ، ويلازم الصبر على استصحاب ذكر النية ، وعلى حضور القلب بين يدي الله – تعالى –، ولا ينساه في أمره .

٣- بعد الدعوة وذلك من وجوه :

أ- أن يصبِّر نفسه عن الإتيان بما يبطل عمله ، فليس الشأن الإتيان بالطاعة، وإنما الشأن في حفظها مما يبطلها .

ب- أن يصبر عن رؤيتها والعُجب بها ، والتكبر والتعظم بها ، فإن هذا أضر عليه من كثير من المعاصي الظاهرة .

ج- أن يصبر عن نقلها من ديوان السِّر إلى ديوان العلانية ، فإن العبد يعمل العمل سراً بينه وبين الله –سبحانه– فيكتب في ديوان السر ، فإن تحدث به نقل إلى ديوان العلانية.[1]

رابعاً: من صفات الداعي المخبت إلى الله في سورة الحج الصبر على البلاء:

بيَّن المولى –جلَّ شأنه– في قوله –تعالى– : ﴿...وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ...﴾،[2] نوع الصبر وأنه صبر على أقدار الله مما يصيب الإنسان من البلاء والمرض والمصائب، ونحو ذلك .

والابتلاء سنة ماضية ، ويكون بالسراء والضراء ، ولابد أن يُبتلى الإنسان بما يسره وبما يسوؤه ، فهو محتاج إلى أن يكون صابراً شكوراً في شأنه كله ؛ وذلك لأن

(١) انظر : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين /(ص٦٢ ، ٦٣) . للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي الشهير بابن قيِّم الجوزية ، تحقيق: محمد بن عبدالمالك الزغبي.

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٥) .

الــــنفس لا تزكو ولا تصلح حتى تُمحص بالبلاء كالذهب الذي لا يخلص جيده من رديئه حتى يفتتن بالنَّار.

والناس إذا أرسلت إليهم الرسل بين أمرين ، إما أن يقول أحدهم: آمنا ، وإما أن لا يقول: آمنا ؛ بل يستمر على عمل السيئات ، فمن آمن بالرسل وأطاعهم عادوه وآذوه فابتـــلى بمـــا يؤلمه ، وإن لم يؤمن بهم عوقب فحصل ما يؤلمه أعظم وأدوم ، فلابد من حصول الألم لكل نفس ، سواء آمنت أم كفرت ، لكن المؤمن يحصل لـــه الألم في الدنـــيا ابتداء ثم تكون لـــه العاقبة في الدنيا والآخرة ، والكافر تحصل لـــه النعمة ابتداء ثم يصير إلى الألم.[1]

والداعي المخبت إلى الله يتعرض في مسيرته الدعوية لأنواع شتى من البلاء ، وهو أشد الناس حاجة إلى الصبر والثبات ، حتى يتم الله أمره ، ويحقق له هدفه .

وقـــد ابتـــلى الله أنبـــياءه – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – فصبروا و لم يستعجلوا ، فكانت العاقبة أن مكّن الله لهم في الأرض ، قال -تعالى- :﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ...﴾.[2]

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – رحمه الله – : « إن الإنسان إذا ابتُلي فعليه أن يصـــبر ويثبـــت ولا ينكل حتى يكون من الرجال الموقنين القائمين بالواجبات ، ولابـــد في جميع ذلك من الصبر ؛ ولهذا كان الصبر واجباً باتفاق المسلمين على أداء الواجبات ، وترك المحظورات ، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب أن يجزع فيها ، والصبر عن اتباع أهواء النفوس فيما نهى الله عنه».[3]

ج) إقامة الصلاة :

الصـــلاة صلة بالله -تعالى- ، وقرب منه ، وأُنس به – سبحانه وتعالى-، وهي

---

(١) انظر : الفوائد /(ص٢٠٨ – ٢١٠) ، للإمام شمس الدين محمد أبي بكر بن قيِّم الجوزية .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية (٣٥) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية /(١٠/ ٣٨ ، ٣٩).

مصدر متجدد للطاقة الروحية ، وزاد للنفس ، قد توزعت أوقاتها على الليل والنهار حتى لا يحرم المسلم من الزاد في كل الأحوال والأوقات ، في السِّلم والحرب ، وفي السفر والإقامة ، في الصحة والمرض ، وهذا من فضل الله على عباده .

ففي الصلاة استرواح وخلوص من مشاغل الحياة وعنائها ، يقف المسلم بين يدي مولاه في خشوع وخضوع ، وركوع وسجود ، يقرأ ويسمع كلام الله ، ويدعوه ، ويستغفره ، وحين يقبل على الصلاة بقلب نقي ونية خالصة يفيض الله عليه من أنواره ، وهدايته ، وسكينته ، ورحمته ، ما يعينه على مجابهة الحياة بكل اطمئنان واستقرار نفسي ، شاعراً بمعية الله أينما سار ، وحيثما حل ، مطمئناً إلى جنب الله ، متوكلاً عليه ، مفوضاً أمره إليه.[1]

لهذا كان من أعظم صفات الداعي المخبت إلى الله إقامة الصلاة في وقتها ، وبصفتها ، وأدائها بخشوع واطمئنان ، قال -تعالى- :﴿...وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ...﴾.[2]

فإذا كانت صلته بالله قوية ، ومناجاته لربه صادقة ، وصَلاته تامة ، كان بلوغ غايته أمراً أكيداً ، فتحقيق الصلاة بشروطها ، وأركانها ، وواجباتها ، يؤدي إلى تحقيق المعنى المراد منها بالعبودية لله وحده لا شريك له -سبحانه- ، وبالبعد عن الفحشاء والمنكر ، قال -تعالى-:﴿... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ...﴾.[3]

كما أنها تُعَوِّد الداعي إلى الله على الدقة في تنظيم الوقت ، و إتقان العمل ، والمداومة عليه ، والصبر عليه.

وحين يلجأ إليها ينشد العون والخلاص عندما تداهمه الخطوب ، يجد فيها راحة النفس ، وسلوة القلب ، وزاداً عظيماً يعين على مشقة السير ، وقد كان رسول الله

(١) انظر: من فقه الدعوة /(٢/٥٤).

(٢) سورة الحج ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥).

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (٤٥).

-ﷺ- يفزع إليها كلما أهمّه أمر، وكان-ﷺ-يقول:(**قم يا بلال فأرحنا بالصلاة**).[1]

د) الإنفاق من رزق الله :

أولاً: تعريف الإنفاق :

أ- تعريف الإنفاق في اللغة :

الإنفاق مصدر أنفق ينفق إنفاقاً.

ونفـــق مال الرجل ودرهمه وطعامه نَفْقاً ونَفاقاً ونَفِقَ : نقص وقلّ ، وقيل : فني وذهب .

ونَفِقَ الشيء نَفَقاً : نفد.[2]

والإنفاق هو : بذل المال ونحوه في وجه من الوجوه.[3]

ب- تعريف الإنفاق في الاصطلاح :

بذل المال الطيب في الطاعات والمباحات.[4]

ثانياً: فضل الإنفاق من رزق الله:

لقد حثت الشريعة الإسلامية على الإنفاق في سبيل الله في جميع وجوهه وطرقه ، ورتبت على ذلك الجزاء والأجر والثواب والعقاب ، ومن ذلك:

أ- الترغيـــب بالإنفاق من رزق الله بوعد المنفقين بحقيقتين من حقائق السنن الربانـــية الثابتة التي ذكرها المولى في قوله –سبحانه وتعالى-:﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ

---

(١) أخـــرجه الإمـــام أبو داود في كتاب الأدب ، باب صلاة العتمة ، ح(٤٩٨٦) ، وصححه العلاّمة المحدِّث الشـــيخ محمد ناصر الدين الألباني ، انظر: سنن أبي داود /(ص٧٤٧). وسبق الكلام عن إقامة الصلاة عند الحديث عن الدعوة إلى الله في مجال الشريعة : (ص٦٣-٦٧).

(٢) انظر : لسان العرب /(١٠/ ٣٥٧ ، ٣٥٨).

(٣) انظر: المعجم الوسيط /(ص٩٤٢).

(٤) انظـــر : دلـــيل الفالحين لطرق رياض الصالحين /(٢/ ٥١٤) ، للشيخ محمد بن علاّن الصديقي الشافعي الأشعري المكي .

وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [1]

وذلك من حيث :

١- إن الله تبارك و-تعالى- وعد المنفقين في سبيله أن يعوض عليهم ، ويزيدهم من فضله ، فمن شأن الاقتناع بهذه الحقيقة أن يولد في الأنفس حب البذل والعطاء في سبيل الله ، ومن نظر في سنن الكون رأى ذلك بيِّناً واضحاً .

٢- أن الله – تعالى – وعد الذين ينفقون في سبيله أن يغفر لهم ، ويستر حالهم ، لو ضَعُفَت نفوسهم وسقطوا في بعض المعاصي ، وارتكبوا بعض الفواحش ، وفي هذا الغفران تطهير وتزكية ، وفي ستر حالهم تكريم لهم عند الحاجة التي تلجئهم إلى المسألة.[2]

ب- التنفير من التقتير ، والبخل ، وكنز المال خوفاً من زواله ونفاده .

قال -تعالى- : ﴿...وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.[3]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي- ﷺ - قال : (**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً**).[4]

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٦٨) .

(٢) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها /(٢/ ٤٣٠) .

(٣) سورة التوبة ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥) .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الزكاة ، باب قول الله -تعالى- :﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل ، الآيات(٥ -١٠)]، اللهم أعط منفق مالٍ خلفاً ،ح (١٤٤٢)،وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك ،ح (٥٧). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص١١٣، ٨٣٧).

ج- ترتيب الأجر المضاعف إلى أضعاف كثيرة ، جزاء للإنفاق من رزق الله ، وترغيباً بالبذل والعطاء ، قال -تعالى- : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾.[1]

ثالثاً: شروط الإنفاق من رزق الله:

الإنفاق من رزق الله يشترط فيه شرطان ، فقد قال -تعالى- : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾.[2]

فالأول : أن يكون الإنفاق في سبيل الله خالصاً لوجهه -تعالى-، لا رياءً ولا طمعاً بمغانم ومنافع دنيوية ، ولا يكون في سبيل الله إلا إذا كان موافقاً لشريعة الله لعباده .

الثاني : ألا يتبع المنفق نفقته بالمنِّ والأذى ، ويكون المنُّ بتحدث المعطي بعطائه أمام من أعطاه ، أو أمام غيره من الناس ، إشعاراً بالتفضل عليه .

أما الأذى في العطاء فله صور كثيرة منها ما يكون بالمنِّ ومنها ما يكون بغيره ، مثل إشعار الآخذ بنزول مكانته ، أو إهانته عند إعطائه ، أو الاستعلاء عليه والاستكبار ، ونحو ذلك ، وهذا كله مما يفسد الإنفاق ويحبط ثوابه.[3]

رابعاً: من صفات الداعي المخبت إلى الله في سورة الحج الإنفاق من رزق الله:

الإنفاق من رزق الله - تعالى- هي الصفة الرابعة التي اتصف بها المخبتون إلى الله ويتأكد هذا الأمر في حق الداعي إلى الله ، فهو قدوة للمدعوين في أداء الواجبات من النفقات ، وبذل المستحبات منها .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٦١) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٦٢).

(٣) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها/(٢/ ٤١٩ ، ٤٢٠).

فقولــــه -تعالى- :﴿...وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾،[1] يشمل جميع أنواع النفقات الواجبة ، كالزكاة والكفارة والنفقة على الزوجات والمماليك والأقارب ، والنفقات المستحبة ، كالصدقة بجميع وجوهها .

وأتـــى -سبحانه-بـــ ﴿.. مِمَّا ..﴾ المفيدة للتبعيض ليعلم المرء سهولة ما أمر الله به ورغّب فيه ، وأنه جزء يسير مما رزق الله ، وليس للعبد في تحصيله قدرة ، لولا تيسير الله له ، ورزقه إياه.[2]

والإنفاق من رزق الله يدعم الروابط الأسرية والاجتماعية بوثاق متين من المحبة والـــتعاون والـــتلاحم ، وفـــيه إحسان للآخرين ، وتحسسٌ لاحتياجاتهم ، وتلمسٌ لهمومهم وأوجاعهم ، وهذا يزيد الداعي إلى الله قرباً من الآخرين ، ورفعةً ومنـــزلةً في قلوبهم ، مما يؤدي بهم إلى الاستماع إليه ، وقبول كلامه.

كما أن الإنفاق من رزق الله من صفات أهل الكرم ، وأصحاب النفوس العالية، الذين لا يألون جُهدهم في إنفاق أموالهم في وجوه البر والخير ؛ شكراً لله على نعمه؛ فإن ذلك كله من الله -جلّ شأنه-، وبذله فيما يرضي الله يزيده نماءً وبركةً ، ويعود على صاحبه بغفران الذنوب ، ومضاعفة الأجور منه -تعالى-.

ومما سبق يتضح أن صفة الإخبات من الصفات الضرورية التي ينبغي للداعي إلى الله أن يتصف بها ، فهي تشتمل على أربع صفات أساسية وهي : الخوف من الله ، والصـــبر على البلاء ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق من رزق الله ، وكلها أمور لا غنى للداعية عنها في شأنه كله.

---

(١) سورة الحج ، الآية (٣٥).

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان /(ص٥٣) .

المطلب الخامس : ترك قول الزُّور.

أولاً تعريف الزُّور:

أ- تعريف الزُّور في اللغة :

الزُّور : الكذب والباطل ، وقيل : شهادة الباطل .

ورجل زُورٌ ، وقوم زُورٌ ، وكلام مُزَوَّرٌ و مُتَزَوَّرٌ: مموه بكذب.

والتزوير : تزيين الكذب.[1]

وزَوَّرَ الشيء : أصلحه وقومه ، وأتقنه وحسَّنه وزيَّنه .

يقال : زوّر الكلام : زخرفه وموهه.[2]

ب- تعريف الزُّور في الاصطلاح :

الزُّور هو وصف الشيء على خلاف ما هو به ، وقد يضاف إلى القول فيشمل الكذب والباطل ، وقد يضاف إلى الشهادة فيختص بها.[3]

وشهادة الزُّور هي: « الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مالٍ ، أو تحليل حرام ، أو تحريم حلال ».[4]

ثانياً: حكم قول الزُّور :

قول الزور من كبائر الذنوب ، فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة،[5] عن أبيه[6]

---

(١) انظر : لسان العرب /(٤/ ٣٣٦ ، ٣٣٧) .

(٢) انظر : المعجم الوسيط /(ص٤٠٦) .

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري /(١٠/ ٤٢٦) .

(٤) المصدر السابق /(١٠/ ٤٢٦) .

(٥) عبدالرحمن بن أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي ، (١٤-٩٦هـ) ، أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة ، بصري ، تابعي ، ثقة ، له أحاديث ورواية . انظر : تهذيب التهذيب /(٢/٤٩٢ ، ٤٩٣).

(٦) نُفيع بن الحارث ، ويقال ابن مسروح ، من فضلاء الصحابة ، سكن البصرة ، وأنجب أولاداً لهم شهرة ، اشتهر بكنيته ، وكان تدلّى إلى النبي -ﷺ- من حصن الطائف ببكرة فاشتهر بأبي بكرة ، روى عن النبي -ﷺ- ، وروى عنه أولاده ، توفي بالبصرة سنة خمسين ، وقيل: إحدى وخمسين ، وقيل: اثنين وخمسين . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة /(٦/ ٣٦٩) ، تهذيب التهذيب /(٤/٢٣٨ ، ٢٣٩).

-رضي الله عنهما – قال :« قال رسول الله - ﷺ - : (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**) -ثلاثـاً- قلنا : بلى يا رسول الله . قال: (**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**) ، وكان متكئاً فجلس ، فقال : (**ألا وقول الزُّور ، وشهادة الزُّور ، ألا وقول الزُّور ، وشهادة الزُّور**) فمازال يقولها حتى قلت : لا يسكت».[1]

قـال الإمام ابن دقيق العيد[2]-رحمه الله- : « اهتمامه – عليه السلام – بأمر شـهادة الـزُّور أو قـول الزور: يحتمل أن تكون لأنها أسهل وقوعاً على الناس ، والتهاون بها أكثر ، فمفسدتها أيسر وقوعاً ، ألا ترى أن المذكور معها : هو الإشراك بالله ؟ ولا يقع فيه مسلم ، وعقوق الوالدين : والطبع صارف عنه ، أما قول الزُّور: فإن الحوامل عليه كثيرة ، كالعداوة وغيرها ، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمها ، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها».[3]

ويدخل في قول الزور شهادة الزور ، قال الإمام أبو بكر الجصاص[4]-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى- : ﴿ ... وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝ ﴾[5]: « الزور الكذب ، وذلك عام في سائر وجوه الكذب ، وأعظمها الكفر بالله والكذب على الله -عز وجل- ، وقد دخل فيه شهادة الزور».[6]

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر ، ح (٥٩٧٦) ، وأخرجه الإمام مسـلم في كـتاب الإيمان ، باب الكبائر وأكبرها ، ح (١٤٣). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٥٠٦ ، ٦٩٣).

(٢) محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، (٦٢٥-٧٠٢هـ) ، أبو الفتح ، تقي الدين القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد ، من أكابر العلماء بالأصول ، قاضٍ ، مجتهد ، ولِّي قضاء الديار المصرية ، لـه تصانيف ، منها: « إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام » ، و«تحفة اللبيب في شرح التقريب ». انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب /(٦/٥ ، ٦) الأعلام /(٦ /٢٨٣).

(٣) إحكـام الأحكام شرح عمدة الأحكام/(ص٦٧٩) ، للحافظ أبي الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري ، الشهير بابن دقيق العيد ، تحقيق : أحمد بن محمد شاكر.

(٤) تقدمت ترجمته في (ص٥٨) من هذه الرسالة.

(٥) سورة الحج ، الآية (٣٠).

(٦) أحكـام القرآن /(٧٧/٥) ، لحجة الإسلام الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصَّاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

وقد عُدلت شهادة الزور بالشرك بالله، فعن خُريم بن فاتك الأسدي[1] -رضي الله عنه-: أن رسول الله -ﷺ- صلى صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً ، فقال: (**عُدلت شهادة الزور بالشرك بالله**) ثلاث مرات، ثم تلا هذه الآية:﴿..وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾،[2] إلى آخر الآية.[3]

وقد ذكر الإمام الذهبي[4] -رحمه الله- أن شاهد الزُّور قد ارتكب عدة عظائم :

١- الكذب والافتراء .

٢- أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله ، أو عرضه ، أو روحه .

٣- أنه ظلم الذي شهد له ، بأن ساق إليه المال الحرام ، فأخذه بشهادته فوجبت له النار .

٤- أنه أباح ما حرم الله - تعالى - وعصمه من المال ، والدم ، والعرض.[5]

ثالثاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج ترك قول الزُّور:

قال -تعالى- : ﴿...فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾.[6]

في هذه الآية نهى الله -سبحانه وتعالى- عباده عن قول الزُّور ، لأن أمره عظيم ، وشأنه خطير ، وأثره كبير ، وتركه وتجنبه من أهم الصفات التي ينبغي للداعي إلى الله -خاصة- أن يتصف بها ، لأنه مُبلغ عن الله -تعالى- وعن رسوله -ﷺ-، وإذا اعتاد الناس منه الكذب فضلاً عن شهادة الزُّور وقوله ، أدى بهم ذلك إلى تلقي قوله بالشك والريبة والإعراض عموماً ، وبالتشكيك بما يُبلِّغه من أصول الإسلام وشرائعه خصوصاً .

---

(١) تقدمت ترجمته في (ص٢٨) من هذه الرسالة.

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٠) .

(٣) سبق تخريج هذا الحديث في (ص٢٨) من هذه الرسالة.

(٤) تقدمت ترجمته في (ص١٠٣) من هذه الرسالة.

(٥) انظر : الكبائر/(ص ٧٩) .

(٦) سورة الحج ، الآية (٣٠).

وقول الزور سبب لبغض الله – تعالى- للعبد ، وغضبه ونقمته عليه ؛ لارتكابه ما نهى الله عنه ، وإتيانه كبيرة من كبائر الذنوب ، كما أنه يورث العداوة والبغضاء بين الناس ، ويؤدي لخفاء الحقيقة ، وأكل الحقوق بالباطل ، والداعي إلى الله يسعى إلى كشف الحق ، وإقامة العدل ، وذلك لا يكون إلا بمراقبة الله ، وتحري الصدق ، واجتـــناب قول الزور ، وهذا ما يجب على الداعي إلى الله أن يفعله ، ويدعو الناس إليه .

المطلب السادس: ترك الجدال المذموم.

أولاً: تعريف الجدال:

أ- تعريف الجدال في اللغة:

جَدَل الشيء: صلب، فهو جَدِلٌ، وجَدْل.

وجَدِلَ جَدَلاً: اشتدت خُصُومَتُه، فهو جَدِلٌ، ومِجْدَلٌ، ومِجْدالٌ.

وجادل الرجل مجادلة وجدالاً: ناقشه وخاصمه.

والجَدَل: طريقة في المناقشة والاستدلال، صورها الفلاسفة بصور مختلفة.[1]

وجدله يَجْدُلُهُ ويَجْدِلُهُ: أحكم فتله.

والجَدَلُ: اللدد في الخصومة والقدرة عليها.[2]

ب- تعريف الجدال في الاصطلاح:

هو: « دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة».[3]

ثانياً: حكم الجدال:

يكون الجدال محموداً إذا كان لإظهار الحق وتقريره، قال -تعالى-: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ...﴾.[4]

ويكون مذموماً إذا كان لنصرة الباطل وإخفاء الحق، ومنه قول الله -تعالى-: ﴿...وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ...﴾.[5]

---

(١) انظر: المعجم الوسيط /(ص١١١).

(٢) انظر: القاموس المحيط /(ص٩٧٥، ٩٧٦).

(٣) التعريفات /(ص٨٨).

(٤) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٥) سورة الكهف، الآية (٥٦).

وعدَّ الإمام الذهبي[1]– رحمه الله – هذا النوع من كبائر الذنوب.[2]

ثالثاً: ذم الجدال بالباطل في سورة الحج:

مــن البواعــث للإنسان على الجدال بالباطل اتباعه أهواء نفسه ، وشهواته ، وإرادته تغطية ذلك بحجة كلامية مزورة ، وقد يعلم في داخل نفسه بطلان ما يقول لكــنه يكابــر ويجادل ، وهذا الباعث قد كشف الله عنه بقوله -تعالى-:﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝ ﴾.[3]

أي يريد الإنسان الانطلاق الفاجر الواسع في الشهوات واتباع الأهواء فينكر يوم القيامة وينكر الجزاء، ويجعل الحياة قاصرة على هذه الحياة الدنيا، ويجادل بالباطل.[4]

وفي ســورة الحج جاء ذم الجدال بالباطل في قوله -تعالى- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾.[5]

فقــد ذكر المولى – جل وعلا- في هذه الآية الكريمة أن مِن الناس من يجادل في الله بغــير عــلم ، ويخاصم في الله بأن ينسب إليه ما لا يليق بجلاله وكماله ،كالذي يدَّعي لــه الأولاد والشركاء ، ويقول أن القرآن أساطير الأولين ، وذلك من كفار مكة الذين جادلوا في الله ذلك الجدال الباطل بغير مستند من علم عقلي ولا نقلي ، ومــع جدالهم في الله ذلك الجدال الباطل يتبعون كل شيطان عاتٍ طاغٍ من شياطين الإنس والجن ، وقد كتب الله عليه كتابة قدر وقضاء أن من صار ولياً لهذا الشيطان المذكور ، فإنه يضله عن طريق الجنة إلى النار الشديدة الوقود.[6]

---

(١) تقدمت ترجمته في (ص١٠٣) من هذه الرسالة.

(٢) انظر: الكبائر /(ص١٩١) .

(٣) سورة القيامة ، الآيتان (٥ ، ٦) .

(٤) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها /(١/ ٣٦٥) .

(٥) سورة الحج ، الآيتان (٣ ، ٤) .

(٦) انظــر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن /(٥/١٥)، للشيخ : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي.

وتكرر ذم الجدال بالباطل في سورة الحج أيضاً في قوله -تعالى- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝ ﴾.[1]

قال ابن عطية[2]- رحمه الله - : «كرر هذه على وجه التوبيخ ، فكأنه يقول هذه الأمثال في غاية الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل».[3]

ويدخل فيما تضمنته هذه الآية والتي قبلها من الوعيد والذم : أهل البدع والضلال ، المعرضين عن الحق المتبعين للباطل ، يتركون ما أنزل الله على رسوله -ﷺ- من الحق المبين ، ويتبعون أقوال رؤساء الضلالة الدعاة إلى البدع والأهواء والآراء ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.[4]

رابعاً: من صفات الداعي إلى الله في سورة الحج ترك الجدال المذموم:

ينبغي للداعي إلى الله أن يتجنب الجدال والمراء والخصومة في عرض دعوته امتثالاً لقوله -تعالى- : ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝ ﴾.[5]

ولما جاء عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: قال رسول الله- ﷺ - : (**أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**).[6]

فالجدال المذموم يورث العداوة ، ويؤدي إلى المكابرة والمغالطة والعناد ، وإلى خفاء الحقيقة ، وتشويهها ، وكره الناس لها .

---

(١) سورة الحج ، الآيتان (٨ ، ٩) .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٢٣) من هذه الرسالة.

(٣) البحر المحيط /(٦/ ٣٢٩) .

(٤) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن /(٥/ ١٦) .

(٥) سورة الحج ، الآية (٦٨) .

(٦) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأحكام ، باب الألد الخصم ، وهو الدائم في الخصومة ، لُدًّ أعوجاً ، ح(٧١٨٨) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب العلم ، باب في الألد الخصم ، ح(٥). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٥٩٩ ، ١١٤٢).

كمـــا أن الجدال المذموم يدل على الأنانية والجهل وضعف العقل ، فإن هدف الجدال كشف الحقيقة ، وإقناع الآخرين بها ، في حين أن الجدال المذموم يقوم على الانتصار للنفس ، والتعصب للرأي سواء أكان على الحق أم الباطل .

والداعي إلى الله من سلاحه لنشر الدعوة إلى الله الجدال بالتي هي أحسن ، وعن طريق الاستدلال المنطقي ، والحوار الهادئ ، يصل إلى الحق بأسلوب واضح .

قال -تعالى- : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.[1]

وقد كان الرسل -عليهم الصلاة والسلام- يجادلون أقوامهم بالتي هي أحسن ، ويجتهدون في تفنيد شبههم ، وإيضاح الحق الذي جاءوا به ، قال -تعالى- :﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾.[2]

في حـــين أن الجدال المذموم من صفات رؤوس الكفر والطغيان ، الذين أعماهم الكـــبر والاستعلاء عن رؤية الحق ، فيلجؤون إلى الجهر بالسوء ، والتعدي والظلم بالجدال بغير علم ، واتباع كل شيطان مريد .

ولشرف ما يدعو إليه الداعي إلى الله ، وعظمته ، ينبغي لـــه أن يتجنب الجدال المذمـــوم ، ويـــترفع عن البذيء من القول ، ويحرص على الحوار الهادئ ، والجدال المحمود في دعوته.

وبهذا تتضح أبرز الأمور التي وردت في سورة الحج مما ينبغي للداعية أن يراعيها في دعوتـــه ؛ وهـــي تتضـــمن الإدراك الشامل لمهمته في الدعوة إلى الله ، والإعداد المكثف من أجل القيام بها ، و أهم الصفات التي ينبغي له أن يتحلى بها .

---

(١) سورة النحل ، الآية (١٢٥).

(٢) سورة هود ، الآيتان (٣٢ ، ٣٣).

الفصل الثالث:

المدعو إلى الله في سورة الحج

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثاني : أحوال المدعوين إلى الله في سورة الحج.

المبحث الأول: أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج.

توطئة :

المدعوون إلى الله في سورة الحج ستة أصناف ، وهم:

١- المؤمنون.

٢- اليهود.

٣- الصابئون.

٤- النصارى.

٥- المجوس.

٦- المشركون.

وهـؤلاء يجمعهم قول الله -سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾.[1]

وأصل هذا التصنيف يقوم على دياناتهم ومللهم ، فمنهم صنف واحد على الهدى وبقيتهم على الضلالة.

قال قتادة[2] -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية : « الأديان ستة ، فخمسة للشيطان ، ودين لله- عز وجل- ».[3]

---

(١) سورة الحج ، الآية (١٧).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٢٣) من هذه الرسالة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الحج ، برقم (١٣٨٠٧) . انظر: تفسيرالقرآن العظيم مسنداً عن رسول الله -ﷺ- والصحابة والتابعين/(٢٤٧٨/٨).

المطلب الأول : المؤمنون .

أولاً: التعريف بالمؤمنين:

هـــم المصدقون لمحمد -ﷺ- فيما أخبر ، والمطيعون لـــه فيما أمر ، والمنكفون عما عنه زجر.

وسميت أمة محمد -ﷺ- مؤمنين لكثرة إيمانهم ، وشدة إيقانهم ؛ ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضين والغيوب الآتية.[1]

ولفـــظ المؤمنين يجوز أن يكون مشترَكاً بين أهل التقوى والصلاح من جهة ، وبين المسلمين جميعاً من جهة ثانية ، وحَمْل اللفظ على المسلمين جميعاً يعم المتقين والفاسقين، فإن اللفظ إذا دار بين الاشتراك والعموم ، وجب حمله على العموم ، الذي يشمل المعاني المشتركة ، ولا يجوز حمله على المشترك الخاص إلا بقرينة توجب ذلك ، كما أن حَمْل النصوص الشرعية على أهل التقوى والصلاح دون غيرهم من المسلمين أمر متعذر ، لأنه يقتضـــي دوام البحث عن عدالة المسلمين جميعاً ، وقد قال -تعالى- :﴿ ...لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا... ﴾.[2] [3]

ويدخل في هذه الأمة كل من آمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد -ﷺ- نبياً ورسولاً.

فإن نبينا محمداً -ﷺ- بُعث للخلق كافة ، وخُتمت به النبوة والرسالة ، ومن بلغته دعوته فقد قامت عليه الحجة ، ووجب عليه اتباعه .

ثانياً: عقيدة المؤمنين :

هي عقيدة أهل السنة والجماعة وهي : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ،

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم /(١/٩٠).

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٨٦).

(٣) انظر : فقه الإيمان على منهج السلف الصالح /(ص٣٢) ، للدكتور : وميض بن رمزي بن صديق العمري ، تقديم ومراجعة : أ.د. عمر بن سليمان بن عبدالله الأشقر .

واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره.[1]

ثالثاً: سمات المؤمنين:

للمؤمنين سمات عديدة ، وقد ورد في سورة الحج أبرزها وأشملها ، وهي:

١-توحيد الله ، وعدم الإشراك به :

إن أبرز سمة للمؤمنين بالله توحيده وعدم الإشراك به ، فهو أصل إيمانهم واعتقادهم ، وبدونـــه لا يكونوا مؤمنين ، قال -تعالى- :﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾.[2]

وقال -تعالى-: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾.[3]

٢-عبادة الله – سبحانه وتعالى- ، وفعل الخير :

إن التعبد لله – تعالى – بما أمر به من أبرز سمات عباده المؤمنين ، والحرص على فعل الخـــير عموماً من صفاتهم اللازمة التي تنبثق من إيمانهـــم بربهم ، قال-تعالى-:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.[4]

رابعاً: مراتب الإيمان بالله:

للإيمان بالله ثلاث مراتب باعتبار تحقيق ما يقتضيه ، وهذه المراتب هي :

أولاً : مرتـــبة الظالم لنفسه ، وهو المُفَرِّط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات.

ثانـــياً : مرتـــبة المقتصد ، وهو المؤدي للواجبات ، التارك للمحرمات ، وقد يترك المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

---

(١) انظر : عقيدة أهل السنة والجماعة/(ص٥) ، لفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين.

(٢) سورة الحج ، الآية (٢٦).

(٣) سورة الحج ، الآية (٣١).

(٤) سورة الحج ، الآية (٧٧).

ثالثاً : مرتبة السابق للخيرات ، وهي أعلى المراتب ، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.(1)

قال -تعالى- : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾.(2)

خامساً: من آثار الإيمان بالله:

وردت في سورة الحج آثار عظمى للإيمان بالله -سبحانه وتعالى-، ومن ذلك:

١- جزاؤهم بالجنَّة ، وهي جزاء المؤمنين بالله ، وفيها من النعيم المقيم والسعادة الحقيقية ما لا يخطر على قلب بشر :

قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾.(3)

وقال -سبحانه- : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.(4)

وقال -تعالى- : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾.(5)

٢- غفران الذنوب والخطايا ، وحصول الرزق الكريم :

قال -تعالى-: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.(6)

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم/(٣/٥١٦)

(٢) سورة فاطر ، الآية (٣٢).

(٣) سورة الحج ، الآية (١٤).

(٤) سورة الحج ، الآية (٢٣).

(٥) سورة الحج ، الآية (٥٦).

(٦) سورة الحج ، الآية (٥٠).

وقـــال -سبحانه- : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ ﴾.[1]

٣- تحقيق الطمأنينة ، والهداية إلى صراط الله المستقيم:

قال -تعالى- :﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ﴾.[2]

وقال-تعالى-:﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ۝ ﴾.[3]

٤- تعظيم حرمات الله وشعائره[4]:

قال -تعالى- : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ...﴾.[5]

وقال -سبحانه-:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ۝ ﴾.[6]

٥- ولاية الله - سبحانه وتعالى - للمؤمنين:

قال -تعالى-: ﴿ ...وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝ ﴾.[7]

٦- دفاع الله عن المؤمنين ، ونصرهم على أعدائهم[8]:

قال -تعالى-:﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا

---

(١) سورة الحج ، الآيتان (٥٨ ، ٥٩).

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٤).

(٣) سورة الحج ، الآية (٢٤).

(٤) انظر : (ص١٣٤-١٣٨) من هذه الرسالة .

(٥) سورة الحج ، الآية (٣٠).

(٦) سورة الحج ، الآية (٣٢).

(٧) سورة الحج ، الآية (٧٨).

(٨) انظر : (ص١١٩ ، ١٢٠) من هذه الرسالة.

مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.[1]

إلى غـــير ذلـــك من الآثار ، فإن في الإيمان بالله حياة الروح والجسد ، وبقدر إيمان العـــبد بربه ، وتحقيقه لعبوديته ، يرى آثار ذلك ثماراً طيبة لا ينالها إلا مؤمن ، ولا يحرم منها إلا مكابر.

(١) سورة الحج، الآيات (٣٨ – ٤٠).

المطلب الثاني : اليهود .

أولاً: التعريف باليهود :

هم أمة موسى – عليه الصلاة والسلام– .

لزمهم هذا الاسم لقول موسى– عليه الصلاة والسلام –:﴿... إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ...﴾،[1] أي رجعنا وتضرعنا.[2]

وفي القـــرآن الكـــريم ورد تسميتهم ببني إسرائيل ، وإسرائيل هو لقب يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم – عليهم الصلاة والسلام– وبنوا إسرائيل هم ذريته.

وحيـــناً يرد تسميتهم باليهود ، والذين هادوا ؛ لأنهم تسموا باليهود في عصورهم المتأخرة .

فهـــم بـــنوا إسرائيل إشارة إلى اسمهم ونسبهم وتاريخهم القديم زمن موسى – عليه الصلاة والسلام– وبعده بعدة قرون ، وهم اليهود بالإشارة إلى اسمهم المتأخر ، خاصة بعد ظهور عيسى – عليه الصلاة والسلام –، وتمييزهم عن أتباعه النصارى.

فاسم اليهود أشمل من بني إسرائيل لأنه يطلق على كل الذين اعتقدوا الديانة اليهودية مـــن بني إسرائيل أو غيرهم ، في حين أن بني إسرائيل وهم ذرية يعقوب – عليه الصلاة والسلام– قد يكون منهم اليهودي ، أو النصراني ، أو المسلم ، وسواهم.[3]

ثانياً: دين اليهود:

ديانـــتهم اليهودية ، وهي الديانة التي أنزلها الله – سبحانه وتعالى– على نبيه موسى – عليه الصلاة والسلام–، ثم أصابها التحريف والتبديل ، ثم نسخت بدين الإسلام.

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٥٦).

(٢) انظر: الملل والنحل/(١/ ٢١٠) ، للإمام أبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

(٣) انظـــر: الموجـــز في الأديـــان والمذاهب المعاصرة/(ص١٨، ١٩) ، تأليف: أ.د. ناصر بن عبدالله القفاري ، أ.د.ناصر بن عبدالكريم العقل.

أمـــا كـــتابهم فهو التوراة ، وهو أول كتاب نزل من السماء ، وأُنزل على موسى – عليه الصلاة والسلام- أيضاً الألواح على شبه مختصر ما في التوراة .

واليهود تدعي أن الشريعة لا تكون إلا واحدة ، وهي ابتدأت بموسى – عليه الصلاة والسلام- وتمت به.(1)

ثالثاً : فِرَق اليهود:

افترق اليهود فرقاً كثيرة ، من أشهرها:

١- **الفرِّيسيُّون :**

سميـــت هذه الفرقة بالفرِّيسيِّين ؛ أي: المنعزلون والمنشقون ، ولا يُعرف بالضبط مَـــنْ الذي سماهم بهذا الاسم ، ومتى كان ذلك ؟ أما الفرِّيسيُّون أنفسهم فيطلقون على أفراد جماعتهم اسم [الأحبار] أو [الأخوة في الله].

تؤمـــن هـــذه الفرقة بالبعث ، والملائكة ، واليوم الآخر ، وأكثرهم يعيشون في مظهـــر الـــزهد والتصـــوف ، ويهتمون بالتوراة كثيراً ، كما يهتمون بالتلمود ، ويعتقدون بأن للحاخامات سلطة عليا ، وأنهم معصومون عن الخطأ.(2)

٢- **القراؤون :**

لمـــا تدهـــور شأن الفرِّيسيِّين بظهور فسادهم وابتزازهم لأموال الناس ، ورث القراؤون نفوذهم .

والقـــراؤون لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً ، ولا يعترفون بالتلمود ، وهم يقولون بالإجتهاد على عكس الفرِّيسيِّين.(3)

---

(١) انظر: الملل والنحل/(٢١٠/١ ، ٢١١).

(٢) انظـــر: الـــيهودية /(ص٢٢٧) ، تأليف: د.أحمد شلبي ، اليهودية والمسيحية /(ص١٨٥-١٨٩) ، تأليف: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، الأديان المعاصرة /(ص٧٤) ، تأليف: راشد عبدالله الفرحان.

(٣) انظر: اليهودية /(ص٢٣١ ، ٢٣٢) ، الأديان المعاصرة/(ص٧٥).

٣- **الصدوقيون :**

تؤمن هذه الفرقة بأسفار العهد القديم ، إلا أنها لا ترى القدسية المطلقة للتوراة ، كما أنهم ينكرون التلمود ، وينكرون وجود الملائكة والشياطين ، ولا يؤمنون بالبعث واليوم الآخر ، وينكرون الحساب والجنّة والنار ، ويرون أن الدنيا هي دار العمل والجزاء.(١)

٤- **المتعصبون :**

تتفق هذه الفرقة مع الفرِّيسيِّين في أكثر عقائدهم ، لكنهم اتسموا بالعدوانية ، وعدم التسامح ضد المواطنين الذين اتهموا باللادينية ، أو بقبول الخضوع لغير اليهود، والموت عنهم أسهل من طاعة غير اليهود ، و لم يعترفوا بأي سلطان عليهم سوى سلطان الله -تعالى-.(٢)

رابعاً: مصادر اليهود الفكرية :

أهم المصادر التي يضفي اليهود عليها القداسة اليوم ، ويستمدون منها التوجيه ثلاثة مصادر(٣):

أولاً : العهد القديم :

يطلق العهد القديم على مجموعة الكتب التي يقدسها اليهود ، ويعتبرونها وحياً سماوياً، ويُراد بكلمة العهد : الميثاق ؛ كأن هذه الكتب تمثل ميثاقاً أخذه الله عليهم ، أما كلمة القديم فهي للتمييز عن العهد الجديد ، وهو التراث المقدس للنصارى من الأناجيل الأربعة وملحقاتها.(٤)

---

(١) انظر: اليهودية /(ص٢٣١،٢٣٠) ، اليهودية والمسيحية/(ص١٨٩-١٩٢).

(٢) انظر: اليهودية/(ص٢٣٣).

(٣) انظر : المصدر السابق/(ص٢٣٧).

(٤) انظر : العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية /(ص١٥٤) ، للدكتور : سعد الدين السيد صالح .

وينقسم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام :

١- التوراة ، وهي الشريعة المكتوبة ، وتشمل خمسة أسفار :

- سفر التكوين ، ويحتوي على خلق العالم ومراحله ، وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض من آدم -عليه الصلاة والسلام- وحواء ثم طوفان نوح -عليه الصلاة والسلام-، ومن ثم عمارة الأرض من جديد ، كما يشمل ولادة إبراهيم -عليه الصلاة و السلام- وأحواله .
- سفر الخروج ، وفيه قصة بني إسرائيل في مصر بعد يوسف - عليه الصلاة والسلام- وما حصل لهم من الاضطهاد إلى أن ظهر موسى - عليه الصلاة والسلام- وخرج بهم من مصر .
- سفر اللاويين ، وهو عبارة عن تشريعات وأحكام ووصايا في شأن الزواج والأطعمة المحرمة والنذور والأعياد ، ونحو ذلك .
- سفر العدد ، وسمي بذلك لأنه حافل بالعدد والتقسيم لأسباط بني إسرائيل .
- سفر التثنية ، ومعناه الإعادة والتكرار ، وفيه أعيدت الوصايا والتشريعات والكلام عن الأحكام ، ونحو ذلك.(١)

٢- أسفار الأنبياء ، وهي نوعان :

- أسفار الأنبياء المتقدمين ، وتشمل ستة أسفار.
- أسفار الأنبياء المتأخرين ، وتشمل خمسة عشر سفراً.

٣- الكتابات ، وهي ثلاثة أنواع:

- الكتب العظيمة ، وتشمل ثلاثة أسفار.
- المجلات الخمس ، وتشمل أربعة أسفار.

---

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم /(ص١١١) ، د. محمد بن علي البار ، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند /(ص١٣٤) ومابعدها ، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية /(ص١٥٦،١٥٧) ، اليهودية /(ص٢٣٨) .

- الكتب ، وتشمل ستة أسفار.

ومجموع هذه الأسفار تسعة وثلاثون سفراً .[1]

ثانياً : التلمود :

«وهو كتاب تعليم الشرائع ، والعقائد ، والأخلاق اليهودية ».[2]

وهـــو عبارة عن روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل ، حتى دونت خوفـــاً عليها من الضياع ، ويضعها اليهود في منـــزلة التوراة ، بل بعضهم يضع هذه الروايات الشفوية في منـــزلة أسمى من التوراة.[3]

وينقسم التلمود إلى جزئين مهمين :

١- المشناة ، وهو الأصل والمتن .

٢- جِمارا ، وهو شرح المشناة .[4]

ثالثاً : بروتوكولات حكماء صهيون:

« وهي المخطط التفصيلي للسيطرة على العالم بواسطة منظمة يهودية سرية بأساليب متعددة ».[5]

فهي محاضر جلسات وقرارات ، أُعدت في مؤتمر سري في نهاية القرن التاسع عشر ، هدفهـــا إقامـــة وحـــدة عالمية تخضع لسلطان اليهود ، وتديرها حكومة يهودية ، دون الاعتبار للقيم والأخلاق والفضائل في سبيل الوصول إلى هذه الغاية ، كما تحوي خططاً

---

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم /(ص١٦١) ، اليهودية /(ص٢٣٨ ، ٢٣٩).

(٢) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية /(ص١٨٥).

(٣) انظر : اليهودية /(ص٢٧٠ ،٢٧١).

(٤) انظر : التلمود تاريخه وتعاليمه /(ص١١) لظفر الإسلام خان ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام /(ص٤٢،٤٣) للدكتور : صابر طعيمة ، اليهودية /(ص٢٧٠).

(٥) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية /(ص٢١٠).

إباحية وفوضوية وإرهابية ، تهدف إلى نشر الفساد والانحلال في البشرية.[1]

خامساً: من قبائح اليهود :

لليهود قبائح منكرة ، تدل على سوء المعتقد ، وخبث السريرة ، ومن ذلك :

١- جرأتهم وتطاولهم على الله -سبحانه وتعالى- ومن ذلك:

أ- تشبيههم الخالق بالخلق ، والذي حملهم على هذا شيئان:

- جهلهم بالخالق.
- أرادوا ما يسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم وبُعد العقل عنهم.[2]

ب- قولهم : ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ...﴾.[3]

وقولهم :﴿...عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ...﴾،[4] وقولهم : ﴿...نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ...﴾،[5] وغير ذلك.

٢- ميلهم للوثنية رغم المعجزات والبراهين والدلائل التي تدل على وحدانية الله ، فهـذه الروح الوثنية جعلتهم لا يرعون حرمة لنبي الله موسى – عليه الصلاة والسـلام- ولا لأخيه هارون – عليه الصلاة السلام- ، إذ انحرفوا إلى عبادة الأصنام في حياة هذين النبيين الكريمين.[6]

٣- قتلهم الأنبياء بغير حق ، وتطاولهم على الأنبياء بالقذف والافتراء ، ووصمهم بأبشع التهم.[7]

---

(١) انظر : اليهودية /(ص٢٧٦).

(٢) انظر: تلبيس إبليس /(ص ٦٩،٧٠)، للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي.

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٨١).

(٤) سورة التوبة ، الآية (٣٠).

(٥) سورة المائدة ، الآية (١٨).

(٦) انظر: الميزان في مقارنة الأديان/(ص ٢٤) ، للمستشار : محمد عزت الطهطاوي.

(٧) انظـر : هدايـة الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى/(ص ٢٤٨) ، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيِّم الجوزية ، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: مصطفى أبو النصر الشلبي.

٤- كتمان العلم وعدم العمل به ، قال-تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- : « إن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم ، فهم يعلمون الحق ولا يُتبعونه عملاً ».[2]

٥- الإفساد في الأرض ، ونشر الفوضى والانحلال ، وإشاعة الفاحشة والرذيلة ، واتصافهم بعدد لا حصر له من الصفات الذميمة ، والأخلاق الرديئة.

وغـــير ذلك من الأمور التي توضح خبث اليهود ، وسوء معتقداتهم ، وقبح سيرتهم من قديم الأزل وحتى يومنا هذا.

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٥٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم /(٦٧/١) ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق: أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل.

المطلب الثالث: الصابئون.

أولاً: التعريف بالصابئة :

اختلف أهل العلم في تعريف الصابئة ، قال الإمام ابن قيِّم الجوزية– رحمه الله –: « هذه أمة من الأمم الكبار ، وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً ، بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم ».[1]

فأظهر أقوال أهل العلم والباحثين ، من القدماء والمعاصرين أنهم نوعان ؛ لكل نوع تعريف خاص به ، وهما كما يلي:

الأول: الصابئة الحنفاء ، وهم قوم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً ، ويؤمنون بأن الله محدث لهذا العالم ، ويقرون بمعاد الأبدان.

وهؤلاء يدينون بالتوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل ، والذين كانوا قبل نزول التوراة والإنجيل كانوا على ملة إبراهيم –عليه السلام–.[2]

الثاني: الصابئة المشركون ، وهم قوم يعظمون الكواكب السبعة ، والبروج الإثنى عشر ، ويصورونها في هياكلهم.

ولهذه الكواكب عندهم هياكل مخصوصة ، وهي المتعبدات الكبار ، كالكنائس للنصارى ، والبيع لليهود ، فلهم هيكل كبير للشمس ، وهيكل للقمر، وهيكل للزهرة ، وهيكل للمشتري ، وهيكل للمريخ ، وهيكل لعطارد ، وهيكل لزحل.[3]

وقالوا : « إنا نحتاج في معرفة الله –تعالى–، ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى متوسط ، لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانياً لا جسمانياً ، وذلك لزكاء

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان /(٢/١٨٢) ، للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيِّم الجوزية.

(٢) انظر: الرد على المنطقيين/(ص ٢٨٨،٢٨٩)، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/(٢/١٨٢،١٨٣).

الروحانـــيات وطهارتهـــا ، وقربها من رب الأرباب ، والجسماني بشر مثلنا : يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، يماثلنا في المادة والصورة».[1]

قـــال الإمـــام الشهرســـتاني[2]-رحمـــه الله-:« وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانـــيين ، كما أن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين ، والصابئة تدعـــي أن مذهـــبها هو الاكتساب ، والحنفاء تدعي أن مذهبها هو الفطرة ، فدعوة الصابئة إلى الاكتساب ، ودعوة الحنفاء إلى الفطرة».[3]

ومما يدل على أن من الصابئة حنفاء ومشركين:

أن الله-جـــلّ شـــأنه- أثنى عليهم في كتابه ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾.[4]

فأثنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من هذه الملل الأربع : المؤمنين ، واليهود ، والنصارى ، والصابئين ، ولم يذكر المجوس والمشركين فإنه ليس فيهم مؤمن ، فلهذا قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾،[5] فذكر هذه الملل الست ، وأخبر أنه يفصل بينهم يوم القيامة ، ولم يذكر في الست من كان مؤمناً ، وإنما ذكر ذلك في الأربع فقط.[6]

---

(١) الملل والنحل /(١/٢٣٠،٢٣١).

(٢) محمـــد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني ، (٤٦٧-٥٤٨هـ) ، أبو الفتح ، شيخ أهل الكلام والحكمة ، كـــان كثير المحفوظ ، قوي الفهم ، مليح الوعظ ، من تصانيفه : « نهاية الإقدام في علم الكلام» ، و«الملل والنحل ». انظر: سير أعلام النبلاء /(٢٠/٢٨٦-٢٨٨).

(٣) الملل والنحل /(٢/٥).

(٤) سورة البقرة ، الآية (٦٢).

(٥) سورة الحج ، الآية (١٧).

(٦) انظر: الرد على المنطقيين/(ص ٢٨٨).

ثانياً: أصل دين الصابئة :

يزعم الصابئة أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم ، ويخرجون من قبيح ما هـم عليه قولاً وعملاً ، ولهذا سموا صابئة ، أي خارجين ، فقد خرجوا عن تقييدهم بجملـة كل دين وتفصيله إلا ما رأوا فيه من الحق ، ومن هنا كانت قريش تسمي النبي -ﷺ- الصابئ ، وأصحابه الصابئة .

ولهـذا كـان أكثر هذه الأمة من الفلاسفة ، لأن الفلاسفة يأخذون من كل دين – بزعمهم – محاسن مادلت عليه العقول.[1]

ثالثاً: من معتقدات وشرائع الصابئة :

أولاً: الصابئة الحنفاء :

هـؤلاء متمسـكون بالإسلام المشترك ، وهو عبادة الله وحده ، وإيجاب الصدق والعـدل ، وتحريم الفواحش والظلم ، ونحو ذلك ، مما اتفقت الرسل – عليهم السلام- على وجوبه وتحريمه ، فإن هذا داخل في الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره.[2]

ثانياً : الصابئة المشركون :

لهؤلاء طوائف مختلفة وعقائد وشرائع متنوعة ، ومن معتقداتهم وشرائعهم :

١- أن للكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة يصورونها في تلك الهياكل ، ويـتخذون لها أصناماً تخصها ، ويقربون لها القرابين ، ولها صلوات خمس في اليوم والليلة.

٢- أنهم يقرون أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً ، مقدساً عن العيوب والنقائص.

٣- أن من هؤلاء من يقرُّ بالنبوة جملة ، ويتوقف في التفصيل ، ومنهم من يقرُّ بها جملة وتفصيلاً ، ومنهم من ينكرها جملةً وتفصيلاً.

٤- أنهم يرون أن الأرواح الخـيِّرة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء ، وأن

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان /(١٨٣/٢،١٨٤).

(٢) انظر: الرد على المنطقيين /(ص٤٥٥).

الشريرة تنــزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة.

٥- أن منهم من يرى أن هذا العالم لا يفنى ، وأن الثواب والعقاب في التناسخ.[١]

رابعاً: فرق الصابئة :

للصابئة فرق متعددة ، أبرزها ما يلي:

١- أصحاب الهياكل :

وهم أصحاب الروحانيات الذين قالوا لا بد للإنسان من متوسط ، ولابد للمتوسط مـــن أن يُـــرى فيـــتوجه إليه ويتقرب به ويستفاد منه ؛ لذا فزعوا إلى الهياكل ، وهي الكواكب السبعة ، فعبدوها من دون الله .[٢]

٢- أصحاب الأشخاص :

وهـــم الذيـــن اتخذوا الأصنام أشخاصاً على مثال الهياكل السبعة ، وسموها آلهة ، وحجـــتهم أن المتوسط لابد أن يكون موجوداً في كل وقت ، بخلاف السيَّارات السبع فإنها لا تظهر في كل وقت ، فهم عبدة الأوثان.[٣]

٣- الحلولية :

وهـــذه الفـــرقة زعمت أن الإله المعبود واحد في ذاته، وأنه أبدع أجرام الأفلاك ، وجعل الكواكب مدبرات في العالم السفلي.[٤]

٤- الصابئة الحِرْنَانِيَّة :

وهذه الفرقة انتحلت هذا الاسم خـــوفاً من قتل المأمون لـــهم ، وهم في ترعوز،[٥]

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/(٢/١٨٣،١٨٤)، تلبيس إبليس/(ص ٧٣،٧٤).

(٢) انظر: الملل والنحل /(٢/٤٩)، أبكار الأفكار في أصول الدين /(٢/٢٦٥) ، للإمام أبي الحسن علي بن محمد الملقب بسيف الدين الآمدي ، تحقيق : أ.د. أحمد محمد المهدي .

(٣) انظر: الملل والنحل /(٢/٥٠) ، أبكار الأفكار في أصول الدين /(٢/٢٦٧).

(٤) انظر : أبكار الأفكار في أصول الدين /(٢/٢٦٧).

(٥) تـــرعوز: قرية مشهورة قرب حرّان من بناء الصابئة ، وكان لهم فيها هيكل باسم كوكب الزهرة ، ومعنى تَرْعُ عُوز بلغة الصابئة : باب الزهرة . انظر : معجم البلدان/(٢/٢٢).

وسلمسين،[1] القريتين المشهورتين العظيمتين بالقرب من حرّان[2].

ويـــرى الصـــابئة الحِرْنَانِيَّة أن الصانع المعبود واحد وكثير ، فهو واحد في الذات والأصـــل والأزل ، وكثير في الأشخاص التي يظهر بها في المدبرات السبع ، والأشخاص الأرضية .[3]

٥- **الصابئة الفلاسفة :**

وهـــم فرقة لا يعتقدون شريعة معينة ، ولا يلتزمون مذهباً معيناً خاصاً ، بل يؤمنون بروحانية الكواكب فقط ، ويأخذون من محاسن ما دلت عليه العقول ، سواء وافق ذلك الأديان أم لم يوافقها.

٦- **الصابئة المعتدلون :**

وهم الذي يسوُّون بين الأديان ، يقتبسون الفضائل ، ويلتزمون الحدود ، ويُحرمون المحرمات ، ويُؤمنون ببعض بشارات الأنبياء ، ويتشددون كثيراً في الطهارات.

٧- **الصابئة المنكرون :**

وهم الذين لا يدينون بشيء في هذا الكون ، وإنما يؤمنون بوجود الصانع الحكيم.[4]

خامساً: الصابئة في الوقت الحاضر :

الصـــابئة المندائـــية هـــي الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم والتي تعتبر يحيى — عليه السلام- نبياً لها ، ويقدس أصحابها الكـــواكب والنجوم ويعظمونها ، ويُعتبر الاتجاه نحو

---

(١) سَلمَسْين: اسمها سلم سين ، أي : صنم القمر ، وهي قرية قرب حرّان . انظر : معجم البلدان/(٣/٢٤٠).

(٢) حرّان: مدينة قديمة فتحت في أيام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، و تقع قرب منابع نهر " البليخ "أحد روافد نهر الفـــرات في جنوب شرق تركيا على حدود سوريا — وهي حالياً تسمى (أورفة) -، وهي قصبة الصابئة وموئل دينهم. انظر: معجم البلدان/(٢/٢٣٥) ، دائرة المعارف الإسلامية/(٧/٣٥٤)، إعداد : مجموعة من المستشرقين ، ترجمة: أحمد الشنتناوي ، وآخرون ، الموسوعة العربية الميسرة /(ص٦٩٥) ، إشراف : محمد شفيق غربال.

(٣) انظـــر: الفهرســـت /(ص٤٤٥) ، للإمـــام محمد بن اسحاق الوَّراق البغدادي المعروف بابن النديم ، الملل والنحل/(٢/٥٤).

(٤) انظر: تاريخ الصابئة المندائيين /(ص٣٥) ، تأليف : محمد بن عمر حمادة.

نجم القطب الشمالي والتعميد في الماء الجاري من أهم معالم هذه الديانة، التي يجيز أغلب الفقهاء أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بأهل الكتاب.

وينتشـــر الصابئة المندائيون اليوم على الضفاف السفلى من نهري دجلة والفرات في العراق ، كما ينتشرون في إيران على ضفاف الأنهار ، والمدن الساحلية.(١)

والصـــابئة المندائـــيون يعتقدون أنهم يتبعون تعاليم آدم – عليه الصلاة والسلام–، ولديهم كتاب الكنـــزا – أي صُحف آدم– ، غير أن تقادم العهد على الرسول الأول للديـــن ، ونشوء بعض المذاهب الزائفة والأديان الوثنية ، كل هذه أدخلت تعاليم غريبة عـــلى الديـــن ، فجاء يحيى ــ عليه الصلاة والسلام– ليخلص الدين من هذه المذاهب الدخيلة ، ويكون رسولاً ونبياً خاصاً بهم.(٢)

كمـــا أنهـــم الجماعة الدينية الوحيدة التي يحتل لديها التعميد مكانة روحانية وإلهية خاصـــة ، ويمـــارس عـــلى نطاق واسع ، فإن جميع الشعائر الدينية عندهم تبدأ بمراسم التعمـــيد ، ويـــتم ذلك على أيدي رجال الدين بدخول المتعمد في الماء الجاري بكامل لباســـه ، وتـــرديد ما يقوله رجل الدين الصابئ ؛ لهذا يولون الماء الجاري أهمية كبرى ويتجنبون تلويثه إذ يُعد ذلك من المعاصي.(٣)

هـــذا فيما يتعلق بالصنف الثالث من أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج وهم الصابئون.

---

(١) انظـــر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة/(٢/٧٢٤ ، ٧٣٢) ، إشراف وتخطيط ومراجعة: د.مانع بن حمّاد الجهني.

(٢) انظر : الصابئون في حاضرهم وماضيهم/(ص ٥٥) ، للسيد عبدالرزاق الحسني.

(٣) انظر : الصابئة المندائيون /(ص ٢٤-٢٦) ، تأليف: سليم برنجي ، ترجمة: جابر أحمد.

المطلب الرابع: النصارى.

أولاً: التعريف بالنصارى:

هم أتباع المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته- عليه السلام-.(١)

سموا بالنصارى نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين ، وهي التي ولد فيها المسيح -عليه الصلاة والسلام-، أو إشارة إلى نصرهم لعيسى- عليه السلام-، وتناصرهم فيما بينهم، وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر ، ثم أطلق عليهم كلهم على وجه التغليب.

قال -تعالى- : ﴿... قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ...﴾.(٢)

وفي العصور المتأخرة سُموا بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام-، وهم يفضلون أن يُسموا بالمسيحيين إمعاناً منهم في الانتساب إلى المسيح وتخلصاً من مقت المسلمين لاسم النصارى الذي جاء ذمه في القرآن الكريم والسنة النبوية.(٣)

ثانياً: دين النصارى:

ديانتهم النصرانية وهي الدين المنزل من الله -تعالى- على عيسى -عليه السلام- لكنها غُيرت وبُدلت وحُرفت نصوصها ، وتعددت أناجيلها، وتحول اتباعها عن التوحيد إلى الشرك ثم نُسِخَتْ بالإسلام ، فأصبحت باطلة لتحريفها ولنسخها كاليهودية.

وتعد النصرانية امتداداً لليهودية لأن عيسى - عليه السلام - أُرسل إلى بني إسرائيل مجدداً في شريعة موسى- عليه السلام-، ومصححاً لما حرفه اليهود منها ، وليحل لهم بعض الطيبات التي حرمت عليهم.

قال -تعالى- عن عيسى - عليه السلام- : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم

(١) انظر: الملل والنحل /(١/ ٢٢٠).

(٢) سورة الصف ، الآية (١٤).

(٣) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة/(ص ٦٤،٦٥).

مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾.(١) (٢)

وكــتاب النصارى الإنجيل المنــزل على المسيح – عليه السلام–، وهو لا يتضمن أحكاماً ولا يستبطن حلالاً ولا حراماً ، ولكنه رموز وأمثال ، ومواعظ ومزاجر ، وما سواها من الشرائع والأحكام فمحالة على التوراة.(٣)

ثالثاً: أصول عقيدة النصارى:

تقــوم عقــيدة النصارى اليوم على ثلاثة عناصر ، وبدون الإيمان بها لا يكون المرء نصرانياً ، وهي:

أولاً : التثليث ، بالقول بألوهية الأب وهو الله –تعالى– ، وألوهية الابن وهو المسيح عيسى–عليه السلام–، وألوهية الروح القدس(٤).

ثانــياً : تجسيد الابن وظهوره بظهور البشر ، ليُصلب تكفيراً للخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر.

ثالــثاً : أن الإله الأب ترك للإله الابن حساب الناس على خطاياهم ، فالإله الابن حينما ظهر بمظهر الإنسان كان أقرب لفهم الإنسان.(٥)

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات (٤٨ –٥٠).

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة /(ص ٦٤ ، ٦٥).

(٣) انظر :الملل والنحل/(١/٢٠٩).

(٤) الروح القدس عند النصارى هو الذي حلّ على مريم –عليها السلام–لدى بشارتها بعيسى–عليه السلام–، وعــلى المســيح في العماد ، وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء ، وقد اختلفوا في تحديده . انظر: المســيحية /(ص١٥٦) ، د. أحمــد شلبي. وهو في القرآن الكريم جبريل –عليه السلام– ، قال –تعالى–: ﴿... وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ ...﴾ [البقرة:٨٧] ، قال الإمام العلاّمة ابن كثير –رحمه الله–: « روح القدس هو جبريل–عليه السلام–» .انظر: تفسير القرآن العظيم/(١/١٠٦).

(٥) انظر: المسيحية/(ص١٣١).

رابعاً: أسباب ضلال النصارى:

أسباب ضلال النصارى يعود إلى ثلاثة أمور ، وهي على النحو التالي:

الأول : عدولهم عن الألفاظ الصريحة المحكمة إلى الألفاظ المتشابهة المجملة المنقولة عن الأنبياء - عليهم السلام-، فكلما سمعوا لفظاً لهم فيه شُبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم وإن لم يكن هذا اللفظ دليلاً على ذلك ، والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يفوضوها ، وإما أن يتأولوها.

الثاني: ظنهم الخوارق آيات وهي من أحوال الشياطين ، مثل إخبار الشياطين للكهان بأمور غائبة ، ولا بد لهم مع ذلك من كذب ، ومثل بعض التصرفات التي تقع من الشياطين.

الثالث: تصديق الأخبار المنقولة إليهم ، وهي كذب.[1]

خامساً: فرق النصارى:

افترقت النصارى إلى فرق عديدة ، وكبار فرقهم التي توجد اليوم ثلاث ، وهي:

١- **الملكانية (الكاثوليك):**

من أقوالهم : إن الله ثلاثة أشياء : أب وابن وروح القدس ، كلها لم تزل ، وأن - عيسى عليه السلام- إله تام كالله ، وإنسان تام كله ، ليس أحدهما غير الآخر ، وأن الإنسان هو الذي صُلب وقُتل ، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك ، وأن مريم ولدت الإله والإنسان ، وأنهما معاً شيء واحد ابن الله - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً-.[2]

وتسمى كنيستهم بالكنيسة الكاثوليكية أو الغربية ؛ وسميت غربية لامتداد نفوذها إلى الغرب في بلاد إيطاليا وبلجكيا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال ، وإن كان لها أتباع فيما

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح/(٣١٥/٢) ، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد ابن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق وتعليق: د.علي بن حسن بن ناصر، د. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، د. حمدان ابن محمد الحمدان.

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل/(١/١١٠، ١١١).

عدا ذلك من البلدان.[1]

٢- **اليعقوبية (الأرثوذكس):**

وهم من قال إن المسيح هو الله – تعالى- نفسه ، وأن الله مات وصُلب وقُتل ، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر ، والفلك بلا مدبر ، ثم قام ورجع كما كان ، وعنهم أخبر القرآن الكريم:﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ... ﴾.[2] [3]

وتسمى كنيستهم بالكنيسة الأرثوذكسية أو الشرقية أو اليونانية ؛ لأن أكثر أتباعها من البلاد الشرقية كروسيا والبلقان واليونان ، وكان مقرها الأصلي القسطنطينية.[4]

٣- **المعارضون (البروتستانت):**

وأصحاب هذه الفرقة يتبعون الإنجيل دون غيره ، ويفهمونه بأنفسهم ، ولا يخضعون لفهم سواهم له ، وهم بهذا الاتجاه يعارضون من يرى أن فهم الإنجيل وقفاً على رجال الكنيسة ، كما ينكرون إعطاء الغفران للناس من الكنيسة ، إلا أنهم لا يختلفون مع الفرق الأخرى في عقيدة التثليث ، وألوهية المسيح وبنوته وصلبه وتكفيره عن خطيئة البشر الأزلية التي ارتكبها آدم –عليه السلام–.

وتسمى كنيستهم بالكنيسة الإنجيلية ، وتنتشر في ألمانيا وانجلترا والدانمرك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية.[5]

سادساً: من قبائح ضلالات النصارى:

للنصارى قبائح وضلالات عظمى لا يرضى بها عقل ولا معرفة ، ومنها:

١- تنقص الخالق وسبُّهُ ، ورميه بالعظائم ، ومن ذلك:

أ- اعتقادهم اتخاذ الله – سبحانه وتعالى – الولد ، قال –تعالى-: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ

(١) انظر: المسيحية/(ص٢٣٨).

(٢) سورة المائدة ، الآية (٧٢).

(٣) انظر: الملل والنحل/(١/٢٢٥) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل /(١/١١١).

(٤) انظر: المسيحية/(ص٢٣٩).

(٥) انظر: المسيحية/(ص٢٤١ ، ٢٤٢)، اليهودية والمسيحية/(ص٤٠٧-٤١٠).

ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.[1]

وهـذا شتم لله -تعالى- فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قـال : (**قال الله : كذّبني ابن آدم ولم يكن لـه ذلك ، وشتمني ولم يكن لـه ذلك ، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي فقوله : لي ولدٌ ، فسبحاني أن أتخذ صاحبةً أو ولداً**).[2]

ب- أنهـم نسبوا إليه -سبحانه- الظلم ، حيث زعموا أنه سجن أنبياءه ورسله وأولياءه في الجحيم ، بسبب خطيئة أبيهم آدم.

ج- أنهم نسبوا إليه -تعالى- السَّفه ، حيث خلصهم من العذاب بتمكينه أعداءه من نفسه ، حتى قتلوه ، وصلبوه ، وأراقوا دمه.

د- أنهـم نسـبوا إليه العجز ، حيث عجَّزوه أن يخلصهم من العذاب بغير هذه الحيلة.

هـ- أنهـم نسبوا إليه النقص ، حيث سلَّط أعداءه على نفسه وابنه ففعلوا به ما فعلوا- تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً-.

٢- الغلو في المخلوق ، حيث جعلوه شريك الخالق وجزءاً منه ، وإلهاً آخر معه ، وأنِفُوا أن يكون له عبداً.

٣- جمعهم بين الشرك وعيب الإله ، وتنقصه ، وتنقص نبيهم ، وعيبه ، ومفارقة دينه بالكلية ، فلم يتمسكوا بشيء مما كان عليه المسيح لا في صلاتهم ولا في صيامهم ولا في أعيادهم ؛ بل هم في ذلك أتباع كل ناعق ، مستجيبون لكل مبطل ، أدخلوا في الشريعة ما ليس منها ، وتركوا ما أتت به.

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١١٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ ...﴾ ، [سورة البقرة ، الآية: ١١٦] ، ح(٤٤٨٢). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٣٦٨).

٤- انحراف أئمة دينهم ورهبانهم إلى الحيل والخداع ؛ ليقتنصوا بها عقول العوام ، ويتوصلوا بالتمويه والتلبيس إلى استمالتهم وانقيادهم ، واستدرار أموالهم.

٥- تعظـيم الصليب ، وجعله شِعار دينهم ، ولو كان لهذه الأمة أدنى مسكة من عقـل ، لكـان ينبغي لهم أن ينبذوا الصليب من أجل معبودهم وإلههم حين صُلِب عليه!.

٦- شدة اختلافهم وفرقتهم وحيرتهم وضلالهم ، فالمتقدمون منهم الذين هم قريبو العهد بالمسيح لا يثبت لهم قدم ، ولا يستقر لهم قول ، فلو سألت أهل البيت الواحد عن دينهم ومعتقدهم في ربهم ونبيهم لأجابك الرجل بجواب ، وامرأته بجواب ، وابنه بجواب ، والخادم بجواب ، فما ظنك بمن في عصرنا هذا ، وهم نخالة الماضي ، وقد طال عليهم الأمد ، وبَعُد عهدهم بالمسيح ودينه؟.[1]

إلى غير ذلك من القبائح والضلالات التي عرف بها النصارى حتى يومنا هذا ، كما أن تخبطهم وعدم ثباتهم على قول واحد في عقيدتهم مما ينبغي للداعي إلى الله أن يحاجهم فيه للدلالة على بطلان عقيدتهم وانحرافها .

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان /(٢٠٦/٢) وما بعدها.

المطلب الخامس: المجوس.

أولاً: التعريف بالمجوس:

هم أهل دين يثبت إلهين ، إلهاً للخير ، وإلهاً للشر ، ويتشعبون شعباً ترجع إلى هذين الأصلين.[1]

والمجوسية من أديان الفرس القديمة –إيران حالياً– ، وقد أصبحت من تراث الفرس.[2]

ويسمي المجوس الأصل الأول: النور ، والأصل الثاني: الظلمة، وبالفارسية:[يزدان]، و[أهرمن] ، ومسائلهم كلها تدور على قاعدتين اثنتين:

الأولى: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ ، والخلاص معاداً.[3]

ثانياً: فرق المجوس:

للمجوس فرقتان رئيستان ، وهما كالتالي:

الفرقة الأولى: المجوس الأصليون :

وهؤلاء يعتقدون بأصلين اثنين ، مدبرين يقسمان الخير والشر ، والنفع والضر ، والصلاح والفساد ، وهما النور والظلمة ، إلا أن النور أزلي قديم ، والظلمة محدثة.[4]

ومن طوائف هذه الفرقة :

١- الكيومرثية :

وهذه الطائفة ترى أن سبب خلق [أهرمن] أن [يزدان] فكر في نفسه أنه لو كان لي منازع فكيف يكون؟ وهذه الفكرة كانت رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام

---

(١) انظر: التحرير والتنوير/(٢٢٣/١٦).

(٢) انظر: وجاء دور المجوس /(ص٣٠ ، ٣١) ،تأليف : عبدالله محمد الغريب.

(٣) انظر: الملل والنحل/(٢٣٢/١).

(٤) انظر : المصدر السابق/(٢٣٢/١،٢٣٣).

من هذه الفكرة ، وسمي [أهرمن] ، وكان مطبوعاً على الشر والفساد فخرج على النور يغالبه.[1]

٢- الزروانية :

هـــذه الطائفة ترى أن النور أبدع أشخاصاً من نور ، كلها روحانية لكن الشخص الأعظـــم الذي اسمه [زروان] شك في شيء من الأشياء ، فحدث [أهرمن] الشيطان ، يعني إبليس من ذلك الشك.[2]

٣- الزردشتية :

هذه الطائفة ترى أن الله – تعالى- خالق النور والظلمة ومبدعهما ، وهو واحد لا شريك لـــه ، ولا ضد ، ولا نِدْ ، ولا يجوز أن يُنسب إليه وجود الظلمة ، كما قالت الزروانية ، وأن النور والظلمة أصلان متضادان وهما مبدأ موجودات العالم ، وحصلت التراكيب من امتزاجهما.[3]

الفرقة الثانية : الثنوية :

وهـــذه الفـــرقة تعتقد بالاثنين الأزليين ، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان ، بخلاف المجوس التي كانت ترى حدوث الظلام ، وأزلية النور.[4]

ومن طوائف هذه الفرقة:

١- المانوية :

ترى هذه الطائفة أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين ، أحدهما نور والآخر

---

(١) انظـــر : الملل والنحل /(٢٣٣/١) ، التحرير والتنوير/(٢٢٣/١٦) ، تلبيس إبليس /(ص ٧٤) ، الداعي إلى الإســـلام/(ص٢٧١) ، للإمـــام أبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري النحوي ، تحقيق: سيد حسين باغجوان.

(٢) انظر: الملل والنحل/(٢٣٤/١) ، أبكار الأفكار في أصول الدين /(٢٧٩/٢).

(٣) انظر: وجاء دور المجوس/(ص٢١ ، ٢٢)، الملل والنحل/(٢٣٦/١ ، ٢٣٧).

(٤) انظر : الملل والنحل/(٢٤٤/١).

ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزالا ، ولن يزالا ، وأنكروا وجود شيء إلا من أصل قديم ، ثم اختلفوا في المزاج وسببه ، والخلاص وسببه.[1]

٢- المزدكية:

قول هذه الطائفة كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين ، إلا أنهم يقولون : أن النور يفعل بالقصد والاختيار ، وهو عالم حساس ، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، وهو جاهل أعمى ، وأن المزاج والخلاص كان على الاتفاق والخبط ، لا بالقصد والاختيار .

ومن مذهبهم النهي عن المخالفة ، والمباغضة ، والقتال ، وإباحة النساء ، والأموال ، وجعل الناس شركاء فيهما ، كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ.[2]

٣- الديصانية:

تعتقد هذه الطائفة بأصلين : نوراً وظلاماً ، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً ، والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً ، واختلفوا في المزاج والخلاص.[3]

٤- المرقيونية :

تتستر هذه الطائفة بالنصرانية ، وترى أن أصل العالم ثلاثة: نور ، وظلمة ، وأصل ثالث ، معدل بينهما لتضادهما ؛ فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع ، وذكروا أن الجامع دون النور في المرتبة ، وفوق الظلمة ، وحصل من هذا الاجتماع والامتزاج هذا العالم .[4]

---

(١) انظر: الملل والنحل /(١/٢٤٤) ، أبكار الأفكار في أصول الدين /(٢/٢٧٦) ، وجاء دور المجوس/(ص ٢٥ ، ٢٦) . وللاستزادة انظر: الفهرست/(ص٤٥٦) ومابعدها.

(٢) انظر: الملل والنحل/(١/٢٤٩) ، أبكار الأفكار في أصول الدين/(٢/٢٧٧).

(٣) انظر: الملل والنحل/(١/٢٥٠) ، أبكار الأفكار في أصول الدين/(٢/٢٧٧).

(٤) انظر: الداعي إلى الإسلام/(ص٢٢٢)، الملل والنحل/(١/٢٥٢) ، أبكار الأفكار في أصول الدين/(٢/٢٧٧)، الفهرست/(ص٤٧٤ ، ٤٧٥).

٥- الكينوية:

هـــذه الطائفة ترى أن أصول العالم ثلاثة: النار ، والأرض ، والماء ، ومنها حدثت الموجـــودات ، وهؤلاء يتعصبون للنار ، ويروهما بطبعها خيّرة ، والماء ضدها ، والأرض متوسطة.[١]

ومـــنهم الصـــيامية وهـــم قوم أمسكوا عن طيبات الرزق ، وتجردوا لعبادة الله ، وتوجهوا في عباداهم إلى النيران ، تعظيماً لها ، وأمسكوا عن النكاح والذبائح.

ومنهم -أيضاً- التناسخية وهم من يرى تناسخ الأرواح في الأجساد ، والانتقال من شخص إلى شخص ، وما يلقاه الإنسان من راحة ، وتعب ، ودعة ، ونصب ، فمرتب على ما أسلفه من قبل ، وهو في بدن شخص آخر جزاء على ذلك.[٢]

ثالثاً: ذم معتقدات المجوس:

ممـــا سبق تتضح معتقدات ومذاهب المجوس والتي هي غاية في السخف والسماجة ، يُفـــني أهـــلها أعمـــارهم فيها بلا دليل عقلي ولا شرعي ، وهي تؤدي بهم إلى الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة .

يقول الإمام العلاّمة ابن قيِّم الجوزية-رحمه الله-:« ولولا أن الله -سبحانه- يحكي عـــن المشركين والكفار أقوالاً أسخف من هذا وأبطل لاستحى العاقل من حكاية مثل هـــذا ، ولكن الله -سبحانه- سنَّ لنا حكاية أقوال أعدائه ، وفي ذلك من قوة الإيمان وظهور جلالته ومعرفة قدره وتمام نعمة الله -تعالى- على أهله به ، ومعرفة قدر خذلانه للعبد ، وإلى أي شيء يصيره الخذلان حتى يصير ضِحْكَة لكل عاقل ، فأي ضلال وأي خذلان أعجب من أن يُفني عمره في النظر والبحث وهذا غاية علمه بالله -عز وجل- وبالمبدأ والمعاد !!».[٣]

---

(١) انظر: أبكار الأفكار في أصول الدين/(٢/٢٧٨).

(٢) انظر : الملل والنحل/(١/٢٥٣).

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/(٢/١٧٩).

وقال الإمام الحافظ ابن الجوزي[1]- رحمه الله- : «وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى ».[2]

أما معرفة هذه المعتقدات للداعية فإنها من فقهه لواقعه ، من وجهين رئيسين :

الأول : أنها تساعده على تصور أسس الانحراف الفكري والعقدي عند المدعوين على اختلافهم ، للوقاية من وقوعه ، أو القضاء على بوادره عند ظهوره.

الثاني : أنها تعرِّفه بواقع المدعوين من حوله ، فتبين له عقيدة وطريقة تفكير المدعو ، ومن ثم تساعده على اختيار السبل المناسبة لدعوته.

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي ، الإمام العلاّمة ، الحافظ المُفسِّر، ولد سنة تسع ، أو عشر وخمس مئة ، كان رأساً في الوعظ ، والتفسير ، والتاريخ ، ذا تفننٍ وفهمٍ وذكاءٍ وحفظٍ واستحضار ، وإكبابٍ على الجمع والتصنيف ، من مصنفاته : «الوجوه والنظائر » ، و«تذكرة الأريب » ، و«صيد الخاطر » ، توفي سنة سبع وتسعين وخمس مئة . انظر: سير أعلام النبلاء /(٢١/٣٦٥-٣٨٤).

(٢) تلبيس إبليس /(ص ٧٦).

المطلب السادس: المشركون.

أولاً: التعريف بالمشركين:

المشركون قوم اعتقدوا وجود شريك لله -تعالى- في الإلهية ، يعبدونه كما يعبدون الله -سبحانه وتعالى- .[1]

وهم عبدة الأصنام والأوثان ، يعظمونها ويتقربون إليها ، ويصرفون أوجهاً من العبادة لها من دون الله ، ولا يرضون عنها بديلاً.

ثانياً: الإشراك بالله من أعظم الفتن:

أكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان ، ولم يتخلص من عبادتها إلا الحنفاء ، أتباع ملة إمام الحنفاء إبراهيم -عليه السلام- الذي قال -تعالى- على لسانه : ﴿...وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾.[2]

فالإشراك بالله من أعظم الفتن ، فمن أجل هذه الأصنام و الأوثان بذل المشركون نفوسهم وأموالهم وأبناءهم دونها ، وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حلّ بهم ، فلا يزيدهم ذلك إلا حُباً لها وتعظيماً لها ، بل ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها ، وتحمل أنواع المكاره في نصرتها ، وعبادتها ، وهم يسمعون أخبار الأمم التي فتنت بعبادتها ، وما حلّ بهم من عاجل العقوبات ، فلا يثنيهم ذلك عنها.

ومن أجل ذلك أباح الله -عز وجل- لرسوله -ﷺ- وأتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء وأموالهم ونساءهم وأبناءهم ، وأمرهم بتطهير الأرض منهم حيث وجدوا ، وذمهم بسائر أنواع الذم ، وتوعدهم بأعظم العقوبة ، فهؤلاء في شق ورسل الله -تعالى- كلهم في شق آخر.[3]

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد/(ص ٢٨)،للشيخ :سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب.

(٢) سورة إبراهيم ، الآية (٣٥).

(٣) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/(٢/ ١٦٣،١٦٤).

وهـــذا البلاء والضنك والضيق ، لا يزيدهم إلا حرصاً عليها وتقرباً لها ، وهذا من أعظـــم تلاعـــب الشيطان وكيده بهم ، فإنهم بهذه العبادة لا ينالون نفعاً ولا ضراً ، بل ضلالاً وهلاكاً ، قال -تعالى- : ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾.[1]

ثالثاً: أصل الإشراك بالله :

للإشراك بالله أصلان رئيسان ، وهما:

١- تعظيم الموتى وقبور الصالحين :

ومـــن ذلك حدث أول شرك في البشرية ، وهو شرك قوم نوح ، قال -تعالى- : ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾.[2]

فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنها :« أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكـــوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت».[3]

وتعظيم الموتى وقبور الصالحين من الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منـــزلته ، حتى يجعل لهم حظاً من الإلهية ، بتشبيهه بالله -سبحانه- وإن لم يُشَبَّهُ به من كل وجه.

٢- عبادة الكواكب :

كـــان المشركون يصنعون للأصنام طلاسم للكواكب من مادة تناسب ما يرونه من طبـــيعة ذلك الكوكب ، ويتحرون الوقت المناسب لصنعة ذلك الطلسم ، ثم يتكلمون علـــيه بالشرك والكفر ، ثم تأتي الشياطين وتدخل في الأصنام وتخاطبهم منها ، وتخبرهم بـــبعض الغيبـــيات وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم ، وهم لا يشاهدون الشياطين ،

---

(١) سورة الحج ، الآية (١٢).

(٢) سورة نوح ، الآية (٢٣).

(٣) أخرجه الإمـــام البخاري في كـــتاب الـــتفسير ، بـــاب﴿...وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ ، برقم (٤٩٢٠). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص ٤٢٣).

فجهـــلهم يجعلهم يظنون أن الصنم نفسه هو المُتَكَلِم المُخَاطِب ، فإذا سمع الخطاب من الصنم اتخذه إلهاً ، ولا يسأل عما وراء ذلك.[1]

رابعاً: من آثار الإشراك بالله:

للإشراك بالله آثار عظيمة على المشركين ، ورد في سورة الحج بعضها ، فمن ذلك:

١- مجازاتهم بنار جهنَّم يوم القيامة :

وهذا من أعظم الآثار التي يتركها الإشراك بالله – تعالى-، فإن الشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو ذنب يستوجب عقاب فاعله.

قال – سبحانه وتعالى-: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾.[2]

وكـــان أبـــو ذر[3]-رضي الله عنه- يقســـم قسماً أنها نزلت في الذين بارزوا يوم بدر ؛ من المسلمين : علي ، وحمزة ، و عبيدة بن الحارث[4] -رضي الله عنه- ، ومن الـــمشركين : عتبة[5]

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين /(ص٢٨٥ ، ٢٨٦) ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/(١٦١/٢) وما بعدها.

(٢) سورة الحج ، الآيات (١٩ - ٢٢).

(٣) جندب بن جنادة بن سكن ، أبو ذر الغفاري ، من السابقين إلى الإسلام ، روى عن النبي -ﷺ- ، مضت بدر وأحد و لم تتهيأ لـــه الهجرة إلا بعد ذلك ، زاهد عالم ، توفي بالرَبَذة سنة إحدى وثلاثين ، وقيل في التي بعدها ، وعليه الأكثر. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة/(١٠٥/٧-١٠٩).

(٤) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي ، أسلم قديماً ، وكان مع النبي -ﷺ- بمكة ، ثم هاجر ، وشـــهد بدراً ، وبارز فيها شيبة بن ربيعة ، فضرب شيبة عبيدة على ساقه ، فحمل حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب –رضي الله عنهما- على شيبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة ، فمات بعد ذلك بالصفراء . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة / (٣٥٢/٤ ، ٣٥٣).

(٥) عتـــبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أبو الوليد ، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، كان موصوفاً بالرأي والحـــلم والفضـــل ، وخطيباً ، نافذ القول ، انقضت حرب الفجار على يديه ، قتله حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- يوم بدر . انظر: نسب قريش /(ص١٥٢) ، لأبي عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري ، عـــناية وتصحيح وتعليق : أ. ليفي بروفنسال ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب/(٢٤١/١) ، للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي ، عناية وضبط وتصحيح : محمد بهجة الأثري ، الأعلام /٢٠٠/٤).

وشيبة[1] ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة[2].[3]

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾.[4]

٢- تعجيل العقاب والعذاب في الدنيا :

قال -تعالى-: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾.[5]

ورغم ما هم عليه من قبيح العمل نجدهم يستعجلون العذاب ،قال -سبحانه وتعالى- :﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾.[6]

---

(١) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، من زعماء قريش في الجاهلية ، ممن دأب أن يصد الناس عن النبي -ﷺ- في أيام موسم الحج ، وممن أخرج المسلمين من مكة ، قتله حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- يوم بدر . انظر : نسب قريش /(ص١٥٢) ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب/(٢٤١/١) ، الأعلام /(١٨١/٣).

(٢) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، من سادات قريش ، قتله علي بن أبي طالب يوم بدر. انظر : المحبّر/(ص١٧٥) ، لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي ، رواية: أبي سعيد الحسن ابن الحسين السكري ، تصحيح وعناية : د. إيلزة ليختن شتيتر ، نسب قريش /(ص١٥٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب التفسير ، باب قوله -تعالى-:﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ...﴾ ، ح(٣٤) ، وأخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير، باب قوله:﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ...﴾ ، ح(٤٧٤٣) ، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص ١٢٠٢، ٣٩٩).

(٤) سورة الحج ، الآية (٧٢).

(٥) سورة الحج ، الآيات (٤٢ - ٤٥).

(٦) سورة الحج ، الآيتان (٤٧ ، ٤٨).

٣- عمى البصيرة عن رؤية آثار الشرك السيئة:

قال -سبحانه وتعالى- : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾.[1]

٤- قسوة القلب ، وحيرته واضطرابه :

قال -تعالى-: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾.[2]

قال العلاّمة ابن كثير[3]- رحمه الله- عن القاسية قلوبهم : «هم المشركون ».[4]

٥- الهلاك ، والتعرض للآفات والبلايا:

قال -تعالى-: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾.[5]

٦- خذلان الله -سبحانه وتعالى- للمشركين :

قال -تعالى-:﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾.[6]

فأصنامهم وأوثانهم لن تغني عنهم من الله شيئاً ، ولن تدفع عنهم عذابه وعقابه ، فإن النصرة إنما تكون من عند الله وحده لا شريك له.

إلى غـــير ذلك من الآثار ، فإن الشرك بالله داء عظيم ، وبلاء جسيم ، يعمي بصر العبد عن رؤية الحق وما يؤدي إليـــه الباطل ، مما يجعله يستمر على ضلاله حتى يأذن الله بهلاكه ، وهو في غفلاته سادر يحسب أنه يحسن صنعاً .

ومما سبق تتضح أصناف المدعوين إلى الله في سورة الحج .

---

(١) سورة الحج ، الآية (٤٦).

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٣).

(٣) تقدمت ترجمته في (ص٤٧) من هذه الرسالة.

(٤) تفسير القرآن العظيم/(٣/٢١٨).

(٥) سورة الحج ، الآية (٣١).

(٦) سورة الحج ، الآية (٧١).

المبحث الثاني: أحوال المدعوين إلى الله في سورة الحج.

توطئة:

للمدعو إلى الله - تعالى- في سورة الحج ثلاثة أحوال ، ترتبط ارتباطاً مباشراً بحال قلبه عند تعرضه للفتن ، وقد بينَّها المولى - جل شأنه- في قوله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.[1]

سبب نزول هذه الآيات:

ذكر المفسرون أنها لما نزلت سورة النجم وقرأها رسول الله-ﷺ-حتى بلغ:﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾،[2] ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت ، فقال :{وإنهنَّ لهنَّ الغرانيق العُلى، وإنَّ شفاعتهنَّ لهي التي تُرتجى}، - وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته- فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وتباشروا بها أن محمداً يذكر آلهتهم بخير ، ولما بلغ رسول الله -ﷺ- آخر سورة النجم سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم أو مشرك ، وقد فشت هذه الكلمة في الناس حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين ، وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، ولما رأى المشركون أن النبي -ﷺ- لا يزال يعيب آلهتهم ، ازدادوا تضييقاً وتنكيلاً بالمؤمنين ، فأحزن ذلك النبي -ﷺ- ؛ فنزلت الآيات تسلية له.[3]

---

(١) سورة الحج ، الآيات (٥٢ - ٥٤).

(٢) سورة النجم ، الآيتان (١٩، ٢٠).

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم/(٣/٢١٧).

وقـــد تعـــددت روايات المفسرين وتأويلاتهم لهذه القصة ، ومنهم من ذكر أن النبي -ﷺ- قال هذه الكلمات سهواً وخطأً ، لما كان يتمنى هدايتهم ! وفي هذا القول غلط كبير ، فإن هذه القصة لم يثبت وقوعها من سند صحيح .

قـــال الإمام العلاَّمة ابن كثير[1] -رحمه الله-: « قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قـــريش قـــد أســـلموا ، ولكـــنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح».[2]

كما أن مما يؤيد بطلان نسبة ذلك للنبي -ﷺ- ما يأتي :

١- أن معـــنى تمـــنى : حدَّث ، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال في قوله -تعالى-:﴿... إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ...﴾ أي: « إذا حدَّث ألقى الشيطان في حديثه ، فيبطل الله ما يُلقي الشيطان ، ويُحكم آياته».[3]

٢- أن رســـول الله -ﷺ- معصوم عن الإتيان بمثل ذلك ، قال القاضي عياض[4] -رحمـــه الله- عـــن رسول الله -ﷺ- : « وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصـــوم من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به ، لا قصداً ولا عمداً ، ولا سهواً ولا غلطاً ».[5]

---

(١) تقدمت ترجمته في (ص٤٧) من هذه الرسالة.

(٢) تفسير القرآن العظيم/(٣/٢١٧).

(٣) أخـــرجه الإمـــام الـــبخاري في صحيحه في أول كتاب التفسير ، سورة الحج . انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/(ص٣٩٨).

(٤) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي الأندلسي ، (٤٧٦-٥٤٤هـ) ، أبو الفضل ، استبحر من العلـــوم وجمع وألَّف ، وهو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم ، ولِّي القضاء وله خمس وثلاثون سنة ، من كتبه : «العقيدة» ، و«جامع التاريخ ». انظر : سير أعلام النبلاء /(٢٠/ ٢١٢ -٢١٨).

(٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى-ﷺ -/(٢/٢٨٥) ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ، تحقيق: محمد أمين قرة علي ، وآخرون.

فـــالذي يظهر أن النبي -ﷺ- كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً ، ويفصِّل الآي تفصـــيلاً في قراءته ، فترصد الشيطان لتلك السكنات ، ودس فيها مما اختلقه من تلك الكلمات ، محاكياً نغمة النبي -ﷺ- بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار ، فظنُّوها من قول النبي -ﷺ-وأشاعوها.[1]

قال الإمام الشوكاني[2]- رحمه الله - : « فحاصل معنى الآية: أن الشيطان أوقع في مســـامع المشركين ذلك من دون أن يتكلم به رسول الله -ﷺ- ولا جرى على لسانه فـــتكون هـــذه الآية تسلية لرسول الله -ﷺ- أي : لا يُهولنَّك ذلك ولايحزنك ، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء ».[3]

ففـــي وقـــوع هذه الفتنة حكمة إلهية عظيمة ، تُبين أحوال المدعو إلى الله تجاه هذه الفتنة.

يقـــول الإمام ابن قيِّم الجوزية – رحمه الله- : « أخبر الله –سبحانه- أنه جعل ما ألقاه الشيطان في أمنية الرسول محنة واختباراً لعباده ، فافتتن به فريقان ، وهم الذين في قلوبهـــم مرض ، والقاسية قلوبهم ، وعلم المؤمنون أن القرآن والرسول حق ، وأن إلقاء الشيطان باطل ، فآمنوا بذلك ، وأخبتت لـــه قلوبهم ، فهذه غاية مطلوبة مقصودة بهذا القضاء والقدر».[4]

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن /(١٢/٥٥).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٧٣) من هذه الرسالة.

(٣) فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير/(٣/٦٦٢).

(٤) الضـــوء المنير على التفسير/(٤/٢٩١). جَمَعَهُ: علي الحمد المحمد الصالحي من كتب الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية.

المطلب الأول: حال أولي القلوب المريضة.

أولاً: تعريف القلب المريض:

هو القلب الذي حصل له نوع فساد ، فسد به تصوره ، وإرادته.

ففساد تصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق ، أو يراه على خلاف ما هو عليه ، وفساد إرادته بحيث يبغض الحق النافع ، ويحب الباطل الضار.(١)

قال –تعالى-: ﴿ ... لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ... ﴾.(٢)

والمرض دون الموت ، والقلب يموت بالجهل المطلق ، ويمرض بنوع من الجهل ، فله موت ومرض ، وحياة وشفاء ، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه ، فلهذا مرض القلب إذا وردت عليه شُبْهَة أو شهوة قوَّت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه ، فمن في قلبه مرض لا يموت قلبه كموت قلوب الكفار والمنافقين ، وهو أيضاً ليس صحيحاً صالحاً كصلاح قلوب المؤمنين ؛ بل فيه مرض شُبَهٍ وشهوات.(٣)

ثانياً: من علامات مرض القلب :

من علامات مرض القلب التردد والشك ، قال –تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾.(٤)

فمريض القلب يقابل الدعوة بالتردد والشك ، لا قبول المطمئن بصدق دعوة الإسلام ، ولا يُعرض عنها إعراضاً تاماً ، ولكنه يضع نفسه في معرض الموازنة بين موروثه القديم ودين الإسلام ، فهو يقبل دعوة الإسلام ، ويدخل في عداد متبعيه ، لكنه

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية /(١٠/٩٣).

(٢) سورة الحج ، الآية (٥٣).

(٣) انظر: المصدر السابق /(١٠/٩٤،٩٥).

(٤) سورة الحج ، الآية (١١).

يرقب ماينتابه بعد دخوله هذا الدين ، فإن أصابه خير عَقِبَ ذلك علم أن ما كان عليه سابقاً ليس بحق وأن آلهته لا تقدر على شيء ؛ لأنها لو قدرت لانتقمت منه على نبذ عبادتها ، وإن أصابه شر من شرور الدنيا العارضة في الحياة ، والمسببة عن أسباب عادية سخط على الإسلام وانخلع عنه ، وتوهم أن آلهته أصابته بسوء غضباً من مفارقته عبادتها.[(١)]

ثالثاً: سبب مرض القلب:

سبب مرض القلب ضعف الإيمان الموقع في الذنوب والمعاصي ، فالذنوب والمعاصي تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه ، فلا يزال مريضاً معلولاً ، لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه ، فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان ، بل الذنوب أمراض القلوب ودآؤها ، ولا دواء إلا تركها ، وقد أجمع السائرون إلى الله على أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها ، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ، ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها ، وترك الذنوب والمعاصي.[(٢)]

رابعاً: علاج مرض القلب:

لمرض القلب علاج ناجع يَردُّ القلب إلى الصحة والسلامة ، ومن ذلك:

١- تدبُر القرآن الكريم وتلاوته ، فإن القرآن شفاءٌ لما في الصدور ، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات ؛ ففيه من البيِّنات ما يزيل الحق من الباطل ، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك ؛ بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه ، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يُوجب صلاح القلب ، فيَرْغَبه فيما ينفعه ، ويَرْغَب عما يضره ، فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للغي ، بعد أن كان

(١) انظر: التحرير والتنوير/(١٦/٢١٠،٢١١).

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي/(ص ١٢٧).

مريداً للغي مبغضاً للرشاد.

٢- الصَّدقة ، فإنها لما كانت تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار صار القلب يزكو بها ، ويطهر من الذنوب والمعاصي.

٣- ترك المعاصي ، فإنها بمنـــزلة الأخلاط الرديئة في البدن التي تورث المرض.

٤- محاســبة الـــنفس ومخالفــتها ، فإن سائر أمراض القلوب إنما تنشأ من جانب الـــنفس، فـــالمواد الفاسدة كلها إليها تنصب ، ثم تنبعث منها إلى الأعضاء ، وأول ما تنال القلب.

٥- محاربـــة الشـــيطان ووساوسه ، وردِّ كيده والاستعاذة من شره ، فإن كافة أمـــراض القلـــوب وفسادها إنما ينشأ من وسوسته ومكائده ، ففي مراغمته ومجاهدته دواء عظيم لمرض القلب.[1]

فيجـــب على العاقل المبادرة إلى مداواة قلبه ، والحرص على ذلك ، فإن القلب أهم عضو في الجسد ، وبصلاحه يصلح حال العبد في الدنيا والآخرة .

(١) انظـــر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/(١٠/٩٥ ، ٩٦)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/(٦٠/١، ٧٢).

المطلب الثاني: حال أولى القلوب القاسية.

أولاً: تعريف القلب القاسي:

هـــو القلب الذي لا يقبل ما يُبث فيه ، ولا ينطبع فيه الحق ، ولا ترتسم فيه العلوم النافعة ، ولا يلين للقيام بالأعمال الصالحة.[1]

فهذا القلب قاسي حجري يابس لا يلين للحق ولا يذعن له لأنه قلب ميت.

قـــال الإمام العلاَّمة عبدالرحمن بن ناصر السعدي[2]- رحمه الله - : « ﴿...وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ...﴾،[3] أي : الغليظة ؛ التي لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير ، ولا تفهم عن الله وعن رسوله لقسوتها ، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان جعلوه حجة لهم على باطلهم ، وجادلوا به وشاقوا الله ورسوله».[4]

ثانياً: علامة القلب القاسي:

القلـــب القاسي هو القلب الميت الذي لا حياة فيه ، فهو لا يعرف ربه ، ولا يعبده بأمـــره وما يحبه ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضـــبه ، وهو لا يبالي إذا فاز بشهوته ، رضي ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير الله : حـــباً، وخوفاً ، ورجاءً ، ورضاً ، وسخطاً ، وتعظيماً ، وذلاً ، إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغـــض أبغض لهواه ، وإن أعطى أعطى لهواه ، وإن مَنَع مَنَع لهواه ، فهو آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه ، فالهوى إمامه ، والشهوة قائده ، والجهل سائقه ، والغفلة مركبه ، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور ، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور ، يُنادى إلى الله والدار الآخرة من مكان بعيد ، ولا يستجيب للنصح ويتبع كل شيطان مريد ، الدنيا تسخطه وترضيه ، والهوى يُصمه عما سوى الباطل وُيعميه.[5]

---

(١) انظر : الضوء المنير على التفسير /(٤/٢٩١).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٩٨) من هذه الرسالة.

(٣) سورة الحج ، الآية (٥٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان /(ص ٥٤٢).

(٥) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/(١/٩،١٠).

ثالثاً: من آثار القلب القاسي على صاحبه:

للقلب القاسي الميت آثار سيئة على صاحبه ، ومنها ما يلي:

١- التردد والشك المفضي إلى الهلاك:

قال -تعالى- : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾.[1]

فإنَّ المرية والشك يستمران بأولئك القساة أصحاب الشقاق البعيد من القرآن ، هل هـــو كلام الله؟ هل هو حق؟ هل اتباعه نافع؟ حتى يأتيهم يوم القيامة فجأة ، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه لهم ، وعندها لا ينفع العلم ولا الإيمان.[2]

٢- بُغض آيات الله – سبحانه وتعالى- :

قال -تعالى- :﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾.[3]

فلما كانت قلوبهم قاسية ميتة ظهرت على وجوههم آثار ذلك عند تلاوة آيات الله -سبحانه وتعالى- بغضاً وكراهية للحق .

فالمنكر هو :«المساءة ، والتجهم ، والبسور ، والبطش ، الدال ذلك كله على سوء المعتقد وخبث السريرة ؛ لأن الوجه يظهر فيه الترح والفرح اللذان محلهما القلب».[4]

٣- عمى القلب عن رؤية الحق :

قال -سبحانه-: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾.[5]

---

(١) سورة الحج ، الآية(٥٥).

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/(٣/٤٨٩).

(٣) سورة الحج ، الآية(٧٢).

(٤) البحر المحيط /(٦/٣٥٨).

(٥) سورة الحج ، الآية(٤٦).

وهـــذا حـــثٌّ من الله – سبحانه وتعالى- لأولي القلوب القاسية على السفر ليروا مصـــارع مـــن أهلكهم الله بكفرهم ، ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ، ولكن عمى القلب يحول دون الاعتبار ورؤية الحق ، فإنه إذا أبصر ما في القلب وعَمِيَ ما في الرأس لم يضر ذلـــك الإنسان ، وإن أبصر ما في الرأس وعَمِيَ ما في القلب لم ينفعه ذلك ، فإن محل العلم القلب الذي في الصدر.[1]

٤- فقد الحياء :

والحـــياء مشتق من الحياة ، فإن القلب الحي يكون صاحبه حياً فيه حياء يمنعه من القـــبائح ، فالحي يدفع ما يؤذيه ؛ بخلاف الميت الذي لا حياة فيه ، فإنه يسمى وقحاً ، والوقاحـــة الصلابة ، وهو اليبس المخالف لرطوبة الحياة ؛ فإذا كان وقحاً يابساً صلب الوجه لم يكن في قلبه حياة توجب حياءه ، وامتناعه من القبح كالأرض اليابسة لا يؤثر فيها وطء الأقدام ، بخلاف الأرض الخضرة.[2]

إلى غير ذلك من الآثار السيئة ؛ التي يتركها القلب القاسي على صاحبه ، فتؤدي به إلى الخسران المبين .

(١) انظر: تفسير النَّسَفي(المسمى مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل)/(١٠٥/٣).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/(١٠٩/١٠،١١٠).

المطلب الثالث: حال أولي القلوب المخبتة.

أولاً: تعريف القلب المخبت:

هـــو القلب «الذي جمع الصلابة والصفاء واللين، فيبصر الحق بصفائه، ويشتد فيه بصلابته، ويرحم الخلق بلينه».[1]

قال -تعالى-: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾.[2]

فأولوا القلوب المخبتة الذين أوتوا العلم، وهدوا إلى الصراط المستقيم، هم المؤمنون القانتون الذين يعلمون أن القرآن كتاب محكم الآيات، بعيدٌ عن الشبهات، وهو الحق مـــن الله، لا شك فيه تنـــزيلٌ من حكيم حميد، فيؤمنون به إيماناً صادقاً لا شُبَه فيه، فتخبت له قلوبهم، وتخشع، وتسكن مخلصة مطمئنة.[3]

ثانياً: علامات القلب المخبت:

بـــيَّن الله -سبحانه وتعالى- حقيقة الإخبات، ووصف المخبتين في سورة الحج في قوله -تعالى-: ﴿...وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾.[4]

قـــال الإمام ابن قيِّم الجوزية -رحمه الله-: «فذكر للمخبتين أربع علامات: وجل قلوبهم عند ذكره، والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة، وصبرهم على أقداره، وإتيانهم بالصـــلاة قائمة الأركان ظاهراً وباطناً، وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم، وهذا إنما يتأتى للقلب المخبت».[5]

---

(١) الضوء المنير على التفسير/(٤/٢٩٢).

(٢) سورة الحج، الآية (٥٤).

(٣) انظر: التفسير الواضح/(١٧/٦٩).

(٤) سورة الحج، الآيتان (٣٤،٣٥).

(٥) الضوء المنير على التفسير(٤/٢٩٤)، وانظر: (ص١٣٩-١٥١) من هذه الرسالة.

ثالثاً: أثر العلم النافع على القلب:

للعـــلم النافع أثرٌ عظيم على القلب، وهو عُدة المؤمن وعتاده عند حدوث الفتن ، يُفرِّق به بين الحق والباطل ، ويُجنبه ورود مواطن الهلاك.

قـــال الإمـــام العلاّمة ابن كثير[1]- رحمه الله- عند تفسير قوله -تعالى-:﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ...﴾[2] :

« أي : وليعـــلم الذيـــن أوتـــوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل ، والمؤمنون بالله ورسوله أنَّ ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه وحفظه، وحرسه أن يختلط به و غيره».[3]

فصاحب العلم النافع يُفرِّق بين إلهام المَلَك وإلقاء الشيطان، من عدة وجوه:

١- أنَّ ما كان لله موافقاً لمرضاته وما جاء به رسوله -ﷺ- فهو من الملك ، وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من إلقاء الشيطان.

٢- أنَّ مـــا أثمر إقبالاً على الله ، وإنابة إليه ، وذكراً لـــه ، وهِمة صاعدة إليه ، فهو من إلقاء المَلَك ، وما أثمر ضد ذلك فهو من الشيطان.

٣- أنَّ مـــا أورث أُنساً ونوراً في القلب ، وانشراحاً في الصدر فهو من الملك ، وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان.

٤- أنَّ مـــا أورث ســـكينة وطمأنينة فهو من المَلَك ، وما أورث قلقاً وانزعاجاً واضطراباً فهو من الشيطان.[4]

رابعاً: من آثار القلب المخبت على صاحبه:

للقلب المخبت السليم الصحيح آثار حسنة على صاحبه ، منها ما يلي:

---

(١) تقدمت ترجمته في (ص٤٧) من هذه الرسالة.

(٢) سورة الحج ، الآية(٥٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم/(٣/٢١٨).

(٤) انظر: الضوء المنير على التفسير/(٤/٢٩٦).

١- تحقيق العبودية لله وحده :

فإن القلب السليم هو الذي سَلِمَ من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره ، فسَلِمَ من عبودية ما سواه ، وسَلِمَ من تحكيم غير رسوله.

فسَلِمَ في محبة الله مع تحكيمه لرسول -ﷺ- في خوفه ورجائه والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، والذل له ، وإيثار مرضاته في كل حال ، والتباعد عن سخطه بكل طريق ، وهذه هي حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده.(١)

٢- فهم آيات الله -سبحانه وتعالى- :

قال -تعالى- :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴾.(٢)

وقد وعد الله -سبحانه- أولي القلوب المخبتة المؤمنة بالهداية ، في قوله:﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣)

فكان فهم آيات الله سبباً في نجاتهم من الوقوع في الفتنة.

٣- إدراك الحق وإيثاره على غيره :

فالقلب الحي المخبت فيه قوتان : قوة العلم والتمييز ، وقوة الإرادة والحب ، وكماله وصلاحه باستعمالهما بما يعود عليه بصلاحه وسعادته ، فكماله باستعمال قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته والتمييز بينه وبين الباطل ، وباستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل.(٤)

وبذلك يتبين أن أصناف المدعوين إلى الله وأحوالهم من الأمور التي وردت في سورة الحج ، ومما ينبغي على الداعية أن يحرص على معرفتها ، ومراعاتها في دعوته إلى الله.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/(١/٨).

(٢) سورة الحج ، الآية (١٦).

(٣) سورة الحج ، الآية (٥٤).

(٤) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/(١/٢٠).

الفصل الرابع:

وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها وميادينها في سورة الحج

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وسائل الدعوة إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثاني : أساليب الدعوة إلى الله في سورة الحج.

المبحث الثالث : ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج.

المبحث الأول: وسائل الدعوة إلى الله في سورة الحج.

توطئة:

وســـائل الدعوة إلى الله من أشرف الوسائل التي أمر الله عباده باتخاذها ؛ لأنها تُبلغ ديــن الله ، وتُســـهل عـــلى الداعي دعوة الناس إلى ربهم ، وإلى الإيمان بنبيهم ، وإلى التمسك بدينهم .

والداعـــي إلى الله مأمور باتخاذ الوسائل المناسبة التي توصله إلى غايته السامية بحسب ما يقتضيه الحال ، وشرف هذه الوسائل وأهميتها منبثق من الغاية التي يسعى الداعي إلى الله إلى تحقيقها من خلالها.

ولكـــي تؤدي هذه الوسائل وظيفتها ، فإنها لا بد أن تكون مستمدة من كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة نبيه -ﷺ- فهما الأصل الشرعي في كل ما يحتاجه الداعي إلى الله في دعوته.

وفي سورة الحج جاءت وسائل الدعوة إلى الله – تعالى- على نوعين :

الوسيلة الأولى: وسيلة التبليغ بالقول ، وهي الوسيلة الرئيسة في تبليغ الدعوة إلى الله.

الوسيلة الثانية: وسيلة التبليغ بالعمل ، وبها تتحقق الكثير من أهداف الدعوة إلى الله.

المطلب الأول: وسيلة التبليغ بالقول.

أولاً : تعريف القول :

« هو كل لفظ مُفْهِمٍ نطق به اللسان ، ويقابله الصمت والسكوت ».[1]

ثانياً : أهمية وسيلة التبليغ بالقول:

تتضح أهمية وسيلة التبليغ بالقول من وجوه عدة ، وذلك كما يلي:

١- أنها وسيلة أصلية يمتلكها كل إنسان ، إلا من حرم من الكلام بسبب عاهة ونحوها.

٢- أنها وسيلة سهلة ميسرة ، لا تحتاج إلى استعداد خاص وتكلف واضح أو إمكانيات معينة ، فرب كلمات قليلة تؤدي ما لا تؤديه أي وسيلة أخرى.

٣- أن التبليغ بالقول هو الوسيلة الأولى التي استخدمها الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – في دعوتهم إلى أقوامهم ، قال-تعالى- مخاطباً نبيه محمداً -ﷺ- :﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾،[2]وقال -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾.[3] [4]

٤- أنها وسيلة رئيسة يتفرع عنها العديد من الوسائل الفرعية المهمة والتي تعتمد وترتكز عليها ، كالخطبة والمحاضرة ، ... ونحو ذلك.

٥- أنها وسيلة شاملة للعديد من الأساليب الدعوية المؤثرة كالموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب ، قال -تعالى-: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة /(ص٣١١).

(٢) سورة الحج ، الآية (٤٩).

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (٤).

(٤) انظر: المدخل إلى علم الدعوة/(ص٣١١).

أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾.(1)

ومثل المجادلة بالتي هي أحسن ، قال -تعالى-: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾.(2)

وقال -تعالى- :﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.(3)

٦- أنهــا وسيلة تناسب أصنافاً شتى من المدعوين ، وتؤثر فيهم تأثيراً إيجابياً كبيراً على الرغم من اختلاف أحوالهم ، وذلك لما تقدمه من تنوع واسع في المعالجة.

٧- أن وســيلة التبلــيغ بالقول من الوسائل المهمة في تحقيق أهداف الدعوة على اختلافها وتنوعها.

ثالثاً : ضوابط وسيلة القول:

لوسيلة القول ضوابط تضبطها حتى تؤدي وظيفتها الدعوية ، وذلك كما يلي:

١- أن يكــون القول مشروعاً صادقاً ، لا كذب فيه ولا معصية ، ويطابق العمل ولا يخالفه.

قــال -تعالى-:﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.(4)

وقال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾.(5)

---

(1) سورة الحج ، الآية (٧٢).

(2) سورة النحل ، الآية (١٢٥).

(3) سورة الحج ، الآية (٦٨).

(4) سورة النحل ، الآية (١١٦).

(5) سورة الصف ، الآيتان (٢ ، ٣).

٢- أن يكون القول ليناً لطيفاً حسناً ، خالياً من الغلظة والشدة.

قال –تعالى– : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾.[(١)]

٣- أن يكـــون القول مفيداً ، ولا يكون مجرد ألفاظ وكلمات لا غرض فيها ولا معنى.

٤- أن يكون القول واضحاً بيِّناً لا غموض فيه ولا إبهام ، مفهوماً عند السامع ؛ لأن الغرض من الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى المدعو.

قال –تعالى– : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.[(٢)]

٥- أن يكـــون القـــول بعيداً عن التقعير بالتشدق وتكلف الفصاحة ، واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.

فعن عبدالله بن عمرو –رضي الله عنهما– أن رسول الله –ﷺ– قال: (**إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يَتخلّلُ بلسانه كما تَتَخلّلُ البقرة**).[(٣)]

٦- أن يكون الكلام خالياً من الألفاظ المستحدثة التي تحتمل حقاً وباطلاً ، وخطأً وصواباً ، حتى لا يعلق المعنى الباطل في ذهن المستمع.

٧- أن لا يكون القول مصاغاً في صيغة أمر أو استكبار أو استعلاء على المدعو.

قال –تعالى–: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ... ﴾.[(٤)]

---

(١) سورة طه ، الآية (٤٤).

(٢) سورة إبراهيم ، الآية (٤).

(٣) أخـــرجه الإمـــام الـــترمذي في كتاب الأدب عن رسول الله –ﷺ– ، باب ما جاء في الفصاحة والبيان، ح(٢٨٥٣) ، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب ، باب ما جاء في المتشدق في الكلام، ح(٥٠٠٥)، وقـــال الشـــيخ المحدِّث العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني عن الحديث:« صحيح » ، انظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح)/(ص٦٣٧) ، سنن أبي داود/(ص٧٤٩).

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٥٩).

٨- أن يحتوى القـول على فكرة ذات هدف وغاية قريبة من مخيلة الناس ، أو يشتمل على أمرٍ محبوب لديهم .

كقولـه -تعالى-:﴿ ... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ...﴾.[1] [2]

وبمراعاة ضوابط القول يكون لكلام الداعي إلى الله أثره المنشود ، خاصة وأن وسيلة القول من الوسائل السهلة و الميسرة التي يمتلكها كل داعية في الغالب .

---

(١) سورة الطلاق ، الآيتان (٢ ، ٣).

(٢) انظـر: أصول الدعوة /(ص ٤٧١) ، الدعوة إلى الله (الرسالة ، الوسيلة ، الهدف)/(ص ٢٦٢) ، تأليف الدكتور: توفيق الواعي ، المدخل إلى علم الدعوة /(ص ٣١٢).

المطلب الثاني: وسيلة التبليغ بالعمل.

أولاً: تعريف وسيلة التبليغ بالعمل:

هو كل فعل مادي مشروع يؤدي إلى تبليغ الدعوة إلى الله بطريقة عملية تطبيقية.

ثانياً: أهمية وسيلة التبليغ بالعمل:

تتضح أهمية وسيلة تبليغ الدعوة إلى الله بالعمل، من خلال ما يلي:

١- أن وسيلة التبليغ بالعمل من وسائل تبليغ الرسل -عليهم الصلاة والسلام- للدعوة إلى الله، ومن ذلك الجهاد في سبيل الله، قال -تعالى-: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.[1]

وقال -تعالى-: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ...﴾.[2]

٢- أنه يترتب على تبليغ الدعوة إلى الله بالعمل الأجر العظيم من الله، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾.[3]

٣- أن وسيلة التبليغ بالعمل تحقق العديد من أهداف الدعوة التي لا يمكن لوسيلة التبليغ بالقول تحقيقها، ومن ذلك بناء المساجد والمدارس التي تؤدي إلى تحقيق الكثير من أهداف الدعوة لأزمان متعددة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٦).

(٢) سورة الحج، الآية (٧٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٩٥).

ثالثاً : أنواع وسيلة التبليغ بالعمل:

وسيلة تبليغ الدعوة بالعمل من الوسائل الدعوية المهمة ، وقد وجاءت في سورة الحج على نوعين:

النوع الأول : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال –سبحانه تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝﴾.[1]

ويكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وسائل التبليغ بالعمل بأمرين:

أ- فعل المعروف:

الأمر بالمعروف لفظ واسع لا يقتصر على الأمر بالمعروف قولاً ، بل يشمل فعل المعروف عملاً ، فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان فإنه يدخل في وسيلة التبليغ بالقول ، وإذا كان بالعمل فإنه يدخل في وسيلة التبليغ بالعمل ، ومن ذلك بناء المساجد ، والمدارس ، ودور تحفيظ القرآن الكريم ، ومنه –أيضاً- تعليم المسلمين بعض شعائر دينهم عملياً ، وإقامة النشاطات العلمية العملية ، وزيارة المرضى وقضاء حاجاتهم ، وغير ذلك مما لا يكون إلا بالعمل.

فكل معروف يؤدي إلى تبليغ الدعوة إلى الله بوسائل عملية فهو من وسائل التبليغ بالعمل.

ب- إزالة المنكر:

لكي يكون إزالة المنكر من وسائل التبليغ بالعمل يشترط فيه أن يكون باليد ، وإذا أُزيل المنكر باللسان فإن ذلك يكون من وسائل التبليغ بالقول .

فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- ، أن رسول الله -ﷺ- قال : (**من رأى منكم منكراً**

---

(١) سورة الحج ، الآية (٤١).

فليغيره بيده ، فإن لم يستطيع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان).[1]

وذلك مثل كسر الملاهي ، وإراقة الخمر ، وخلع الحرير وخاتم الذهب من الرجل ، وإخراج الغاصب من الدار المغصوبة بالدفع والجرّ ، وما يجري مجراه من المعاصي التي لا تزال إلا باليد ، وينبغي أن يُراعى في ذلك أمران:

الأول : أن لا يباشر المحتسِب التغيير بيده إلا إذا احتاج إلى ذلك ، فإن أمكن أن يحمل المحتسب عليه إزالة المنكر بنفسه فعل ، فإن الاحتساب باليد يحتاج إلى اجتهاد وحِكمة في مراعاة المصلحة والمفسدة ، فإذا كُفي ذلك كان أولى له.

الثاني: أن يقتصر في تغيير المنكر على القدر المحتاج إليه ، فإن زيادة الأذى مستغنى عنها ، فقد يفضي إلى منكرٍ أشد منه.[2]

النوع الثاني: الجهاد في سبيل الله:

الجهاد في سبيل الله من أعظم وسائل تبليغ الدعوة إلى الله بالعمل ، فالغاية من تعبئة الجيوش وسير الجنود وقتال الأعداء هي إعلاء كلمة الله ؛ ولهذا قُيِّد الجهاد بكلمة في سبيل الله ؛ فلأجل عبادة الله وحده تسفك الدماء ، وتؤخذ الأموال ، وتستباح الحرمات ، قال -تعالى- : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ...﴾.[3]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-:**(أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله).**[4]

يقول الشيخ حسن البنا -رحمه الله- : « فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ، ولكن حماية للدعوة وضماناً للسلم ، وأداء

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، ح(٧٨). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ٦٨٨).

(٢) انظر : إحياء علوم الدين/(٢/٤٠٧) ، وللاستزادة انظر : الدعوة إلى الله(الرسالة ، الوسيلة ، الهدف/ (ص٣٤٤).

(٣) سورة الحج ، الآية (٧٨).

(٤) سبق تخريج هذا الحديث في (ص٦٧) من هذه الرسالة.

للرسالة الكبرى ، التي حمل عِبأها المسلمون ، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل ».[1]

وحتى تحقق هذه الوسيلة هدفها السامي لا بد أن تتبع وصية رسول الله -ﷺ- في هـــذا الشأن ، فعن سليمان بن بريدة[2] عن أبيه[3] -رضي الله عنه-قال : كان رسول الله -ﷺ- إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله -عز وجل- ومَنْ معه مِنْ المسلمين خيراً ، ثم قال :(**اغزوا باسم الله ، وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثـــلاث خصال – أو خلال- فأيَّتهُن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجـــرين...، فإن أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ....، فـــإن هـــم أبـــوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم...**).[4]

فوسيلة تبليغ الدعوة إلى الله بالجهاد في سبيله تحقق هدفها بإعلاء كلمة الله بإحدى أمور ثلاثة:

الأمـــر الأول : قـــبول الدعـــوة إلى الله بالدخول في الدين الإسلامي ، وهي الغاية الأساسية للجهاد في سبيل الله.

---

(١) من فقه الدعوة /(٦٤٩/٢).

(٢) سليمان بن بريدة بن الحصُيب الأسلمي المروزي ، (١٥-١٠٥هـ) ، أخو عبدالله ، توأمان ، تابعي ثقة ، كان أصح رواية من أخيه وأوثق ، توفي في «فنين» قرية من قرى مرو . انظر: تهذيب التهذيب /(٨٥/٢ ، ٨٦).

(٣) بـــريدة بن الحصُيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي ، أسلم حين مرَّ به النبي -ﷺ- مهاجراً ، وقيل: أسلم بعـــد منصرف النبي -ﷺ- من بدر ، غزا مع رسول الله -ﷺ- ست عشرة غزوة ، مناقبه مشهورة ، غزا خراسان في زمن عثمان -رضي الله عنه- ثم تحول إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة /(٤١٨/١).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسِّير ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته ، إياهم بآداب الغزو ، وغيرها ، ح(٣). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ٩٨٥).

الأمـــر الثاني : دفع الجزية ، وفي دفع الجزية عن ذلة وصغار من الأعداء مقابل حقن دمائهم وحمايتهم إعلاء للدعوة إلى الله ، واعترافاً بعزة المسلمين ورفعة شأنهم .

قال -تعالى-: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.[1]

الأمر الثالث : القتال لمن أبى الدخول في الإسلام ، وامتنع من دفع الجزية .

فحين يرفض الكافر النور والهدى ، وينفر من الاستجابة لحكم الإسلام بدفع الجزية، يجب قتاله لكي يكون الدين كله لله ، قال -تعالى-: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ... ﴾.[2]

قـــال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية -رحمه الله- : « فكل من بلغته دعوة رسول الله -ﷺ- إلى دين الله الذي بعثه به فلم يستجب له ، فإنه يجب قتاله».[3]

وبهـــذا يتضـــح أن وسيلة تبليغ الدعوة بالقول وبالعمل عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، من أبرز وسائل الدعوة إلى الله في سورة الحج.

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٢٩).

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٣٩).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/(٢٨/٣٤٩).

المبحث الثاني: أساليب الدعوة إلى الله في سورة الحج.

توطئة:

يحتاج الداعي إلى الله في عرض دعوته إلى أساليب مختلفة ومتنوعة تناسب شتى المدعوين ، وتشمل العديد من الموضوعات الدعوية ، فالأسلوب عبارة عن القالب الذي يُقدم فيه موضوع الدعوة ، وحسن اختياره وعرضه يُسهم إلى حدٍ كبير في التأثير على المدعو وتقبله ما يدعى له.

وفي القرآن الكريم عرضٌ لكثير من الأساليب الدعوية المؤثرة ، فلا يكاد يخلو نص قرآني من بعضها ، وفي سورة الحج اشتملت الآيات الكريمات على أساليب عدة ، وقد نجد الأسلوبين أو الثلاثة في آية واحدة .

ومن هذه الأساليب أسلوب نداء المدعو ومخاطبته بموضوع الدعوة ، ويتميز هذا الأسلوب بلفت انتباه المدعو لما يقوله الداعي إلى الله .

وكذلك أسلوب الاستفهام ، الذي يخرج عن غرضه الأصلي بطلب المعرفة إلى أغراض أخرى ، تلفت نظر المدعو إلى قضايا مهمة ، وتدعوه إلى تأملها.

وأسلوبا الترغيب والترهيب ، واللذان يدوران حول محوري الخوف والطمع في نفس المدعو.

وأيضاً أسلوب ضرب المثل ، وبه يُقَرِّب الداعي إلى الله القضية المطروحة إلى ذهن المدعو عن طريق التمثيل والتشبيه.

المطلب الأول : أسلوب النداء.

أولاً: تعريف النداء:

أ- تعريف النداء في اللغة:

النِّداء والنُّداء: الصوت مثل الدُّعاء والرُّغاء ، وقد ناداه ، ونادى به ، وناداه منادة ونداء ، أي : صاح به.

والندآء ممدود: الدعاء بصوت مرتفع.(١)

ب- تعريف النداء في الاصطلاح:

هو طلب الإقبال من المخاطب بحرف من حروف النداء المعروفة.(٢)

ثانياً : أهمية أسلوب النداء:

١- أن في النداء إقامة علاقة مع الطرف الآخر ، إما للحوار أو لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام.

٢- أن في النداء حثاً على الاهتمام بموضوع الكلام والدعوة للتبصر به ، مما يعطي المضمون قيماً رمى إليها المنادي.

٣- أن في النداء توجيه الأنظار للمنادى ، وتركيز الاهتمام حوله.

٤- أن فيه ضرباً من الإيجاز ، واختصاراً للكثير من الكلام.

٥- أن النداء يشتمل على كثير من التلوين الكلامي ، والالتفاف البليغ مما يُرَغِّب في الاستمالة ، ويبعث الاطمئنان في نفس السامع ، ويقوي الحاجة إلى التفكير وتخيل المعنى .(٣)

---

(١) انظر : لسان العرب /(٣١٥/١٥).

(٢) من بلاغة القرآن (المعاني ، البيان ، البديع)/(ص٦٩) ، تأليف: د. محمد بن شعبان علوان ، د. نعمان ابن شعبان علوان .

(٣) انظر : النداء في اللغة والقرآن /(ص ١٦٠) ، للدكتور: أحمد بن محمد فارس.

ثالثاً : موضوعات آيات أسلوب النداء في سورة الحج:

ورد أسلوب النداء في سورة الحج في خمس آيات ، جاءت كلها مبدوءة بحرف النداء " يا "، وموضوعاتها كالتالي:

أولاً: الأمر بتقوى الله – سبحانه وتعالى-:

صُدرت سورة الحج بنداء من أشرف النداءات وأهمها وأعظمها ؛ لأنه نداء إلهي كريم من رب العالمين إلى الناس أجمعين .

ونداء بهذه الأهمية يسترعي الانتباه لمعرفة مضمونه ، يقول الله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝ ﴾.[1]

ففي هذه الآية الكريمة نداء من الله – سبحانه وتعالى- للناس بلزوم التقوى التي هي سبب كل فلاح و نجاة في الدنيا والآخرة ، فتقوى الله – سبحانه وتعالى- تحفظ العبد في شأنه كله ، وتبقيه على الخير والصلاح ، وتكفل له الخلاص من كل ضائقة ، والفرج من كل كربة ، قال -تعالى- : ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ ﴾.[2]

وهذا الفرج ليس مقصوراً على كربات الدنيا ، فهو زاد وفرج لكربات أشد وأعظم وهي كربات يوم القيامة ، لهذا قال -سبحانه -:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾.[3]

فالتقوى خير زاد لذلك اليوم ، الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، ويموج الناس فيه كالسكارى لشدة أهواله ، ومن أجل هذا جاء النداء الإلهي بلزوم التقوى استعداداً له .

---

(١) سورة الحج ، الآيتان (١ ، ٢).

(٢) سورة الطلاق ، الآية (٢).

(٣) سورة الحج ، الآية (١).

فأي نداء ألطف وأرحم من هذا النداء الذي ينادي به الله الناس ويدلهم فيه على سبب نجاتهم وخلاصهم ، إنه نداء من رب رحيم لعباده ؛ لهذا وجب الإصغاء إليه والأخذ به.

ثانياً : الأمر بعبادة الله –سبحانه وتعالى–:

من النداءات الإلهية الكريمة في سورة الحج نداء خاص للمؤمنين ، وهذا النداء جاء شاملاً لخيري الدنيا والآخرة ، يقول الله –تعالى-:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾.[1]

فالمولى – جل شأنه- يخص عباده المؤمنين بنداء إلهي عظيم يدعو إلى الأخذ بأسباب الفلاح في الدنيا والآخرة ، وذلك بعبادة الله – سبحانه وتعالى- ، وفعل الخير عامة ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والجهاد في سبيل الله والاعتصام بالله وحده دون غيره.

والمؤمن بالله ، يرجو الله ، ويسعى لرضاه ، والإصغاء لهذا النداء والعمل به مما يقتضيه إيمانه بمولاه.

ثالثاً : إثبات عجز ما يعبد من دون الله عن الخلق:

تأبى العقول الجاهلة إلا أن تثبت جهلها وضعف عقلها بعبادة ما سوى الله ، في حين أنها ترى عجزها وعدم نفعها وضرها.

والنداء الإلهي من رب العباد يؤكد هذا الأمر في مواضع شتى من القرآن الكريم ، وبأساليب عدة ، وفي سورة الحج جاء التأكيد على عجز هذه الآلهة الباطلة عن الخلق وذلك بنداء الناس أجمعين للاستماع والإصغاء لمثل يضربه الله – سبحانه وتعالى - يبين

---

(١) سورة الحج ، الآيتان (٧٧ ، ٧٨).

هذا المعنى ، قال -تعالى- : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾.[1]

فأسلوب النداء في هذه الآية جاء متضمناً لأسلوب ضرب المثل للتأكيد على قضية مهمـة ينبغي الانتباه لها ، فإن من أعظم الذنوب وأقبحها مساواة الخالق – جل شأنه- بشريك عاجز لا يملك نفعاً ولا ضراً !!

إن اسـتحقاق الله –سبحانه وتعالى- وحده للعبادة ، واستحالة وجود شريك لـه مـن القضايا المسلَّم بها عند أصحاب العقول السليمة ، ولكن الله – سبحانه وتعالى- بكمال لطفه ورحمته ينادي عباده بنداء إلهي يضرب فيه المثل ويخاطب العقل لتقرير هذه الحقـيقة ؛ لطفاً بعباده لئلا يزيغوا ويهلكوا بسبب اعتقادات منحرفة ، لا تقوم على أي أساس عقلي أو شرعي .

رابعاً : إثبات عقيدة البعث والنشور :

أسـلوب القرآن الكريم في مخاطبة الناس لإقامة حججه وبراهينه لا يختص بفئة من الناس ذات صفات معينة ، ذلك لأنه يخاطب البشرية في عموم أفرادها ، وكل فرد منهم يسـتطيع أن يأخذ من ذلك الخطاب الموجه بقدر ما أوتي من ذكاء وفطنة ، ومن ذلك قوله -تعالى- : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ

---

(١) سورة الحج ، الآية (٧٣).

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝ ﴾.[1]

فهذه الآيات الكريمات ، تمثل الأسلوب القرآني الواضح ، فهي تقوم على مقدمات صادقة ، ترتبت عليها نتائج قطعية ، مع ما تمتاز به من السهولة والوضوح في إدراك ما تضمنته من غير كدٍّ ذهني أو إجهاد فكري ؛ وذلك لبعدها عن أقيسة المناطقة وتعقيدات الفلاسفة.

يقول -تعالى- موجهاً نداءه للذين يتشككون في أمر البعث فيستبعدون وقوعه بعد أن تفرقت الأجسام وتلاشت فذهبت في الأرض وصارت تراباً ، يقول لهؤلاء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ...﴾ أي : في شك من قدرتنا على إعادة هذه الأجسام المختلطة بالتراب ، استبعاداً لإمكان ذلك وشكاً في وقوعه ، فانظروا في بدء خلقكم الأول ، فإنا خلقناكم من تراب ، وذلك في ضمن خلق أبيكم آدم — عليه السلام- ، ثم جعلنا خلقكم من بعده من نطفة ماء ، ثم تحولت هذه النطفة إلى علقة أي: دم جامد ، ثم تحولت إلى مضغة لحم ، مخلَّقة ، أي متبينة الخلق مصورة ، وغير مخلَّقة لم يبن خلقها وصورها ، تلك أطوار النطفة التي تمر بها في رحلتها إلى أن تصبح جنيناً يتحرك في ذلك القرار المكين ، ﴿...لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ...﴾ قدرتنا على الخلق والإعادة ، ﴿...وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ...﴾ من تلك النطفة بعد تمام الخلق ﴿... مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ ، وهو وقت الوضع ﴿... ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ...﴾ أي : أطفالاً تتنسمون الحياة ، مزودين بكل ما يلزمكم لمواجهة الحياة الجديدة ، ﴿...ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ...﴾ فتصبحوا أقوياء ، ﴿...وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ...﴾ فمنكم من يتوفى في أجله المعلوم ، ومنكم من يُعَمَّر حتى يبلغ من العمر أرذله تماماً مثل يوم خَلْقِه وبروز وجوده لهذه الحياة لا يعلم شيئاً.

فالآيات الكريمات تخاطب المُنْكِرَ للبعث ، قائلة لـه : إن من كانت هذه قدرته في

---

(١) سورة الحج ، الآيات (٥-٧).

خلقـــك ، وإنشائك في حياتك الأولى ، وفي أطوارها المتعددة التي مررت بها أيعجزها إحياؤك بعد موتك ، وإعادتك بعد فنائك؟

كيف يكون ذلك وهو القادر على كل شيء وهو الخلاّق العليم؟[1]

فـــلا بد من النظر والتدبر في كيفية خلق الإنسان ، لأن فيه من دلائل القدرة الإلهية العظيمة ما يبهر العقول ، ويملأ القلوب إيماناً وخشوعاً وتبتلاً ، ويجعلها تقترب من ذلك الـــنور الإلهي ، فترى الذي أنشأ وأبدع وخلق الإنسان من هذا الماء الدافق ، يتطور في نشـــأته وخِلقته طوراً بعد طور ، وخلقاً من بعد خلق حتى يستخرجه طفلاً ، ثم ليبلغ أشده ، ثم يعود أدراجه إلى الشيخوخة ، وإلى الوهن والضعف ، ثم إلى حفرة ضيقة لا أنيس فيها ولا صديق ، ثم إلى بعث ونشور، فتمتلئ نفسه بهذه الصور المتلاحقة الباهرة، ويرى البعث والنشور رأي العين ، فيذهب من نفسه كل ريب في البعث والنشور عند رؤيته لبداية الخلق ، فإن الذي أخرجه من ماء دافق هو –سبحانه– على رجعه لقادر.[2]

خامساً : الأمر بالدعوة إلى الله:

قال –تعالى– : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.[3]

في هـــذه الآيـــة الكـــريمة يأمر المولى – سبحانه وتعالى– نبيه الكريم –ﷺ– باتباع أســـلوب النداء في الدعوة إلى الله ، وذلك بنداء الناس وإخبارهم أنه رسول الله إليهم ، ينذرهم من عقابه ، ويبشر المحسنين منهم بثوابه.

وقد كان – عليه الصلاة والسلام– يتبع هذا الأسلوب في مواطن كثيرة ، ومن ذلك ما رواه ابن عباس –رضي الله عنهما– أن النبي –ﷺ– خرج إلى البطحاء[4] فصعد إلى الجبل، فنادى : (**يا صباحاه**) ، فاجتمعت إليه قريش ، فقال : (**أرأيتم إن حدثتكم أن**

---

(١) انظر: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان /(٣٢٧-٣٢٩) ، للدكتور: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

(٢) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن /(ص ١١٥) ، للدكتور: محمد بن علي البار.

(٣) سورة الحج ، الآية (٤٩).

(٤) البطحاء: مسيل فيه دقيق الحصى ، وهي بطاح مكة. انظر: معجم البلدان/(١/٤٤٤).

العــدو مصبحكم أو ممسيكم ، أكنتم تصدقوني؟) ، قالوا: « نعم » ، قال : (**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**). فقال أبو لهب : « ألهذا جمعتنا؟ تباً لك» ، فأنزل الله -عز وجل- :﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ [1] إلى آخرها.[2]

هذه أبرز موضوعات آيات أسلوب النداء في سورة الحج .

---

(١) سورة المسد ، الآية (١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير ، باب سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ ، ح (٤٩٧٢) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ ، [الشعراء: ٢١٤] ، ح(٣٥٥) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص٤٣١ ، ٧١٦).

المطلب الثاني: أسلوب الاستفهام.

أولاً : تعريف الاستفهام :

أ- تعريف الاستفهام في اللغة:

الفهم : معرفتك الشيء بالقلب. وفهمت الشيء : عقلته وعرفته.

واستفهمه : سأله أن يفهمه.

وقد استفهمني الشيء فأفهمته ، وفهَّمته تفهيماً.[1]

ويقال : استفهم من فلان عن الأمر : أي طلب أن يكشف عنه.[2]

ب- تعريف الاستفهام في الاصطلاح:

« طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل »[3]

ثانياً : أهمية أسلوب الاستفهام :

١- يعد أسلوب الاستفهام من الأساليب الدعوية المهمة ؛ لخروجه عن الغرض الأصلي بطلب الفهم والعلم إلى أغراض أخرى متعددة ، تناسب أصنافاً شتى من المدعوين ، وتعالج موضوعات مختلفة ومتنوعة.

٢- يوجه أسلوب الاستفهام انتباه المخاطب للقضية المستفهَم عنها ، ويحثه على تصورها ، وتقريبها إلى ذهنه.

٣- أن أسلوب الاستفهام يثير في النفس تطلعاً لمعرفة الجواب ، وهذا أدعى إلى ثبات المعنى في ذهن المخاطب.

٤- أن أسلوب الاستفهام يوقظ العقل وينبه القلب ؛ لتدبر المعنى المراد من الاستفهام ، ويترك لهما مجالاً واسعاً غير محدود لتخيل المستفهَم عنه.

---

(١) انظر: لسان العرب/(٤٥٩/١٢).

(٢) انظر: المعجم الوسيط/(ص٧٠٤).

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها /(١٨١/١) ، د. أحمد مطلوب.

ثالثاً : من أغراض أسلوب الاستفهام في سورة الحج :

الغرض الأصلي للاستفهام هو طلب معرفة أمرٍ لم يكن معلوماً عند الطلب ، إلا أن الاستفهام يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى ، وردت بعضها في سورة الحج ، وهي كما يلي:

١- الإنكار ، حين يُراد إنكار المستفهَم عنه .

قال الله –سبحانه وتعالى-: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾.[1]

٢- التقرير ، حين يُطلب من المخاطب الإقرار بما بعد أداة الاستفهام ، أو إثباته.

قـال –تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾.[2]

٣- الـتهكم والسخرية ، وهو إظهار السخرية وعدم المبالاة بالمسئول عنه ، وهو قريب من الإهانة والتحقير.

قال –تعالى- : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾.[3]

٤- الوعيد والتهديد ، عندما يريد السائل تهديد المخاطب ، وتوعده بالاستفهام.

قال –تعالى- : ﴿ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾.[4] [5]

---

(١) سورة الحج ، الآية (٤٦).

(٢) سورة الحج ، الآية (١٨).

(٣) سورة الحج ، الآية (١٥).

(٤) سورة الحج ، الآية (٤٤).

(٥) انظر : أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم /(ص ١٧ ، ١٨) ، تأليف : عبدالكريم بن محمود يوسف ، من بلاغة القرآن (المعاني ، البيان ، البديع)/(ص٥٥) ، ومابعدها.

رابعاً : موضوعات آيات أسلوب الاستفهام في سورة الحج :

ورد أسلوب الاستفهام في سورة الحج في ثمانية مواضع، جاءت موضوعاتها كالتالي:

أولاً : تقرير ربوبية الله –سبحانه وتعالى– وألوهيته :

الإيمان بوجود الله فطرة في النفس البشرية ، فمن البدهيات العقلية أن المصنوع لا بد لـه من صانع ، والموجود لا بد له من مُوجد ، وهذا الصانع لا بد أن يكون إلهاً عظيماً فريداً ، يفزع إليه الإنسان فطرياً في الملمات والكُرُبات ؛ لاعتقاده أنه وحده القادر على كشف كربته، لكن قد تنحرف هذه الفطرة لأمور عديدة ، وظروف مختلفة فاقتضت رحمة الله– سبحانه تعالى– وكمال عدله أن يرسل الرسل –عليهم الصلاة والسلام– هداة معلمين ، يخاطبون الناس ويدعوهم إلى الهدى ، وقد أنزل المولى – جل شأنه– القرآن الكريم على نبيه – عليه الصلاة والسلام– هدى ورحمة للعالمين ، فجاءت آياته تخاطب القلوب والعقول ، وتدعو إلى الإيمان بالله رباً وإلهاً ، وفي سورة الحج جاء تقرير هذه القضية بأسلوب الاستفهام عبر طريقين:

أ– تأكيد خضوع جميع المخلوقات لرب العالمين:

قال –تعالى– :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾.[1]

ففي هذه الآية يؤكد المولى – جل شأنه– بأسلوب الاستفهام تفرده بالربوبية والألوهية ، فهو رب المخلوقات كلها ، وإلهها الذي تسجد لـه طوعاً وكرهاً ، خاضعة مسخرة لرب العالمين.

وسجود كل شيء مما يختص به ، من الملائكة في أقطار السماوات ، والحيوانات في جميع الجهات ، ومن الإنس والجن ، والدواب والطير.[2]

---

(١) سورة الحج ، الآية (١٨).

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم /(٣/٢٠٠).

وبأسلوب الاستفهام يتدبر القلب هذا المعنى ، فإذا حَشْدٌ من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك ، وإذا حشد من الأفلاك والأجرام مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم ، وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان ، إذ بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله ، وتتجه إليه وحده دون سواه ، تتجه إليه في وحدة واتساق ، إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذي يكون من بينه من يأبى السجود ، فيبدو الإنسان عجيباً في ذلك الموكب المتناسق.(١)

فكثير من الناس يسجد لله طوعاً وعبادة ، وكثير منهم يأبى السجود ويرتضي الكفر فيحق عليه العذاب.

فإنه من يهنه الله يشقيه ، ولا مكرم لـه بالسعادة ، لأن الأمور كلها بيد الله يوفق من يشاء لطاعته ، ويخذل من يشاء ، ويشقي من أراد ، ويسعد من أحب ، فالله يفعل ما يشاء ؛ لأن الخلق خلقه والأمر أمره.(٢)

ب- لفت الأنظار إلى آيات الله الكونية :

إن آيات الله في هذا الكون الفسيح تقف شاهدة على تفرده – سبحانه وتعالى- بالربوبية والألوهية ، فهذا الكون العجيب يضم بين جنباته العديد من الأسرار والغرائب والمعجزات التي تدل على صانع حكيم مبدع ، أتقن صنع كل شيء ، ولا زال العلم الحديث يحبو في سبيل الكشف عن بعض هذه الأسرار.

فمن آيات الله الكونية في سورة الحج ، والتي يلفت الخالق نظرنا إليها بأسلوب الاستفهام البديع ، ما يلي:

١- اخضرار الأرض بنزول المطر:

قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) انظر : في ظلال القرآن /(٤/ ٢٤١٤).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن /(١٦/٤٨٨، ٤٨٩).

لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.[(١)]

في هذه الآية يلفت الخالق – سبحانه وتعالى- نظر عباده إلى حقيقة كونية مهمة ، وبالاستفهام نرى الحياة تدب وتظهر على هذه البسيطة بنـــزول المطر وخروج النبات منها .

ولنتأمل الحكمة البالغة في نزول المطـــر على الأرض من عـــلو ليعم بسقيه وِهَادها وتلالهـــا ، ومنخفضـــها ومرتفعها ، ولو كان رب هذه الأرض يسقيها من ناحية من نواحـــيها لما أتى الماء من ناحية المرتفعة منها إلا إذا اجتمع في السفلي وكثر ، وفي ذلك فساد ؛ فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها ، فينشئ السحاب وهي روايا الأرض ، ثم يرسل الرياح فتحمل الماء من البحر وتلقحها به ، ثم ينـــزل منه الماء على الأرض ، ولو أنـــه ساقه من البحر إلى الأرض جارياً على ظهرها لم يحصل عموم السقي إلا بتخريب كثير من الأرض ، فصاعده –سبحانه– إلى الجو بلطفه وقدرته ، ثم أنزله على الأرض ، بغاية من اللطف والحكمة.[(٢)]

ولهـــذا تخضـــر الأرض بعد نزول المطر، وتزهو بمختلف الثمار والحبوب والفواكه والـــزروع والأشجار رحمة من اللطيف الخبير لعباده ، فإذا المناظر البهيجة ، والأرزاق المخـــتلفة ، والمصـــالح المتعددة تقف شاهدة على إبداع الصانع – جل شأنه–، وتفرده بالخلق والتدبير ، واستحقاقه للعبادة وحده دون سواه.

٢- تسخير ما في الأرض للحياة البشرية:

تحوي الأرض من العجائب والآيات ما يدل على قدرة الله وإتقانه في خلقها ، فقد سخرها –سبحانه– للإنسان بجميع ما فيها ، ومن ذلك أن جعلها فراشاً وقراراً لتكون مقـــر الحـــيوان ومســـاكنه ، وجعلها مهاداً ، ذلولاً توطأ بالأقدام ، وتضرب بالمعاول

---

(١) سورة الحج ، الآية (٦٣).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة /(١/٢٢٣ ، ٢٢٤) ، للإمام أبي عبدالله محمد ابن أبي بكر الشهير بابن قيِّم الجوزية.

والفؤوس ، وتحمل على ظهرها الأبنية الثقال ، فهي ذلول مسخرة لما يريد العبد منها ، وجعلها بساطاً ، وجعلها جامعة للأحياء تضمهم على ظهرها ، وللأموات تضمهم في بطنها، وطحاها ، فمدها وبسطها ، ووسَّعها ودحاها ، فهيأها لما يُراد منها ؛ بأن أخرج منها ماءها ومرعاها ، وشق منها الأنهار ، وجعل فيها السبل الفجاج.[1]

قال -تعالى- : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.[2]

وأسلوب الاستفهام هنا يلفت نظر الإنسان إلى هذه الأرض كم من قوة وكم من ثروة سخرها الله لــه ، وهو غافل عن نعمة الله التي يتقلب بها في الليل والنهار!

لقــد سخر الله ما في الأرض لهذا الإنسان فجعل نواميسها موافقة لفطرته وطاقاته ، ولــو اختلفت فطرة الإنسان وتركيبته عن نواميس هذه الأرض لما استطاع الحياة عليها فضــلاً عن الانتفاع بها وبما فيها ، ولو اختلف تركيبه الجسدي عن الدرجة التي يحتمل فيها جو هذه الأرض واستنشاق هوائها والتغذي بطعامها والارتواء بمائها لما عاش لحظة، ولوا اختلفت كثافة بدنه أو كثافة الأرض عما هي عليه ما استقرت قدماه على الأرض، ولطار في الهواء أو غاص في الثرى ، ولو خلا وجه هذه الأرض من الهواء أو كان أكثف مما هو عليه أو أخف لاختنق الإنسان ، أو عجز عن استنشاق الهواء مادة الحياة.

ولقد سخر الله له ما في الأرض بما وهبه من إدراكات صالحة لاستغلال ثروات هذه الأرض ، وما أودعه الله إياها من ثروات وطاقات كامنة وظاهرة يكتشف منها الإنسان الكنوز الواحدة تلو الأخرى إلى يومنا هذا.[3]

فكل ما فيها من الآيات يــدل على وحدانية الله -سبحانه وتعالى- ، فإن التدبيــر

---

(١) انظر : التبيان في أقسام القرآن/(ص٣٧٢ ، ٣٧٣) ، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيِّم الجوزية ، تقديم وتحقيق وتعليق : محمد شريف سُكر.

(٢) سورة الحج ، الآية (٦٥).

(٣) انظر : في ظلال القرآن /(٤/٢٤٤٠ ، ٢٤٤١).

الدقـــيق في جميع شئونها يدل على حكمة إلهية متفردة ، ولهذا أكثر -تعالى- من ذكر الأرض في كتابه ودعا عباده إلى التأمل في خلقها وشأنها ، فذلك يقود إلى تقرير ربوبية الله -تعالى- وألوهيته.

٣- جريان الفلك في البحر:

قال -تعالى- : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.[(١)]

مـــن آيـــات الله في الآفاق عجائب السفن وسيرها في البحر تشقه وتمخره بلا قائد يقودها ولا سائق يسوقها ، وإنما قائدها وسائقها الرياح التي يسخرها الله لإجرائها فإذا حبس عنها القائد السائق ظلت راكدة على وجه الماء.[(٢)]

ولو أن الرياح كانت عاصفة لم يحصل مقصودها بالوصول إلى البر ، ولربما هلكت وتحطمـــت ، ولكنه الرؤوف الرحيم يسيِّرها بريح طيبة رحمة منه بعباده وفضلاً ، وفي عصرنا الحديث وقد أبدع الإنسان في تسخير الفلك لحاجته تظهر قدرة الله — سبحانه وتعالى-، فهو الذي خلق النواميس التي تسمح بجريان الفلك في البحر ، وعلَّم الإنسان كـــيف يهـــتدي إلى هـــذه النواميس فيسخرها لمصلحته وينتفع بها هذا الانتفاع ، ولو اختلفـــت طبيعة البحر أو طبيعة الفلك ، أو لو اختلفت مدارك هذا الإنسان ، ما كان شيء من هذا الذي كان![(٣)]

٤- إمساك السماء أن تقع على الأرض:

قال -تعالى- : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.[(٤)]

---

(١) سورة الحج ، الآية (٦٥).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة /(١/٢٠٥).

(٣) انظر : في ظلال القرآن (٤/٢٤٤١).

(٤) سورة الحج ، الآية (٦٥).

يُراد بالسماء : ما قابل الأرض ، ويشمل ذلك العوالم العلوية كلها التي لا نحيط بها علماً ، كالكواكب السيَّارة ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله ، ومما يكشفه للناس في متعاقب الأزمان ، وبتدبير الله ، وعلمه ، وقدرته ، جعل للسماء نظاماً يمنعها من السقوط على الأرض.[1]

والإنسان في الماضي كان يشاهد عالماً كبيراً قائماً بذاته في الفضاء ، مكوناً من الشمس والقمر والنجوم ، ولم ير لها أية سواري أو أعمدة ، وفي الوقت الحاضر يعلم أن الأجرام السماوية قائمة دون عمد في الفضاء ، بيد أن هناك عمداً غير مرئية تتمثل في قانون الجاذبية ، وهي التي تساعد كل هذه الأجرام على البقاء في أمكنتها المحددة.[2]

فكل هذه الأجرام والكواكب والشموس والأقمار والمجموعات الشمسية والمجرات الفلكية متماسكة بقدرة الله -تعالى-، لا تتحرك ولا تقع إلا بإذن الله فأمرها إليه عائد وشأنها إليه راجع .

وقانون الجذب من عظائم نعمة الله -تعالى-، به استقرت وحدات الوجود ، وبه تم كمالها ، فهو رباط قويم لا يُشاهد ، ومَمْسَك متين لا يُرى ، فالجذب قوة غير منظورة تشد إليها كل شيء ، فهي رباط عالمي فطري ، تربط العوالم بعضها ببعض ، فتتماسك وحداتها ، وأجزاؤها بمقادير متناسقة ، وموازين متوافقة بين طرفي السلب والإيجاب ، فتحافظ على مواقعها الخاصة في مداراتها الفلكية المحدودة ، حسب تقادير الله العليم الخبير، فلا يكون بينها اضطراب ولا اختلال ولا تصادم ولا انفلات إلى مدار سواها.[3]

فسبحان الله الذي له في كل شيء آية ، تدل على أنه واحد متفرد بالربوبية والألوهية.

---

(١) انظر : التحرير والتنوير /(٣٢٣/١٦).

(٢) انظر : الإسلام يتحدى/(ص ٢١٢،٢١٣) ، تأليف: وحيد الدين خان ، تعريب: ظفر الإسلام خان ، مراجعة وتحقيق : د. عبدالصبور شاهين.

(٣) انظر: معالم القرآن في عوالم الأكوان /(ص ١٤٩) ، تأليف: أحمد محي الدين العجوز.

ثانياً: تقرير سعة علم الله – سبحانه وتعالى–:

إن تصور العبد لسعة علم الله – جل شأنه– من الركائز المهمة التي يقوم عليها إيمانه ويقينه ، فالمؤمن عندما يدرك أن الله –سبحانه وتعالى– يعلم أقواله وأفعاله ، وسيجازيه عليها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، يدفعه ذلك إلى أن يحاسب نفسه ويراقب قوله وعمله ، خوفاً من الله –جل شأنه– حيث يقول : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.[1]

يقول الإمام أبو جعفر الطبري[2]– رحمه الله– : « يقول–تعالى– ذكره : ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السموات السبع ، والأرضين السبع ، ولا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا ، فمجاز المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ».[3]

فبأسلوب الاستفهام الذي يوقظ العقل ، ويثير في النفس تطلعاً لمعرفة الجواب ، يؤكد – سبحانه– على قضية مهمة ينبغي التنبه لها وتمثلها في الأمور كلها .

فالله –سبحانه– لا تخفى عليه خافية من ظواهر الأمور وبواطنها ، خفيها وجليها ، متقدمها ومتأخرها ، وهذا العلم المحيط بما في السماوات والأرض قد أثبته الله في كتاب وهو اللوح المحفوظ ، فعن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– قال : « سمعت رسول الله –ﷺ– يقول : (**إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له: اكتب ، قال: رب ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**).[4]

---

(١) سورة الحج ، الآية (٧٠).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص١٠٩) من هذه الرسالة.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن/(٦٢٩/١٦).

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في كتاب السنة ، باب في القدر ، ح(٤٧٠٠) ، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب القدر عن رسول الله –ﷺ– ، ح(٢١٥٥) ، وفي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله –ﷺ– ، باب ومن سورة ﴿ن﴾ ، ح(٣٣١٩) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح غريب» ، وصححه المحدّث العلاّمة: محمد ناصر الدين الألباني ، انظر : سنن أبي داود/(ص٧٠٥) ، سنن الترمذي/(ص ٤٨٧ ، ٧٥٢).

وإن كان تصور ذلك لا يحاط به عند البشر فإن الله –سبحانه وتعالى- يسير عليه أن يحيط علماً بجميع الأشياء ، وأن يكتب ذلك في كتاب مطابق للواقع.[1]

والعقـــل البشري يصيبه الكلل من مجرد التأمل لبعض ما في السماء والأرض ، ومن تصور إحاطة الله بكل هذا الحشد من الأشياء والأشخاص والأعمال والنيات والخواطر والحركات في عالم المنظور وعالم الضمير ، ولكن هذا كله بالقياس إلى قدرة الله وعلمه شيء يسير.[2]

وقضية بهذه الأهمية حريٌ بالمؤمن أن يجعلها نصب عينيه ، فإن ذلك يحجزه عن سيئ القول والفعل ، ويحثه على العمل الصالح ، ومراقبة الله في أموره الظاهرة والباطنة.

ثالثاً : تأكيد نصر الله –سبحانه- لرسوله الكريم –ﷺ-:

عندما يشك المرء في حقائق واقعة لا محالة يحتاج إلى أسلوب قوي لزجره وتقريعه ، وربما للتهكم فيما ذهب إليه من تصور باطل لا سند له.

ومن ذلك التشكيك بنصر الله لنبيه – عليه الصلاة السلام- الذي هو حاصل في كل حال ، فإن الله – جل شأنه- أكد نصره لرسوله الكريم – ﷺ- بأسلوب بديع ، حيث يقول : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾.[3]

فبين –سبحانه- أنه ناصر لرسوله –ﷺ- في الدنيا بإعلاء كلمته وإظهار دينه ، وفي الآخرة بإعلاء درجته ، وإدخال من صدَّقه جنات تجري من تحتها الأنهار ، والانتقام ممن كذبـــه ، وإذاقته عذاب الحريق ، لا يصرفه – سبحانه- عن ذلك صارف ، ولا يعطفه عـــنه عاطف ، فمن كان يغيظه ذلك من أعاديه وحساده ويظن أن لن يفعله –تعالى- فليبالغ في استفراغ المجهود ، وليتجاوز في الجد كل حدٍّ معهود ، فإن قصارى أمره خيبة

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان/(ص ٥٤٥).

(٢) انظر : في ظلال القرآن /(٤/٢٤٤٣).

(٣) سورة الحج ، الآية (١٥).

مساعيه ، وبقاء ما يغيظه.[1]

فأسلوب الاستفهام في قوله -تعالى-: ﴿...هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ...﴾ للتهكم بذلك المشــكك ، والمعنى : من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً -ﷺ- في الدنيا والآخرة ، فليمدد بحبل إلى سماء بيته ثم ليختنق به ، ثم لينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من الغيظ؟[2]

قال الإمام البغوي[2]- رحمه الله- : « وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعله لأنه لا يمكــنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت ، ولكنه كما يقال للحاسد إن لم ترض هذا فاختنق ومت غيظاً ».[3]

فحســـد هذا العدو لا فائدة فيه، ولن يجني من ورائه شيئاً ، فالعاقبة للمتقين ، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

رابعاً : بيان عاقبة المكذبين للدعوة :

جـــرت سنة الله في خلقه أن يجازي المحسنين على إحسانهم ، ويعاقب المسيئين على إساءهم ، وأعظم الإساءة أن يسئ العبد لخالقه ، فيكفر به ، ويعبد من دونه إلهاً آخراً ؛ ولهذا كانت عاقبة المكذبين للدعوة أشر العواقب.

وقد بيَّن المولى -سبحانه- في سورة الحج عاقبة المكذبين للدعوة في الدنيا والآخرة بأسلوب الاستفهام ، وذلك كما يلي:

---

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني /(١٧/١٦٦).

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم /(٣/١٩٩).

(٢) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفرّاء البَغَوي الشافعي ، (٤٣٦-٥١٦هـ) ، أبو محمد ، المفسر ، صاحب التصـــانيف ، نسبته إلى « بَغَا » من قرى خراسان ، يلقب بمحي السُّنة ، كان سيداً إماماً ، عالماً علاّمة ، زاهـــداً ، وكـــان أبوه يعمل الفِرَاء ويبيعها ، بورك لـــه في تصانيفه ، ومنها : «شرح السُّنة » ، و«معالم التنـــزيل». انظر : سير أعلام النبلاء /(١٩/٤٣٩-٤٤٣) ، الأعلام /(٢/٢٥٩).

(٣) معالم التنـــزيل /(٣/٢٧٨).

أ- عاقبة المكذبين للدعوة في الدنيا :

قال -تعالى-: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝ ﴾.[(١)]

في هذه الآيات تسلية للنبي -ﷺ- عما يناله من أذى المشركين بالله ، وحثٌّ له على الصبر على ما يلحقه منهم من السَّب والتكذيب ، فإن كان هؤلاء المشركون قد كذبوه ، مع ما آتاهم من الحق والبرهان ، وما وعدهم من العذاب والهوان ، فتلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذبة لرسل الله – عليهم الصلاة والسلام-من قوم نوح وقوم عاد وثمود وقوم إبراهيم ولوط وقوم شعيب ، كما كذَّب فرعون وقومه من القبط موسى-عليه السلام-، فماذا كانت العاقبة؟

لقد أمهل الله لأهل الكفر ، فلم يعاجلهم بالنقمة والعذاب ، ثم أحل بهم العقاب بعد الإملاء ، فانظر كيف غيَّر الله ما كان بهم من نعمة ، وكيف عاقبهم بعد ما كان عليه من الإحسان إليهم؟ ألم يبدلهم بالكثرة قلة ، وبالحياة موتاً وهلاكاً ، وبالعمارة خراباً؟ وهكذا تكون عاقبة المكذبين ، فكأين من قرية أهلكها الله ، وأفنى أهلها ، وأهلك وارديها ، لما كذبوا وظلموا بعبادة غير من ينبغي أن يُعبد ، وعصوا من لا ينبغي لهم أن يعصوه.[(٢)]

وكما جاء أسلوب الاستفهام لتسلية النبي -ﷺ-لما يلقاه من قومه ببيان عاقبة المكذبين للدعوة ، فقد جاء -أيضاً- لحث أولئك المكذبين للسير في الأرض لرؤية عاقبة

(١) سورة الحج ، الآيات (٤٢ - ٤٦).

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن /(١٦/٥٨٨ - ٥٩٠).

من سبقهم من الأمم الخالية في الدنيا ، فقال-تعالى-: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝﴾[1]

فهذا حثٌ لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلَكين من قبلهم فيعتبروا، وهم وإن كـــانوا قد سافروا إلا أنهم لم يسافروا لذلك، ففي السير في الأرض قد تكون لهم قلوب تعقل ما يجب أن يُعقل من التوحيد ؛ بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال ، أو آذان يسمعون بها ما يجب أن يُسمع من الوحي ، والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم ، ولكنها لا تعمـــى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار ، فليس الخلل في مشاعرهم وإنما أَلِفتْ عقولهم اتباع الهوى والانهماك في التقليد.[2]

فقد أغرق الله قوم نوح ، وأهل الأرض كلهم - إلا من كان في الفُلك- حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال ، وسلّط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض ، كـــأنهم أعجاز نخل خاوية ، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم ، وحروثهم ، وزروعهـــم ، ودوابهـــم ، حتى صاروا عِبرة للأمم إلى يوم القيامة ، وأرسل على ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم ، وماتوا عن آخرهم ، ورفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ، ثم قلبها عليهم ، فجعل عاليها سافلها ، فأهلكهم جميعاً ، ثم أتـــبعهم حجارة من السماء ، أمطرها عليهم ، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه عـــلى أمة غيرهم ، وأرسل على قوم شعيب سحائب العذاب كالظلل ، فلما صار فوق رؤوســـهم أمطر عليهم ناراً تلظى ، وأغرق فرعون وقومه في البحر ، وخسف بقارون وداره ومالـــه وأهله ، وبعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأس شديد ، فجاسوا خلال

---

(١) سورة الحج ، الآيات (٤٦-٤٨).

(٢) انظر : أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل/(٢/٩١،٩٢).

الديار ، وقتلوا الرجال ، وسبوا الذراري والنساء ، وأحرقوا الديار ، ونهبوا الأموال ، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه ، وتبروا ما علوا تتبيراً .[1]

وهـــذا العذاب عاقبة من كذّب الدعوة إلى الله في الحياة الدنيا ، وإن فيه لعبرة لمن كان له قلب يتأمل سنة الله فيمن كذب رسله — عليهم الصلاة والسلام-.

ب- عاقبة المكذبين للدعوة في الآخرة :

يقول الله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾.[2]

عـــندما تتـــلى آيات الله الواضحات الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الصادقة ، تظهر علامات التجهم والبسور والشر على أولئك المكذبين ، ويكادون يبطشون ويثبون بمـــن يتلوها من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليداً ، وهل جهالة أعظم وأطم من أن يعبدوا ما ليس لهم في عبادته أصل ، بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ، ويظهروا لمن يهديهم إلى الحق البيِّن بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع؟

كـــلا ! ولهذا يأمر المولى — سبحانه وتعالى- نبيه -ﷺ- بأن يرد عليهم إقناطاً لهم عمـــا يقصدونه من الإضرار بالمسلمين ، فيخبرهم بشر من ذلك الغيظ الذي فيهم وهو النار وعدها الله الذين كفروا.[3]

وفي أســـلوب الاســـتفهام في الآية تقريع ووعيد للمكذبين للدعوة ، وكفى بالنار عاقـــبة سيئة لتكذيب الدعوة إلى الله في الحياة الآخرة ؛ ولهذا كانت بئس المصير الذي يؤول إليه حالهم.

ومما سبق تتبيّن أبرز موضوعات آيات أسلوب الاستفهام في سورة الحج.

---

(١) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي/(ص٨٠).

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٢).

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/(٥/١٢٠).

المطلب الثالث: أسلوبا الترغيب والترهيب.

أولاً : تعريف الترغيب والترهيب :

أ- تعريف الترغيب :

- الترغيب في اللغة :

رَغِبَ يرغبُ رغبةً : إذا حرص على الشيء ، وطمع فيه.

ورَغَّبَهَ : أعطاه ما رَغِبَ.(١)

والرَّغيبَةُ : الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير.

ورغب إليه رغباً : ابتهل، وهو الضراعة والمسألة.(٢)

- الترغيب في الاصطلاح:

« كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة ، وقبول الحق ، والثبات عليه ».(٣)

ب- تعريف الترهيب :

- الترهيب في اللغة :

رَهِبَ يرهب رَهْبَةً و رُهباً و رَهَباً : أي خاف.

وَتَرهَّب غيره : إذا تَوعَدَّه.

والرَّهْبة : الخوف والفزع.(٤)

- الترهيب في الاصطلاح:

« كـــل مـــا يخيف ويُحذِّر المدعو من عدم الاستجابة ، أو رفض الحق ، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله».(٥)

---

(١) انظر : لسان العرب /(٤٢٢/١).

(٢) انظر : القاموس المحيط /(ص ٩٠).

(٣) أصول الدعوة /(ص ٤٣٧).

(٤) انظر : لسان العرب/(٤٣٦/١).

(٥) أصول الدعوة /(ص ٤٣٧).

ثانياً: أهمية أسلوبي الترغيب والترهيب :

الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في دعوة الناس إلى الله -تعالى-، ذلك أن غرس الرجاء في النفوس ، والترغيب فيما عند الله- سبحانه- من الخير الذي لا منتهى لــه في الدنيا والآخرة أمر مطلوب ، حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعلــه أهـــلاً لنفحات الله -سبحانه- ورحمته وكرمه ، كما أن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب كذلك ؛ لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله -عز وجل-، والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته.

والإنسان إنما يسعى في هذه الحياة ويكدح من أجل إدراك النفع ، ولرفع الضر عن نفســه ، سواء كان في الدنيا أو الآخرة ، فإذا غُرس في النفوس الإيمان بأن الإنسان لا يدركــه نفع ولا ضر إلا بما يكتبه الله لــه ، اتجهت القلوب إلى الله ترجو ما عنده من الخير بطاعته ، كما ترجوه – سبحانه- أن يدفع عنها كل ضر في الدنيا والآخرة.[1]

وأســلوبا الترغيب والترهيب من أبرز أساليب المنهج العاطفي ، فهما يغوصان في الــنفس الإنســانية ، ويخاطبان فيها العاطفة والوجدان ، ويهيجان فيها غريزة الطمع والخــوف ، مما يُسهِّل انقياد القلب وخضوع الجوارح لموضوع الدعوة ، و يجعلهما من أبـرز الأســاليب الدعويــة المؤثرة ، وأكثرها استخداماً ، ونفوس المدعوين تختلف ، والإنســان لا يدفعــه إلى فعل الخير إلا شوق يحفزه إلى مرضاة الله وجنته ، أو خوف يحجزه عن اقتراف ما حرم الله خوفاً من عقابه -سبحانه وتعالى-، والداعية يستعمل من هذين الأسلوبين ما يراه مناسباً.

ولهذا كثر استخدام هذان الأسلوبان في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وتنوعت موضــوعاتهما ودرجاتهما ، وهذا يعطي الداعي إلى الله فرصة لاختيار الدرجة المناسبة والنوع الأنسب لكل حال وموقف ، ليشمل حاجات الدعوة .[2]

---

(١) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم/(٥٤٣/١) ، للدكتور: عبدالوهاب بن لطف الديلمي.

(٢) انظر : الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة/(ص ٧٣) ، للدكتورة : رقية بنت نصر الله بن محمد نياز.

ثالثاً : مميزات أسلوبي الترغيب والترهيب في القرآن الكريم:

يمتاز أسلوبا الترغيب والترهيب في القرآن الكريم بمميزات خاصة ؛ لكونهما جاءا من رب العالمين ، الخبير بنفوس البشر ، وأهم هذه المميزات :

١- اعـــتمادهما على الإقناع والبرهان ، فمثلاً أغلب الآيات التي فيها ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة فيها إشارة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، وإقناع وضرب للبراهين الدالة على ذلك.

٢- أن أســـلوبي الترغيب والترهيب في القرآن الكريم يصاحبهما تصور فني رائع لنعيم الجنة أو لعذاب جهنم ، بأسلوب واضح يفهمه جميع الناس.

٣- يعـــتمد الترغيب والترهيب في القرآن الكريم على إثارة الانفعالات ، وتربية العواطف كعاطفة الطمع بتوجيهها إلى الطمع بما عند الله من الخير ، وعاطفة الخوف بتوجيهها نحو الخوف من الله وحده.

٤- يقوم أسلوبا الترغيب والترهيب في القرآن الكريم على التوازن بين الانفعالات والعواطف الإنسانية ، فلا يطغى جانب على آخر.[(١)]

رابعاً : موضوعات آيات أسلوبي الترغيب والترهيب في سورة الحج :

أ- موضوعات آيات أسلوب الترغيب في سورة الحج:

ورد أســـلوب الترغيب في سورة الحج في عدة مواضع ، ما بين الترغيب في جنس الطاعات عموماً ، والترغيب في أنواع معينة منها ، وذلك كما يلي:

١- الترغيب في جنس الطاعات :

رَغَّـــبَ المـــولى – جلَّ شأنه- في آيات عديدة في الإيمان بالله – سبحانه وتعالى-، والعمـــل الصالح ، فهما عِدة المؤمن وعتاده يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وقد رتب على ذلك أجراً عظيماً ، تأتي الجنة بما فيها من النعيم الدائم في المقام الأول.

يقول الله -تعالى- :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن

---

(١) انظـــر : أصـــول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع/(ص ٢٨٧) وما بعدها ، تأليف الدكتور: عبدالرحمن النحلاوي.

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾.[1]

وقال —سبحانه-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.[2]

وقال-تعالى-: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾.[3]

كما وعد الله المؤمنين بالله بالدفاع عنهم ونصرهم ترغيباً لهم في الإيمان بالله ، فقال -سبحانه-: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.[4]

ووعدهم بالمغفرة والرزق الكريم ، قال —تعالى-:﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.[5]

كما رَغَّبَ — سبحانه وتعالى- عباده في عبادته ، وفعل الخير عامة ، وبيَّن أن ذلك سبب للفلاح في الدنيا والآخرة ، فقال-جلَّ شأنه-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾.[6]

وفي هذه الآية جمع الله —سبحانه – بين أسلوب النداء ، وأسلوب الأمر ، وأسلوب الترغيب في الدعوة إلى عبادة الله وفعل الخير، والتأكيد على أهمية ذلك.

---

(١) سورة الحج ، الآية (١٤).

(٢) سورة الحج ، الآية (٢٣).

(٣) سورة الحج ، الآية (٥٦).

(٤) سورة الحج ، الآيات (٣٨ – ٤٠).

(٥) سورة الحج ، الآية (٥٠).

(٦) سورة الحج ، الآية (٧٧).

٢- الترغيب في أنواع الطاعات:

من أنواع الطاعات التي ورد الترغيب فيها في سورة الحج ، ما يلي:

أ- الترغيب بتعظيم حرمات الله ، وذلك بالوعد بالخير :

قال -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ.. ﴾ [١]

ب- الترغيب بالإخبات إلى الله وأداء علاماته،[٢] بأن لهم البشرى من الله :

قال -تعالى- :﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾. [٣]

ج- الترغيب في الإحسان ، وذلك بأن لهم البشرى من الله :

قال -سبحانه-: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾. [٤]

د- الترغيب في الهجرة في سبيل الله ، بالوعد بالرزق الحسن وإدخال المهاجرين مدخلاً يرضونه.

قال -سبحانه وتعالى- : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾. [٥]

وهذه بشارة كبرى لمن هاجر في سبيل الله ، وخرج من داره ووطنه وأولاده وماله ابتغاء وجه الله ، ونصرة لدين الله ، فهذا قد وجب أجره على الله ، سواء مات على فراشه ، أو قتل مجاهداً في سبيل الله ، ليرزقنهم الله رزقاً حسناً في البرزخ ، وفي يوم

---

(١) سورة الحج ، الآية (٣٠). وسبق الحديث عن تعظيم حرمات الله في (ص١٣٤-١٣٨) من هذه الرسالة.

(٢) سبق تفصيل المراد من الإخبات وأداء علاماته في (ص١٣٩-١٥١) من هذه الرسالة.

(٣) سورة الحج ، الآيتان (٣٤،٣٥).

(٤) سورة الحج ، الآية (٣٧). وسبق الحديث عن الإحسان في (ص١٢٥-١٢٩) من هذه الرسالة.

(٥) سورة الحج ، الآيتان (٥٨،٥٩).

القيامة بدخول الجنة الجامعة للرَّوح والريحان ، والحسن والإحسان ، وفي الدنيا بأن يتكفل الله — سبحانه وتعالى- برزقه ، فلا يتوهم أنه إذا أخرج من داره وأمواله سيفتقر ويحتاج ، فإن رازقه هو خير الرازقين ، وسيدخل الله المهاجرين مدخلاً يرضونه بما يفتحه الله عليهم من البلدان ، وبدخولهم الجنة فيكون قد جمع بين الرزقين ؛ رزق الدنيا ورزق الآخرة.[1]

ب- موضوعات آيات أسلوب الترهيب في سورة الحج:

ورد أسلوب الترهيب في سورة الحج في مواضع عديدة ، ما بين الترهيب من جنس المعاصي والذنوب ، والترهيب من أنواع معينة من المعاصي والذنوب ، وذلك كما يلي:

١- الترهيب من جنس المعاصي والذنوب :

رَهَّبَ المولى -سبحانه وتعالى- من الكفر وعدم الإيمان بالله ، بذكر النار وأهوالها وحال أهلها ، قال -تعالى- :﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾.[2]

وهذا وصف دقيق تقشعر له الأبدان لحال أهل النار ، حيث إنها تصور المصير الذي يؤول إليه الكفار ، وهو مشهد عنيف صاخب ، حافل بالحركة المتكررة ، مطول بالتخييل الذي يبعثه النسق ، فلا يكاد ينتهي الخيال من تتبعه لتجدده ، فهذه ثياب من نار تقطع وتفصل ، وهذا حميم يصب من فوق الرؤوس ، يُصهر به ما في البطون والجلود ، وهذه مقامع من حديد ، وهذا هو العذاب يشتد ويتجاوز الطاقة ، فيهب الذين كفروا من الوهج والحميم ، والضرب الأليم ، يهمون بالخروج من هذا الغم ، وهاهم أولاء يُردون بعنف ﴿ ...وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ... ﴾ ، ويظل الخيال يكرر هذه الصورة الرهيبة من بدايتها إلى نهايتها ، حتى يصل إلى حل الخروج ، ثم الرد العنيف ،

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان/(ص ٥٤٣).

(٢) سورة الحج ، الآيات (١٩ – ٢٢).

ليعاد التصور من جديد.[1]

وقال –سبحانه-: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾.[2]

وقال– تعالى- :﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾.[3]

وقال –سبحانه-:﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾.[4]

كما رَهَّبَ – سبحانه- من عدم تقواه بذكر أهوال الساعة حيث يقول:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾.[5]

وتأمل حال الناس في عرصات يوم القيامة ، في حال ذهول شديد ، وخوف وفزع، تذهل المرضع عن رضيعها ، وتُسقط الأم وليدها ، ويموج الناس كالسكارى ، وهم ليسوا بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، صورة رهيبة لذلك اليوم تدفع عقلاء الناس لأن يحتاطوا لأنفسهم ، ويلزموا تقوى الله ، ففيها خلاصهم ونجاتهم وأمنهم يوم الفزع الأكبر.

كما رَهَّبَ –سبحانه وتعالى- من تكذيب الدعوة بذكر مآل الأمم السابقة لَمّا كذبت رسلها ، يقول الله –تعالى-: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

(١) انظر :مشاهد القيامة في القرآن /(ص ٢٥٧ ، ٢٥٨) ، تأليف : سيد قطب.

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٢).

(٣) سورة الحج ، الآية (٥٧).

(٤) سورة الحج ، الآية (٥١).

(٥) سورة الحج ، الآيتان (١،٢).

عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾.[1]

٢- الترهيب من أنواع المعاصي والذنوب :

من أنواع المعاصي والذنوب التي ورد الترهيب منها في سورة الحج، ما يلي:

أ- الترهيب من الجدال المذموم ، بالوعيد بالضلال والخزي في الدنيا ، وعذاب السعير يوم القيامة :

قال – سبحانه – :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾.[2]

وقال –سبحانه وتعالى– :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾.[3]

ب- الترهيب من الهمِّ بالسيئة في البلد الحرام ، بالوعيد بالعذاب الأليم :

قال – سبحانه و تعالى– :﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.[4]

وبذلك يتضح أسلوبا الترغيب والترهيب في سورة الحج ، و أبرز الموضوعات التي جاءت بها الآيات المشتملة عليهما ، والتي ينبغي للداعي إلى الله مراعاتها ، ودعوة الناس إليها .

---

(١) سورة الحج ، الآيات (٤٢ – ٤٨).

(٢) سورة الحج ، الآيتان (٣،٤).

(٣) سورة الحج ، الآيتان (٨ ،٩). سبق الحديث عن الجدال المذموم في (ص١٥٦-١٥٩) من هذه الرسالة.

(٤) سورة الحج ، الآية (٢٥). وهذا من تعظيم حرمات الله ، انظر: (ص١٣٥) من هذه الرسالة.

المطلب الرابع : أسلوب ضرب المثل.

أولاً : تعريف المَثَل:

أ- تعريف المثل في اللغة:

مِثْل : كلمة تسوية ، يقال: هذا مِثْله ، مَثَله ، كما يقال : شِبْهه وشَبَهُهُ.

فالمِثْل : الشِّبْه.

والمَثَلُ : الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً ، فيُجعل مِثله.(١)

وقيل : جملة من القول مقتطعة من كلام ، أو مرسلة بذاتها ، تنقل ممن وردت فيه إلى مُشَابِهه بدون تغيير.

والجمع : أمثال.(٢)

ب- تعريف المثل في الاصطلاح:

عرَّفه الإمام ابن قيِّم الجوزية-رحمه الله-فقال:«تشبيه شيء بشيء في حُكْمِه،وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر».(٣)

وقد اختير لفظ الضرب مع المثل لأنه يأتي عند إرادة التأثير وتهييج الانفعال ، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره إلى قلبه ، وينتهي إلى أعماق نفسه.(٤)

ثانياً : أهمية أسلوب ضرب المثل:

تتجلى أهمية أسلوب ضرب المثل بنظرة جامعة في الجوانب التالية:

١- الجانب اللغوي أو اللفظي:

وفيه تتجلى بلاغة المتكلم ، بإيجاز اللفظ وحسن التشبيه والتمثيل ، وجودة

---

(١) انظر: لسان العرب /(١١/ ٦١٠،٦١١).

(٢) انظر: المعجم الوسيط /(ص ٨٥٤).

(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين /(١/ ١٥٠) ، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ، المعروف بابن قَيِّمٌ الجوزية ، تحقيق: محمد بن محي الدين عبدالحميد.

(٤) انظر: تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)/(١/ ٢٣٦) ، تأليف : محمد رشيد رضا.

الكفاية ، ووضوح المنطق ، وتمكن المتكلم من شعب الحديث.

٢- **الجانب المعنوي:**

وتبرز فيه قدرة المتكلم على تقريب المراد وتفهيم المعنى ، وإيصاله إلى ذهن السامع ، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مُثِّل به ، ليكون أقرب إلى تعقله وفهمه ، وضبطه واستحضاره.

٣- **الجانب النفسي أو التربوي:**

ويراد به ما يتركه المثل السائر أو التشبيه التمثيلي في نفس السامع من أثر نفسي أو تربوي عميق ، فإن كان السامع بعيداً عن الحق اقترب ، وإن كان غافلاً معرضاً تنبه واتعظ ، وإن كان جاحداً مكابراً انقمع وانزجر.[1]

ثالثاً : من أغراض أسلوب ضرب المثل:

لأسلوب ضرب المثل أغراض عدة ، منها ما يلي:

١- تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل ، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهمها ، فإن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية.

٢- الإقناع بفكرة من الأفكار ، وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية عن طريق ضرب المثل.

٣- الترغيب بالتزيين والتحسين ، بكشف جوانب الحسن ، أو التنفير بكشف جوانب القبح ، وبهذا تساهم الأمثال في تربية النفس على السلوك الخيِّر ، وتهذيب نزعاتها الشريرة.

٤- إثارة محور الطمع أو الرغبة ، أو محور الخوف والحذر لدى المخاطب .

---

(١) انظر: ضرب الأمثال في القرآن(أهدافه التربوية وآثاره)/(ص٣٧،٣٨) ، تأليف : عبدالمجيد البيانوني ، وللاستزادة انظر: الأمثال في القرآن الكريم /(ص٨٦) وما بعدها ، للدكتور: محمد بن جابر الفياض.

٥- المـــدح أو الذم ، والتعظيم أو التحقير، من خلال بيان جوانب ذلك بضرب المثل .

٦- شـــحذ ذهـــن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية ، وتربية العقل على التفكير الصحيح ، والقياس المنطقي السليم .

٧- تقديم أفكار غزيرة جداً ودقيقة ، يحتاج بيانها إلى كلام كثير في عبارة موجزة معبرة .

٨- إيثار تغطية المقصود من العبارة بالمثل ، تأدباً في اللفظ واستحياءً من التصريح به.[(١)]

رابعاً: موضوعات آيات أسلوب ضرب المثل في سورة الحج:

ورد أسلوب ضرب المثل في سورة الحج في عدة مواضع، جاءت موضوعاتها كالآتي:

١- **الأمر بتقوى الله -تعالى-:**

قال -سبحانه- :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾.[(٢)]

يأمر الله – سبحانه وتعالى- عباده بلزوم تقواه ، بأسلوب النداء وأسلوب الترهيب مـــن يوم القيامة ، وأيضاً بأسلوب ضرب المثل ، فقد ضرب الله مثلاً لحالة الذهول التي تصيب الناس عند قيام الساعة لشدة عذاب الله بحالة ذهول السكارى المخمورين الذين طار صوابهم وذهب وعيهم.

---

(١) انظـــر: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع/(ص ٥٩،٦٠) ، تأليف: أ.د.عبدالرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع /(ص ٢٤٩ – ٢٥٤) ، مباحث في علوم القرآن /(٢٩٧ - ٢٩٩) ، تأليف: منّاع القطان.

(٢) سورة الحج ، الآيتان (١،٢).

ولوفرة عناصر التماثل نُزِّلَ الممثَّلُ به منـــزلة الممثل له.[1]

وغرض أسلوب ضرب المثل هنا إثارة محور الخوف والرهبة في نفس المخاطب .

٢- إثبات عجز ما يعبد من دون الله عن الخلق:

قال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾.[2]

في هـــذه الآيـــة يكشـــف الله -تعالى- عجز الشركاء الذين يزعم المشركون أنهم شركاء الله ، عن أن يخلقوا حيواناً مهما كان حقيراً ، وعجزهم -أيضاً- عما دون ذلك بكـــثير ، ومـــن ذلك الذباب الذي يرونه حيواناً حقيراً ، ولا يقيمون لـــه وزناً ، لن يســـتطيعوا أن يخلقوا مثله منفردين ولا مجتمعين ، وفي هذا تحدٍ شامل لكل الشركاء ، ومَنْ ورائهم ممن يعبدونهم من دون الله .

ومـــن أمـــثلة عجزهم عما هو دون عملية الخلق ، عجزهم عن التحكم والتصرف بالأشـــياء الدقـــيقة الصغيرة جداً ، التي يستطيع الذباب أن يحسَّ بها ، ويقبض عليها ، ويســـلبهم إياهـــا ، ولا يستطيعون هم أن يحسوا بها ، ولا أن يقبضوا عليها ، ولا أن يستنقذوها من الذباب لدقتها وصِغَرها.

وهكـــذا فقد تحداهم الله -تعالى- بالخلق ، وضرب لهم مثلاً على ذلك عملية خلق الذبـــاب ، وتحداهم بما هو دون عملية الخلق ، وضرب لهم مثلاً على ذلك عجزهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب من شيء.[3]

يقـــول الإمـــام ابن قيِّم الجوزية- رحمه الله-: « وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله -ســـبحانه- في بطـــلان الشـــرك ، وتجهيل أهله ، وتقبيح عقولهم ، والشهادة على أن

(١) انظر : أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع/(ص ١٩٢).

(٢) سورة الحج ، الآية (٧٣).

(٣) انظر: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع/(ص ١٩٢،١٩٣).

الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكُرة ، حيث أعطوا الإلَهيَة التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات ، والإحاطة بجميع المعلومات ، والغنى عن جميع المخلوقات ، وأن يُعمد إلى الرب في جميع الحاجات ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات، وإجابة الدعوات، فأعطوها صوراً وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الآلهة الحق ، وأذلها ، وأصغرها ، وأحقرها ، ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه ».(١)

وهـذا المـثل يُحدث في النفس حركة التفات بارعة ، يلتفت بها المرء من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس ، فيلمح ما بينهما من التشابه أو التطابق ، فلا يلبث أن يتلقى الأمر الجديد بمزيد من القبول والارتياح ، والفهم والتصور ، ويجري ذلك كله في أقل من لمح البصر ، وهذه الحركة النفسية البارعة لها أثر كبير في تجديد وتنبيه وتنشيط النفس الإنسانية.(٢)

ويُراد بضرب المثل هنا إقناع المدعو بفكرة أساسية ، وشحذ ذهنه للتفكير الصحيح، والقياس المنطقي السليم ، لذلك صُدِّر هذا المثل بالنداء للفت انتباه المخاطب.

وقوله-تعالى-:﴿... ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ...﴾ مثل مرسل ؛ عبارة عن جملة أرسلت إرسـالاً من غير تصريح بالتشبيه ، وفيه تقديمٌ لأفكار غزيرة جداً ودقيقة ، يحتاج بيانها إلى كـلام كـثير ، في عـبارة موجزة ، وذلك بتأكيد عجز وضعف الآلهة المزعومة وعُبَّادها.(٣)

٣- إثبات عقيدة البعث والنشور:

قال -تعالى-:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين /(١٨١/١).

(٢) انظر : تذكرة الدعاة /(ص٦٤) ، للأستاذ : البهيّ الخولي .

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن /(ص٢٩٦).

أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝ ﴾.[1]

إن أسلوب ضرب المثل المُصَّدر بأسلوب النداء في هذه الآية يقرر حقيقة البعث والنشور ويقدم صورة مقنعة على إمكان حدوثه.

فقد ضرب الله مثلاً لقضية الحياة بعد الموت بحياة النبات في دوراته المتكررة ، التي تنتهي بالحصاد فتعود به الأرض ميتة لا حياة فيها ، ولا خضرة ولا نضرة ، ثم تبدأ الدورة من جديد ، فيسوق الله السحب المثقلة بالماء ، فتُنزل الأمطار على الأرض الميتة ، فتتحرك بقضاء الله وقدره عوامل الحياة الكامنة ، في البذور المتناثرة المدفونة في الأرض ، فتمتص البذور ماءها وغذاءها من الطين ، ثم تنبت من جديد ، فتتشقق الأرض وتخرج الزروع المختلفة ، وتنبت الجِنان على أمثال أسلافها مما تركت من بذورها.

فدورة الحياة التي تتكرر باستمرار في النبات ، تكفي مثلاً مقنعاً يقرب لأذهان الذين يتعجبون مما لا يشاهدون له نظائر في الواقع فكرة إمكان عودة الحياة للذين يموتون من الأحياء ، وتفنى أجسادهم ، وتبلى عظامهم ، إن الأمر لا يحتاج أكثر من توجيه إرادة الخالق وقدرته للتنفيذ.[2]

٤- بيان عبادة الشاك في دينه لله -تعالى-:

قال -تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝ ﴾.[3]

(١) سورة الحج ، الآيات (٥ — ٧).

(٢) انظر: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع/(ص ١٤٩).

(٣) سورة الحج ، الآية (١١).

في الآيـــة الكـــريمة استعارة تمثيلية فالذي يعبد الله على حرف قَلِقٌ في دينه على غير ثبات وطمأنينة كالذي هو على حرف الجبل ، فإنه يضطرب اضطراباً ويضعف قيامه ، فقيل للشاك في دينه أنه يعبد الله على حرف ، أي متزلزلاً لأنه على غير يقين من وعده ووعيده ، بخلاف المؤمن فهو يعبد الله على يقين وبصيرة فلم يكن على حرف.[1]

قال الشيخ ابن عاشور[2]- رحمه الله- :«وقوله -تعالى- :﴿... يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ...﴾ تمثـــيل لحال المتردد في عمله ، يريد تجربة عاقبته ؛ بحال من يمشي على حرف جبل أو حرف واد ، فهو متهيئ لأن يزل عنه إلى أسفله ، فينقلب أي ينكب».[3]

وهذا المثل يقرّب المعنى للذهن ، ويساعد السامع على تصور عبادة الشاك في دينه لله -تعالى- .

ومما سبق تتضح أبرز موضوعات آيات أسلوب ضرب المثل في سورة الحج.

---

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن/(٩/ ٢٠).

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٢٤) من هذه الرسالة.

(٣) التحرير والتنوير/(١٦/ ٢١٢).

المبحث الثالث: ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج.

توطئة:

تتعدد ميادين الدعوة إلى الله وتختلف باختلاف الأماكن التي تمارس فيها الدعوة ، وينبغي للداعي إلى الله أن يراعي الموضوعات ، والأساليب ، والوسائل المناسبة لكل ميدان كي تؤتي جهوده الثمار المرجوة منها.

وفي سورة الحج وردت أبرز الميادين الدعوية التي ينبغي للداعي إلى الله أن يجتهد فيها في الدعوة إليه.

فالميدان الأول هو ميدان المسجد ، وهو ميدان رئيس يلتقي فيه الداعي إلى الله بأعداد كبيرة من المدعوين خمس مرات يومياً ، ويستطيع أن يدعو فيه إلى الله بأنواع متعددة من الوسائل والأساليب.

أما الميدان الثاني فهو ميدان الحج الذي يجتمع فيه المسلمون من شتى بقاع الأرض ، يقبلون فيه على الله ، ويتجردون من مظاهر الدنيا الزائلة ، لهذا فهو ميدان خصب للدعوة إلى الله ، إذ تتوفر فيه من الخصائص مالا توجد في غيره.

والميدان الثالث من ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج هو ميدان الجهاد في سبيل الله ، فكما أن الجهاد من وسائل تبليغ الدعوة إلى الله بالعمل ، فإنه —أيضاً— ميدان تمارس فيه الدعوة إلى الله بدعوة المسلمين من الجند للالتزام بشرع الله ، وتطبيق الإسلام في جميع شؤونهم وأحوالهم ، وبدعوة الكافرين للدخول في هذا الدين العظيم ، إذ إنه سبب نجاتهم في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول: ميدان المسجد.

أولاً: تعريف المسجد :

أ- تعريف المسجد في اللغة:

سَجَدَ يسجد سجوداً : وضع جبهته بالأرض.

والمسجَد والمسجِد : الذي يُسجد فيه.[1]

وسَجَدَ سجوداً : خضع وتطامن.

والمساجِد من بدن الإنسان : الأعضاء التي يسجد عليها.

والمَسْجِدُ : مصلى الجماعة ، والجمع : مساجِدْ.[2]

ب- تعريف المسجد في الاصطلاح:

مكان مهيأ للصلوات الخمس دون انقطاع.

وقيل: كل موضع من الأرض ، لقوله-ﷺ- :(...**وجعلت لي الأرض مسجداً**...).[3]

وهـــذا من خصائص هذه الأمة ، لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته.

ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة ؛ لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه، فقيل : مسجد ، ولم يقولوا : مركع.

ثم إن العـــرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس ،حتى يخرج المُصلى المجتمع فيه للأعياد والجنائز ونحوهما ، فلا يعطى حكمه.[4]

---

(١) انظر : لسان العرب /(٣/٢٠٤).

(٢) انظر : المعجم الوسيط /(ص ٤١٦).

(٣) أخـــرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة ، باب قول النبي-ﷺ-:(**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**) ، ح(٤٣٨) ، وأخـــرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المساجد ومواضع الصلاة ، ح(٣) ، انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ٣٧ ، ٧٥٩).

(٤) انظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد/(ص١٣،١٤)، للإمام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي ، قدَّم له واعتنى به: أيمن بن صالح شعبان.

ثانياً: أهمية ميدان المسجد في الدعوة إلى الله :

تتضح أهمية ميدان المسجد في الدعوة إلى الله من خلال ما يلي:

١- أن للمسجد مكانة كبرى في الإسلام ، فهو بيت الله ، وأحب البقاع إليه ، وهذا يعطيه مكانة وشرفاً لا يضاهيه فيها أي مكان آخر ، قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾.[1]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :(**أحبُّ البلاد إلى الله -تعالى- مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**).[2]

لهذا فقد حثَّ الشارع الحكيم على ارتياد المساجد ، ورتب على ذلك الأجر العظيم، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (**من غدا إلى المسجد أو راح ، أعدَّ الله له في الجنة نزلاً ، كلما غدا أو راح**).[3]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال :قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (**من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ، ليقضي فريضة من فرائض الله ، كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة**).[4]

وقد أمر الله -سبحانه- عباده بأخذ الزينة عند الذهاب إلى المساجد ، فقال -تعالى-:﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... ﴾.[5]

---

(١) سورة الحج ، الآية (٢٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح ، وفضل المساجد ، ح(٢٨٨). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ٧٨٢).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات ، ح(٢٨٥) ، وأخرجه الإمام البخاري في كتاب الآذان ، باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح ، ح(٦٦٢). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ٧٨٢ ، ٥٣).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات ، ح(٢٨٢). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص٧٨٢).

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٣١).

كمـــا حثت الشريعة الإسلامية على بناء المساجد ، ورغبت في الاهتمام بها ، قال -سبحانه وتعالى- : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.(١)

وعن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال : قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : (**من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة مثله**).(٢)

وإن من عمارتها الدعوة إلى الله فيها ، فالمسجد أكثر الميادين الدعوية قدسية وشرفاً في نفوس المدعوين ، مما له أثر كبير في التأثير فيهم.

٢- الدعوة إلى الله في ميدان المسجد يترتب عليها الأجر العظيم ، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (**...وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كـــتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكنية ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده...**).(٣)

٣- أن أول عمل قام به النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد هجرته إلى المدينة بناء مسجد قباء ، وقبل أن يـــبني لـــــه بيتاً- عليه الصلاة والسلام-، وذلك لما للمسجد من أثر كبير في نشر الدعوة إلى الله .(٤)

ثالثاً : الدعوة إلى الله في ميدان المسجد :

يعـــدُّ المسجد من أبرز ميادين الدعوة إلى الله ؛ وذلك لما لـــه من مكانة كبرى في قلـــوب المسلمين ؛ ولاجتماع المسلمين فيه خمس مرات في اليوم والليلة لأداء الصلوات

---

(١) سورة التوبة ، الآية (١٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل بناء المساجد والحث عليها، ح(٢٥)، وأخـــرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة ، باب من بنى مسجداً ، ح(٤٥٠). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ٧٦٠ ، ٣٨).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، ح(٣٨). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ١١٤٧).

(٤) انظـــر: زاد المعاد في هدي خير العباد/(٦٥/١) ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة تحليلية)/(ص٢٨٦)، د.مهدي رزق الله أحمد .

الخمس ، وهذا يُسهل على الداعي إلى الله الالتقاء بعدد كبير من المدعوين الذين يحملون في أنفسهم خيراً كثيراً ، بدليل حضورهم إلى المسجد خمس مرات في اليوم والليلة لأداء الصلاة، مما يوفر على الداعي جهداً كبيراً في دعوتهم .

ويمكن للداعي إلى الله أن يدعو في المسجد من خلال ما يأتي:

١- أداء العبادات:

المسجد هو أكثر الأماكن التي يعبد فيها الله –سبحانه - ولهذا قال –تعالى- : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾.[1]

أي ولولا أن الله يدفع بقوم عن قوم ، ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يُقَدِّره من الأسباب لفسدت الأرض ، ولأهلك القوي الضعيف ، ولهُدمت الصوامع وهي لرهبان النصارى ، والبيع وهي كنائس عموم النصارى ، وصلوات اليهود وهي كنائسهم ، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيراً ، وهذا ترقٍ من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهي أكثر عماراً وأكثر عُبَّاداً ، وهم ذوو القصد الصحيح .[2]

وقد أمر الله –سبحانه وتعالى- خليله إبراهيم –عليه الصلاة والسلام-بتطهير بيته الحرام لعباده المتعبدين ، قال –تعالى-:﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[3]

وهذا الخطاب من الله –سبحانه- للنبي -ﷺ- أي : واذكر يا محمد -ﷺ- حين جعلنا لإبراهيم –عليه الصلاة السلام- مكان البيت مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة

---

(١) سورة الحج ، الآية (٤٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم /(٣/٢١٤).

(٣) سورة الحج ، الآية (٢٦).

قـــائلين لـــه : أن لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي من الأصنام والأقذار لمن يطوف به ، وللمقيمين بمكة ، وللمصلين فيه.[1]

والمســـجد الـــذي يكثر فيه العبَّاد الركع السجود نراه يؤثر كثيراً في عدد كبير من المدعويين في الاستجابة للدعوة والانضمام إليها.

فعبادة الله — سبحانه وتعالى- في المسجد دعوة واضحة إلى سبيله ، وإظهارٌ لدينه ، وتطبـــيق عملي للدعوة إلى الله ، فكثير من السنن المهجورة تجدد العمل بها وفشا أمرها بأدائهـــا في المســـجد ، والداعي إلى الله حين يعتكف في المسجد يدعو إلى الاعتكاف بعمله، إلى جوار تعبده لله-تعالى-.

٢- الدروس العلمية:

المساجد ميدان خصب للدعوة إلى الله عن طريق حلقات العلم العامرة بذكر الله التي تقام فيه ، وتعتمد على كتاب الله — سبحانه وتعالى- وعلى سنة نبيه -ﷺ-.

فـــالدروس العلمـــية تحارب الجهل ، وتنشر العلم ، وتوجه المسلم إلى خيري الدنيا والآخرة ، وبها يتعلم المسلم عبادة ربه على منهج صحيح .

ومن مميزاتها :

أ- أنها تمكن الداعي إلى الله من إيصال العلم للناس.

ب- أنهـــا تجعـــل المدعو أكثر احتكاكاً بالداعي ، وهذا يجعل الألفة بينهم كبيرة ، وبذلـــك يـــتعرف الداعي إلى الله على أفكار وآراء المدعو ، مما يساعده على معرفة أفضل السبل لدعوته.

ج- أنها تعدّ جيلاً جديداً من الدعاة إلى الله من ذوي العلم والدراية والوعي الدقيق .

د- أنها تقوم على الدليل المؤصل ، مما يجعل الداعي إلى الله ذا منهج معتدل ، وفكر سليم من التحريف.[2]

---

(١) انظر: تفسير النَّسَفي(المسمى مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل)/(٣/٩٨).

(٢) انظر : فن نشر الدعوة مكاناً وزماناً /(ص ١١٩) ، للدكتور: محمد زين الهادي العرمابي.

وقد كان الداعي الأول -عليه الصلاة والسلام- يعلّم الناس في مسجده ، ويرغّب في العلم ويحثُ عليه .

فعن أبي واقد الليثي(١) أن رسول الله -ﷺ- بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله -ﷺ- وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله -ﷺ- فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله -ﷺ- ، قال : (**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة : أما أحدهم فأوى إلى الله -تعالى- فأواه الله إليه ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**).(٢)

٣- **الفتيا :**

يحتاج المسلم في حياته العملية إلى من يرشده فيما يعترضه من مواقف يقف إزاءها حائراً لا يعرف لها حلاً ، وجهد الداعي إلى الله في تعليم وتبليغ الدعوة إلى الله عن طريق المحاضرات و الدروس العلمية لا تكفي وحدها لنشر العلم والفقه لدى المدعوين ؛ فحاجات الناس مختلفة ، وعلمهم واستيعابهم متفاوت ، وتفصيلات الحياة دقيقة ومتجددة ومتنوعة ؛ لهذا فالحاجة إلى الداعية العالم حاجة شديدة ، فإن لم يتصدر للفتيا من هو أهل لها سيتصدر لها من لا يفقه في الدين شيئاً.

وينبغي للداعي إلى الله أن يحذر من الفتيا بغير علم ، فإن الفتوى تبليغ عن الله ، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : (**من أُفتيَ بغير علم كان إثمه على من**

(١) أبو واقد الليثي ، مُختَلف في اسمه ، قيل: الحارث بن مالك ، وقيل: ابن عوف ، وقيل: عوف بن الحارث ، روى عن النبي -ﷺ- وعن أبي بكر ، وعمر -رضي الله عنهما- ، قيل : أنه شهد بدراً ، قديم الإسلام ، نقل البخاري أنه مات في خلافة معاوية -رضي الله عنه-. انظر : الإصابة في تمييز الصحابة /(٧/٣٧١،٣٧٠) ، تهذيب التهذيب /(٤/٦٠٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم ، باب من قصد حيث ينتهي به المجلس ، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، ح(٦٦) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام ، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها ، وإلا وراءهم ، ح(٢٦). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص٨ ، ١٠٦٥).

أفتاه). [1]

والمسجد هو الميدان الأول الذي يبحث فيه المسلم عمن يفتيه ، لهذا فالدعوة إلى الله من خلال الفتيا في المسجد باب واسع ينفذ إلى أصناف شتى من المدعويين ، ويساعد الداعي إلى الله على فهم واقع الناس وحاجاتهم ، كما يقربه إلى المدعو بتفريج همه بإفتائه، لهذا كانت الفتيا من أفضل السُّبل التي توجِد مجالاً خصباً للدعوة إلى الله ؛ فإن النفوس جُبِلَت على حب من أحسن إليها ، وحينما يجيب الداعي إلى الله على استفتاء المدعو فإن ذلك يجعله يتقبل ما يعرضه عليه الداعية من توجيهات وإرشادات دعوية.

وقد كان رسول الله -ﷺ- يفتي في المسجد ، ويفد إليه الناس من كل حدب وصوب ، يتوجهون إليه بالاستفتاءات فيقابلها بالأجوبةِ الجامعةِ المانعة .

ومن ذلك ما رواه عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما- أن رجلاً قام في المسجد فقال : يا رسول الله ، من أين تأمرنا أن نُهل ؟ فقال رسول الله -ﷺ- : (**يُهل أهل المدينة من ذي الحُليفة ، ويُهل أهل الشام من الجُحفة ، ويُهل أهل نجد من قرن**). [2]

فكان المسجد إلى جوار كونه داراً للعبادة داراً للفتيا كذلك .

٤- الوعظ :

الوعظ يطلق على القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية ، فمن المعلوم أن الأمراض والعلل تعرض للأجسام فتذهب بجمالها ، وكثيراً ما تودي بحياتها إذا لم تسعف بالعلاج الناجع قبل استفحالها واشتداد خطرها ، والقلوب كالأجسام يعرض لها من الأمراض والعلل ما

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب العلم ، باب التوقي في الفتيا ، ح(٣٦٥٧) ، وأخرجه الإمام ابن ماجة في باب اجتناب الرأي والقياس ، ح(٥٣) ، وقال العلاّمة المحدِّث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني عن الحديث: « حسن ». انظر: سنن أبي داود/(ص ٥٥٣) ، سنن ابن ماجة /(ص ٢٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم ، باب ذكر العلم والفتيا في المسجد ، ح(١٣٣) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب مواقيت الحج ، ح(١٥) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/ (ص١٤ ، ٨٦٩).

يطفئ نورها ، وقد يفقدها حياتها ، وذلك بورودها موارد الغي والضلال ، وانهماكها في اللذات والشهوات والتهاون بالأوامر والنواهي ، وعدم المبالاة بأنواع الفسوق والفجور ، وسيئات البدع ونبذ الآداب الدينية والأخلاق المحمدية ، وارتكاب كل ما لا يرضاه الشرع والعقل من الشرور والقبائح.

فمن هذه الأفعال تكون أمراض القلوب وعللها ، ولا دواء لها إلا بالمواعظ والإرشادات والنصائح من الكتاب والسنة ، فبها تصح النفوس.

والمسجد هو الميدان الأول للوعظ ، والواعظ الماهر ، يستطيع بما وهبه الله — عز وجلّ -من نور الحكمة ، وقاطع الحجة ، وساطع البرهان ، وقوة البيان ، وغزارة العلم ، أن يصحح القلوب من أمراضها ، وينبه العقول من غفلتها ويطهر النفوس من أدران النقائص والرذائل ، وينير أمامها السبل الموصلة إلى الرشد حتى ترجع عن غيها، وتتحلى بالفضائل والكمال.[1]

إلا أنه ينبغي مراعاة الضوابط المقيدة للوعظ ، بحسن اختيار الزمان والمكان الملائمين للحديث ، واختيار الموضوع المناسب ، وعدم الإطالة إلا أن يرى الداعية تشوقاً للكلام من المدعوين ، وألا يكثر منها في كل وقت ، فإن هذه الأمور تؤثر في تقبل المدعو لما يقال له .

ومما يدل على هذا أن عبدالله بن مسعود — رضي الله عنه- كان يُذكر الناس كل خميس ، فقال له رجل :« يا أبا عبدالرحمن ، لوددت أنك ذكّرتنا كل يوم »، قال : (**أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملكم ، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي -ﷺ- يتخولنا[2]بها مخافة السآمة علينا**).[3]

---

(١) انظر : هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة/(ص٧١)، وما بعدها ، تأليف الشيخ : علي بن محفوظ.

(٢) يتخولنا : أي يتعهّدنا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر/(ص٢٩٠).

(٣) أخـرجه الإمام البخاري في كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ، ح(٧٠) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب الاقتصاد في الموعظة ، ح(٨٣). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص٨ ، ١١٦٩).

٥- **الخطابة :**

وهي:«كلام منثور مسجوع ومرسل، أو مزدوج بينهما، غايته التأثير والإقناع».[(١)]

ولها فضلٌ عظيم ، وشأنٌ جسيم ، وشرفها بشرف غاياتها ، وأفضل غاياتها إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل .

كما أن لها فوائد جمة ، فهي التي تُعرف صاحبها كيف يمتلك القلوب ، ويستميل النفوس ، ويحرك العواطف ، ويهيج الخواطر نحو ما يريد ، كما أنها تثير الحماسة في النفوس الفاترة ، وتهدئ النفوس الثائرة ، وهي التي ترفع الحق وتخفض الباطل ، وتقيم العدل وترد الظلم .[(٢)]

والخطابة من الأمور المهمة التي تتحقق بها الدعوة إلى الله ، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

١- أن الخطابة للداعية كالمصباح ينير له الطريق ويكشف له الدرب ويهدي الضال، وكالآلة في يد الصانع الماهر تشكل له ما يشاء وتصنع له ما يريد .

٢- أن الخطابة سلاح يدافع به الداعية عن دعوته ، يرد به كيد الكائدين وجحود الجاحدين ، وعنت الضالين ، يأتي بها الداعية الفصيح ، صاحب الحجة البيِّنة ، فيرفع الحق الأبلج والحجة المضيئة ضد كل منافقٍ عليم اللسان ، ومنحرفٍ صاحب بيان .

٣- أن الخطابة وسيلة لصياغة المبادئ ، وإظهار جلالها ورفعة شأنها ، كما أنها سبب سيادة الحق .

٤- أنها صلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تأتي لصيانة جسد الأمة من الهدم والتحلل ، كما أنها لازمة لطرد الأهواء ، وعلاج الأمراض الدخيلة .[(٣)]

هذا فيما يتعلق بالدعوة إلى الله في ميدان المسجد.

---

(١) معالم في منهج الدعوة/(ص٣٣٧) ، لفضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن عبدالله بن حميد.

(٢) انظر: فن الخطابة وإعداد الخطيب /(ص١٥ ، ١٦) ، للشيخ : علي بن محفوظ.

(٣) انظر: الخطابة وإعداد الخطيب/(ص٣٠ ، ٣١) ، للدكتور : توفيق الواعي.

المطلب الثاني: ميدان الحج.

أولاً : أهمية ميدان الحج في الدعوة إلى الله :

تتضح أهمية ميدان الحج في الدعوة إلى الله من خلال ما يلي:

١- أن الحـــج هو الاجتماع السنوي للمسلمين من كل أنحاء العالم ، يجتمعون في مكان معلوم وفي أيام معلومة ليستنوا بسنة الداعي الأول محمد -ﷺ- في أداء مناسكهم.

٢- أن الحج مؤتمر عالمي لدعاة الإسلام ، والأفعال التي يقومون بها في الحج كلها علامـــات على مراحل من حياة سيدنا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام- في ســـبيل الدعوة ، وفي تصور هذه الوقائع ينمو شعور بالدعوة وروح التبليغ ، كما كان إبراهيم – عليه الصلاة والسلام- داعياً إلى الله.

٣- أن الحـــج بـــروحه الأصلية يقتضي إحياءه للدعوة ، يَعْرِض الناس من مختلف الـــبلاد أحوال الدعوة في بلدانهم في هذه المناسبة العالمية ، ويطّلع الناس على تجارب المناطق الأخرى ويستفيدوا منها ؛ لهذا فمن المهم أن تركز خطب الحج على بيان أهمية الدعوة ، وتشرح إمكاناتها الجديدة ، ليتم نشرها على المستوى العالمي.

٤- في الحـــج تـــتحقق الوحدة العالمية بين مسلمي العالم ، والوحدة تتطلب هدفاً مشـــتركاً يركز الناس أنظارهم حوله ، ويحفظهم من التشتت والاختلاف ، والدعـــوة إلى الله هي الهدف الأعلى للأمة المسلمة ، والتمسك به يجعل الحج ميداناً للدعوة الإسلامية.[1]

ثانياً : الدعوة إلى الله في ميدان الحج :

تتحقق الدعوة إلى الله في ميدان الحج من خلال ما يلي:

---

(١) انظر: حقيقة الحج/(ص ٣٧) وما بعدها، تأليف: وحيد الدين خان ، ترجمة: ظفر الإسلام خان.

١- الخطابة والوعظ والإرشاد[١]:

مـــن الدعوة إلى الله في ميدان الحج الخطابة في الناس بموضوع يناسب حالهم في أيام الحج ، وبعد عودهم إلى ديارهم.

فعـــن جابـــر بن عبد الله -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- خطب الناس في يوم عرفة ، فقال : (**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكـــم هـــذا ، ألا كـــل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعاً في بني ســـعد فقتلـــته هذيـــل ، وربـــا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ، ربا عباس بن عبدالمطلـــب ، فإنـــه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركـــت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به ،كتاب الله ، وأنتم تُسألون عني ، فما أنـــتم قائلون؟**) ، قالوا: « نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت »فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: (**اللهم اشهد، اللهم اشهد**) ثلاث مرات.[٢]

كما خطب رسول الله -ﷺ- الناس في يوم النحر.

فعن أبي بكرة[٣]-رضي الله عنه- قال :« خطبنا النبي -ﷺ- يوم النحر ، قال: (**أتـــدرون أي يـــوم هذا؟**) ، قلنا : « الله ورسوله أعلم » ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قـــال: (**أليس يوم النحر؟**) ، قلنا : « بلى » ، قال : (**أي شهر هذا؟**)، قلنا : « الله ورسوله أعلم » ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال: (**أليس ذو الحجة**) ، قلنا : «بلى» ، قال: (**أي بلد هذا؟**) ، قلنا : « الله ورسوله أعلم » ، فسكت حتى ظننا

---

(١) وهذا- أيضاً- مما تتحقق به الدعوة إلى الله في ميدان المسجد ، انظر: (ص٢٦٣-٢٦٥) من هذه الرسالة .

(٢) أخـــرجه الإمـــام مسلم في كتاب الحج ، باب حجة النبي -ﷺ- ، ح (١٤٧). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص٨٨٠).

(٣) تقدمت ترجمته في (ص١٥٢) من هذه الرسالة.

أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : (**أليست بالبلدة الحرام؟**) ، قلنا : « بلى »، قال :(**فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل بلغت ؟**)، قالوا : « نعم » ، قال : (**اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مُبَلَّغٍ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**).[1]

كما ينبغي للداعي إلى الله أن يتخول الناس بالموعظة في أيام الحج ، فيُذَكِّرَهم بفضل هذا الركن العظيم من أركان الإسلام ، وأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، ويدعوهم إلى تقوى الله ، والابتعاد عن اللغو والجدال ، والرفث والفسوق، وإلى تجنب الذنوب والمعاصي كبيرها وصغيرها ، فإنما هي أيام قليلة ، ينبغي للحاج أن يحرص على ملازمة ذكر الله فيها ، قال -تعالى-: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾.[2]

و يُذكِّرهم بأن الله توعد من همَّ بالسيئة في الحرم بالعذاب الأليم ، قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.[3]

كما أن من الدعوة إلى الله في ميدان الحج إرشاد حجاج بيت الله إلى ما يجب أن يفعلوه من مناسك الحج بالتعليم والنصح والتطبيق ، وخاصة مع أولئك الذين لا يعرفون أركان الحج بتمامها ، أو يخطئون في تطبيقها.

٢- **الدروس العلمية**[4]:

الحج ميدان خصب للدعوة إلى الله عن طريق الدروس العلمية التي تقام فيه ، وتعتمد

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ،.ح(١٧٤١) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب القسامة والمحاربين ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، ح(٣٠) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص١٣٦ ، ٩٧٤).

(٢) سورة الحج ، الآية (٢٨).

(٣) سورة الحج ، الآية (٢٥).

(٤) وهذا- أيضاً- مما تتحقق به الدعوة إلى الله في ميدان المسجد ، انظر: (ص٢٦١، ٢٦٢) من هذه الرسالة.

على كتاب الله – سبحانه وتعالى- وعلى سنة نبيه -ﷺ-.

وتقدم على هيئة سلسلة علمية تتناول جوانب العقيدة ، وأحكام الشريعة كأحكام الطهـــارة والصلاة ، وموضوعات الأخلاق ، وأيضاً تشتمل على دروس في الدعوة إلى الله ، وغير ذلك.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

في الحـــج يتوافد الحجاج من شتى بقاع الأرض ، وبسبب اختلاف أحوال المدعوين وعاداتهم تظهر بعض المنكرات والبدع التي تنم عن جهل بالدين.

فينبغي للداعي إلى الله أن يُقر المعروف ويأمر به ، وينهي عن المنكر ويسعى لإزالته ، ومـــن ذلـــك ما يظهر من بعض الحجاج من التوسل بغير الله في بعض المواطن ، ومن التعلق بأستار الكعبة والتبرك بها وغيرها ، وسماع آلات اللهو والمعازف والكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك.

كمـــا يُـــنكر المنكرات التي تتعلق بشعائر الحج ، ويسعى إلى إرشاد الناس إلى سنة المصطفى -ﷺ- في حجه .

وقـــد أنكـــر الـــنبي -ﷺ- عـــلى الناس إسراعهم في الإفاضة من عرفة ، وأمرهم بالســـكينة، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما- : أنه دفع مع النبي -ﷺ- يوم عرفة ، فسمع النبي-ﷺ- وراءه زجراً شديداً وضرباً للإبل ، فأشار بسوطه إليهم ، وقال: (**أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع**).[1]

٤- الفتيا [2]:

تشـــتد حاجة الناس إلى الفتيا في ميدان الحج ، فكثيراً ما يقع من الحجاج ما يُشكل عليهم عند أداء مناسكهم من إخلال ببعض أركان الحج ، أو واجباته ، أو سننه ، وقد

---

(١) أوضعوا : أسرعوا . أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج ، باب أمر النبي -ﷺ- بالسكينة عند الإفاضة وإشارته إليهم بالسوط ، ح(١٦٧١). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ١٣١).

(٢) الفتيا مما تتحقق به الدعوة إلى الله في ميدان المسجد . انظر: (ص٢٦٢ ، ٢٦٣) من هذه الرسالة .

تلتبس عليهم بعض أعمال الحج بتقديم وتأخير ونحو ذلك ، ولذلك يحتاجون إلى من يفتيهم في مسائلهم .

فعن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– أن رسول الله –ﷺ– وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه ، فقال رجل : « لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح » ، قال: (**اذبح ولا حرج**) ، فجاء آخر ، فقال: «لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي » ، قال: (**ارم ولا حرج**). فما سُئل النبي–ﷺ– يومئذ عن شيء قُدم ولا أُخر إلا قال:(**افعل ولا حرج**).[1]

فينبغي للفقيه الداعي إلى الله أن يبسط نفسه للناس ويتصدر للفتيا إن كان من أهلها، كي لا يُضِلَّ المسلمين أناس جهال ، وعليه أن يراعي أحوال السائلين وواقعهم ، ويوضح لهم ما يُشكل عليهم بأسلوب قريب لأفهامهم.

٥- تقديم الإرشادات الوقائية والعلاجية للحجاج:

في الطب مجال عظيم للدعوة إلى الله ، ولدعوة الطبيب الداعي إلى الله تأثير كبير في المدعوين ، وإن من الدعوة إلى الله في ميدان الحج الاهتمام بصحة الحاج وقاية وعلاجاً ، والطبيب الداعي إلى الله وجوده ضروري في ميدان الحج ؛ لتقديم الإرشادات الوقائية والعلاجية للحجاج مع إرشادهم في الوقت نفسه إلى ما يتم به حجهم عند حصول ما يعوقه من مرض أو أذى يتعلق بمناسك الحج .

فعن كعب بن عجرة[2] –رضي الله عنه– وقد كان مُحْرِماً أنه قال: « حُملت إلى النبي –ﷺ– والقمل يتناثر على وجهي ، فقال : (**ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا ، أما تجد**

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج ، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة ، ح(١٧٣٦) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب جواز تقديم الذبح على الرمي ، والحلق على الذبح وعلى الرمي، وتقديم الطواف عليها كلها ، ح(٣٢٧) . انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ١٣٦ ، ٨٩٤).

(٢) كعب بن عجرة بن أمية بن عديّ ، أبو إسحاق ، وقيل : أبو عبدالله ، روى عن النبي –ﷺ– وعن عمر –رضي الله عنه–، وشهد عمرة الحديبية ، توفي في المدينة سنة إحدى وخمسين ، وقيل: اثنين ، وقيل: ثلاث ، وله خمس ، وقيل: سبع وسبعون سنة . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة /(٥/٤٤٨ ، ٤٤٩).

شـــاة؟) قلت : « لا » ، قال : **(صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك)** ، فنـــزلت فيَّ خاصة ، وهي لكم عامة ».[1]

يريد قوله —سبحانه وتعالى- :﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ...﴾.[2]

٦- مساعدة الحجاج والإحسان إليهم:

إن القيام بشئون الحجاج وخدمتهم وقضاء حوائجهم مما تتحقق به الدعوة إلى الله ، والناس مجبولون على حب من أحسن إليهم ، وتشتد حاجة الناس في ميدان الحج إلى من يرشـــدهم ويســـاعدهم في الوصول إلى المشاعر المقدسة ، أو أماكن إقامتهم ، أو إلى المستشفيات ... ونحو ذلك.

وبمراعاة هذا الجانب يستطيع الداعي أن يدعو المدعوين إلى الله ، وقد تهيئوا لقبول ما يقوله ، وبذلك تحقق دعوته الثمار المرجوة منها — بإذن الله- ، كما أن مراعاة ما سبق من الدعوة إلى الله في ميدان الحج مما يساعد كثيراً في نشر الدعوة إلى الله .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى: ﴿...فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ...﴾ ، [سورة البقرة ، (١٩٦)] ، ح(٤٥١٧) ، و أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى ، ووجوب الفدية لحلقه ، وبيان قدرها ، ح(٨٥). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص٣٧٠ ، ٨٧٤).

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٩٦).

المطلب الثالث : ميدان الجهاد .

أولاً: أهمية ميدان الجهاد في الدعوة إلى الله :

تتضح أهمية ميدان الجهاد في الدعوة إلى الله من خلال ما يلي:

١- في ميدان الجهاد تتحقق الغاية التي تهدف إليها الدعوة إلى الله ، وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وهو ذاته الهدف الذي شرع الله لأجله الجهاد في سبيل الله.

٢- يلتقي الداعي إلى الله في ميدان الجهاد بأصناف من المدعوين ؛ مسلمين وكفار وأمراء وجنود ، وكل صنف بحاجة ماسة للدعوة إلى الله ، فجند المسلمين يحتاجون فقه الدين بعبادته ، وشرائعه ، وآدابه ، وأحكامه ، وعلى الأخص أحكام الجهاد ، وما يتعلق به كصلاة الخوف وتقسيم الغنائم ، ونحو ذلك.

أما الكفار فحاجتهم أشد للدعوة إلى الله ، إذ بدونها يبقون في ظلمات الجهل والضلال ، والدعوة إلى الدخول في الإسلام فيها نجاتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، قال الله -تعالى-:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.[١]

٣- القيام بالدعوة في ميدان الجهاد من أسباب النصر والتمكين، والدعوة إلى الصبر عند القتال، والثبات في النزول، وعدم التولي يوم الزحف، والتأكيد على تقوية الصلة بالله، وصدق اللجوء إليه، والتوكل عليه، كله من الدعوة إلى الله؛ الذي يؤدي إلى النصر على الأعداء .

ثانياً : الدعوة إلى الله في ميدان الجهاد :

تتحقق الدعوة إلى الله في ميدان الجهاد من خلال أمرين:

الأول : دعوة المسلمين في ميدان الجهاد:

ينبغي للداعي إلى الله أن يحرص على دعوة المجاهدين من المسلمين ، فهم دعاة إلى الله

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٨٥).

بأفعالهم وأقوالهم ، وصلاحهم وتقواهم يؤثر في تحقيق الغاية التي شرع لأجلها الجهاد في سبيل الله.

فيدعو أمراء الجيش وقواده ، ويحرص على إرشاد ونصح عامة الجند ، فيوصيهم بتقوى الله ، وحفظ الدين ، والالتزام بشرع الله ، والسمع والطاعة لولاة أمرهم ، ونحو ذلك ، وقد روى سليمان بن بريدة عن أبيه[1] -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله – عز وجل- ومن معه من المسلمين خيراً .[2]

كما أوصى خليفته أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- يزيد بن أبي سفيان[3] -رضي الله عنه- لما ولاه على جيش أرسله إلى الشام ، فقال: « يا يزيد ، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والإيثار له ، والخوف منه ، وإذا لقيت العدو فأظفركم الله بهم فلا تغلل ، ولا تمثل ، ولا تغدر ، ولا تجبن ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تحرقوا نخلاً، ولا تعرِّفوه،[4] ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تعقروا بهيمة إلا لمأكلة ، وستمرون بقوم في الصوامع يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين قد فحص[5] الشيطان عن أوساط رؤوسهم ، حتى كأن أوساط رؤوسهم أفاحيص القطا ، فاضربوا ما فحصوا من رؤوسهم بالسيوف حتى ينيبوا إلى

---

(١) تقدمت ترجمتهما في (ص٢١٧) من هذه الرسالة.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث في (ص٢١٧) من هذه الرسالة.

(٣) يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب القرشي الأموي ، من مسلمة الفتح ، أمير الشام ، وأخو الخليفة معاوية، كان من فضلاء الصحابة ، استعمله النبي -صلى الله عليه وسلم- على صدقات بني فراس ، وكان أفضل أولاد أبي سفيان ، يقال له يزيد الخير ، توفي سنة ثمان عشرة ، وقيل: تسع عشرة . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة/(٦/٥١٦ ، ٥١٧).

(٤) لاتعرِّفوه : أي لاتجزوا عرفه. والعرف : كل عالٍ مرتفع. انظر: لسان العرب/(٩/١٤١).

(٥) أي : أن الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له مفاحص كما تستوطن القطا مفاحصها أي: مساكنها. انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر/ (ص٦٩٣).

الإســـلام ، أو يــؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب».[1]

وكتـــب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- يأمره ومن معه من الأجناد بتقوى الله ، والحرص على تنقية الجيش من الذنوب والمعاصي ؛ لأثرها وشؤمها على المسلم ، فقال: « أما بعد : فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدّة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معــك أن تكونـــوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخـــوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكـــن لـــنا بهم قوة ؛ لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عُدّتنا كعدّهم ، فإذا استوينا في المعصـــية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا نُنْصَر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ...».[2]

كمـــا تتجلى دعوة المسلمين في ميدان الجهاد -أيضاً- في التحريض على القتال ، والحث على الصبر عند النـــزال ، واستفراغ الوسع في الجهاد.

قال -تعالى-: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ...﴾.[3]

وبالترغيـــب في الجنة ، والتذكير بعظم أجر المجاهد ، ومكانته عند الله ، وأن الله هو مولاه وناصره إن توكل عليه واعتصم به ، قال -تعالى-: ﴿ ...وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾.[4]

وقال — سبحانه وتعالى- : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ

(١) تاريخ فتوح الشام/(ص ١٢) ، تأليف: محمد بن عبدالله الأزدي ، تحقيق: عبدالمنعم عبدالله عامر.

(٢) العقد الفريد/(١١٧/١) ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة .

(٣) سورة الحج ، الآية (٧٨).

(٤) سورة الحج ، الآية (٧٨).

كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.[1]

وقد كان رسول الله -ﷺ- في معركة بدر يحرض المؤمنين على القتال ، ويرغبّهم في الجنّة حيث النعيم المقيم ، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنه لما دنا المشركون ، قال -عليه الصلاة والسلام-:(**قومــوا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**)، فقال عمير بن الحمام الأنصاري[2]-رضي الله عنه- : « يا رسول الله؟ جنّة عرضها السموات والأرض؟»، قال:(**نعم**) ، قال :« بخٍ بخٍ[3]». فقال رسول الله -ﷺ- : (**ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ**) ، قال : « لا، والله! يا رسول الله! إلا رجاءَة أن أكون من أهلها » ، قال : (**فإنك من أهلها**) ، فأخـــرج تمـــيرات من قرنه،[4] فجعل يأكل منهن ، ثم قال : «لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة » ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل.[5]

وفي معركة اليرموك لما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ الناس أبو عبيدة-رضي الله عنه-، ودعـــاهم إلى الثـــبات والصـــبر ، كما خرج معاذ بن جبل -رضي الله عنه-إلى المسلمين فجعل يذكرهم ويدعوهم ، كمـــا وعظهم عمرو بن العاص-رضي الله عنه- ، وأبو هريرة -رضي الله عنه- وأبو سفيان -رضي الله عنه-.

---

(١) سورة الحج ، الآيات (٣٨ –٤٠).

(٢) عُمَير بن الحُمام بن الجَمُوح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، شهد بدراً وقاتل حتى قتله خالد بن الأعلم ، فكان أول قتيل قُتل في سبيل الله في الحرب . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة /(٤/ ٥٩٣ ، ٥٩٤).

(٣) بخٍ : كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء ، وتكرر للمبالغة في تعظيمه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر/(ص٦٤).

(٤) القرن : الجَعْبَة من جلد تشق ويجعل فيها النشاب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر/(ص٧٤٩).

(٥) أخـــرجه الإمـــام مسلم في كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، ح(١٤٥). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص ١٠١٨).

فــإذا قُضِيَ الأمر وانتهى القتال بنصر المسلمين فعلى الداعي إلى الله أن يتحدث عن نعمـة الله عـلى عباده بنصرهم على عدوهم ، وتمكينهم في الأرض ، وبضرورة القيام بواجبات التمكين ، حيث يقول –سبحانه–: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [1]

كما يدعو المسلمين إلى شُكر الله – سبحانه– على نعمه الظاهرة والباطنة ، وحمده والثناء عليه بما هو أهل له.

فــإن كانـت الأخرى ، وهُزم المسلمون ، فعلى الداعي إلى الله أن يعالج هذا الأمر بحكمـة وروية ، فيكشف للمسلمين جوانب القصور والخلل ، ويدعو إلى تدارك الأمر بصـدق الـلجوء إلى الله ؛ فإن النصر من عند الله ، وأن ما أصابهم من خذلان إنما هو بسبب ذنوبهم ، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، كما يحرص على بث روح الأمل والتفاؤل في نفوسهم بأن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

الثاني : دعوة الكفار:

الجهـاد في سـبيل الله يهـدف إلى دعوة الأمم الكافرة إلى الدخول في الإسلام ، بتوضـيح الغايـة التي خرج المجاهدون من ديارهم وأوطانهم لأجلها ، وبيان عظم هذا الدين ، وجزاء من آمن به ، وعاقبة من كفر به ، فدخولهم في الإسلام يكف دماءهم ، ويحفظ نساءهم وذراريهم ، وبه تتحقق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

وقد حَرِصَ المسلمون الأوائل على إرسال الرسل إلى رؤساء وقواد الجيوش الكافرة يدعونهم إلى دين الإسلام قبل أن يقاتلوهم.

ففـي معـركة القادسـية تعاقب الدعاة إلى الله على رستم قائد الفرس لدعوته إلى الدخول في الإسلام فجاءه ربعي بن عامر [2]– ﷺ – فكلمه رستم ، فقال : « ما جاء

---

(١) سورة الحج ، الآية (٤١).

(٢) ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو ، صحابي من أشراف العرب ، كان عمر –ﷺ– أمدَّ به المثنى بن حارثة ، له ذكر في غزوة نهاوند ، وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة/ (٣٧٨/٢).

بكم؟» ، فقال: « الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله – عز وجل–، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبله قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله – عز وجل–».

قال : «وما موعود الله؟ » ، قال: « الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي ». قال رستم : « قد سمعت مقالتكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر ، حتى ننظر فيه ، وتنظروا؟ » ، قال: « نعم، كما أحب إليكم أيوم أو يومان؟» ، قال لـــه: « لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا » ، وأراد مقاربته ومدافعته ، فقال: « إن مما بيَّن لنا رسول الله -ﷺ- ، وعمل به أئمتنا أن لا نمكِّن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجلهم عـــند الالـــتقاء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنك ثلاثاً ، فانظر في أمرك ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل : اختر الاسلام وندعك وأرضك ، أو الجزية فنقبل ونكف عـــنك ، فـــإن كنت عن نصرتنا غنياً تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع ، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ، أنا كفيل لـــك بذلـــك على جميع من ترى »، قال :« أسيدهم أنت؟ » ، قال : « لا ، ولكن المسلمين فيما بينهم كالجسد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم».[1]

فـــلما كـــان من الغد بعث الفرس أن ابعثوا إلينا ذلك الرجل- يريدون ربعي –، فبعـــث إليهم سعد بن أبي وقاص -ﷺ- حذيفة بن محصن -ﷺ-،[2] ولما سأله رستم عن سبب عدم مجيء ربعي وقد طلبوه ، فذكر أن أميرهم يحب أن يعدل بينهم في الشدة والرخاء ، وأن هذه نوبته ، وفي اليوم الثالث طلبوا رجلاً من المسلمين يكلمونه ، فبعث إليهم المغيرة بن شعبة[3] -ﷺ- ، فقال كما قال صاحباه.

(١) غـــزوات ابـــن حبيش/(٢/٥٢٩ ، ٥٣٠) ، للإمام عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن حبيش ، تحقيق الدكتور : سهيل زكار.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) المغـــيرة بـــن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ، أسلم قبل عمرة الحديبية ، وشهدها وبيعة الرضوان ، وشـــهد اليمامة وفتوح الشام والعراق ، حدَّث عن النبي -ﷺ- ، كان من دهاة العرب ، وكان يقال لـــه مغيرة الرأي ، توفي سنة خمسين . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة /(٦/١٥٦– ١٥٨).

كمـــا أرسل سعد بن أبي وقاص -ﷺ- جمعاً من الدعاة إلى رستم لدعوته ، رجاء إسلامه ، فسمعوا منه وسمع منهم ، إلا أنهم خرجوا من عنده عشياً وقد انتهى الأمر إلى القتال ، فقاتلهم المسلمون وانتصروا ، وقتل رستم.[1]

فعـــندما يرفض الكفار الدخول في الإسلام ، أو دفع الجزية ، يلزم المسلمون حينئذ قـــتالهم ، إعلاءً لكلمة الله – تعالى-، وضماناً لنشر الدعوة إلى الله ، بحيث لا يقف في طريقها عقبات تحول دون تحقيق الهدف الذي خرج المسلمون من ديارهم لأجله .

لهـــذا نجـــد المسلمين يحرصون على دعوة من كفر بالله حتى عندما يحتدم القتال ، وتلتحم الصفوف ، رجاء إنقاذهم من ظلمات الجهل والضلال.

ففـــي معركة اليرموك خرج جرجة[2]من بين الروم واستدعى خالد بن الوليد-ﷺ- فجـــاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجة : « يا خالد ، أخبرني فأصدقني ولا تكذبني ، فإن الحر لا يكذب ، ولا تخادعني ، فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمته؟ » ، قال : « لا! » ، قال :«فبم سميت سيف الله؟ » ، قال: « إن الله بعث فينا نبيه فدعانا ، فـــنفرنا مـــنه ، ونأينا عنه جميعاً ، ثم أن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنـــت فيمن كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ، فقال لي: (**أنـــت ســـيف مـــن سيوف الله ، سله الله على المشركين**)،[3] ودعا لي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين » ، فقال جرجه : « يا

(١) انظر: غزوات ابن حبيش /(٢/٥٣٠) وما بعدها.

(٢) جَرَجَة محركة بالفتح: اسم مقدَّم عسكر الروم يوم اليرموك ، أسلم يومها. انظر: القاموس المحيط/(ص١٨٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بنحو هذا اللفظ في كتاب فضائل أصحاب النبي -ﷺ- ، باب مناقب خالد بن الوليد -ﷺ-، ح(٣٧٥٧) ، عن أنس -ﷺ- أن النبي -ﷺ- نعى زيداً ، وجعفراً ، وابن رواحة للناس ، قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : (**أخذ الراية زيدٌ فأصيب ، ثم أخذ جعفرٌ فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصـــيب** —وعيناه تذرفان– **حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/(ص٣٠٦).

خالد إلى ما تدعون؟» ، قال: « إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله، والإقـــرار بما جاء به من عند الله — عز وجلّ- ». قال : « فمن لم يجبكم؟ » ، قال : « فالجزية ونمنعهم »، قال : « فإن لم يعطها » ، قال : « نؤذنه بالحرب ، ثم نقاتله »، قـــال : « فمـــا منـــزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ » ،قال : « منـــزلتنا واحـــدة فـــيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا »، فقال جرجة : « فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل مالكم من الأجر والذخر؟ » ، قال : « نعم ، وأفضـــل » ، قال: « وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟» ، فقال خالد : « إنا قبلنا هذا الأمـــر عنوة ، وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا ، تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تـــروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا » ، فقال جرجه : «بالله لقد صدقتني ولم تخادعني » ، قـــال : « تـــالله لقد صدقتك ، وإن الله ولي ما سألت عنه » ، فعند ذلك قلب جرجة الـــترس ، ومـــال مع خالد ، وقال : « علمني الإسلام » ، فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ما ء ، ثم صلى به ركعتين.[1]

كما أن الدعوة لا تتوقف عند انتهاء القتال بل تستمر دعوة من كفر بالله في ميدان الجهـــاد ، وذلك بدعوة أهالي البلاد المفتوحة للدخول في الإسلام ، والحرص على نشر الدين وتعليمه وتطبيقه بينهم.

وبهذا يتضح كيفية الدعوة إلى الله في ميدان الجهاد ، كما تتضح أبرز ميادين الدعوة إلى الله في سورة الحج.

---

(١) البداية والنهاية /(١٢/٧) ، لأبي الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، وانظر : تاريخ الرسل والملوك /(٣٩٨/٣) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، الكامل في التاريخ/(٢٥٧/٢) ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد أبي عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني – المعروف بابن الأثير–، تحقيق الدكتور : عمر بن عبدالسلام تدمري.

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله –تبارك وتعالى- حمداً يليق بعظمته ، وعظيم منِّه وكرمه ، أحمده وأشكره أن فـتح لي باباً عظيماً من العلم ، ويسر لي بإحسانه دراسة آياتٍ من كتابه الكريم ، وأصـلي وأسـلم على من بُعث رحمة للعالمين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه الهداة المهتدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن هذا البحث تركز على دراسة سورة الحج ، وتأملها ، واستنباط الفوائد الدعوية منها ، وقد خرجت الباحثة منه بعدد من النتائج والتوصيات ، وذلك كما يلي :

أولاً : أهم النتائج :

١- أن القـرآن الكريم جاء معجزاً شاملاً لأدق ما تحتاجه البشرية ، وكلما أطال المـرء التأمل في آياته وقف على جوانب جديدة ، وخرج باستنباطات وفوائد عظيمة.

٢- أن الدعـوة إلى الله لابـد أن ترتكز في منهجها على القرآن الكريم وسنة نبيه -ﷺ- ، فكلهما دعوة لله ، وأي دعوة لا تعتمد على كتاب الله ، وسنة نبيه -ﷺ- فهي جهد ضائع ، وطريق لا يوصل إلى الله.

٣- أن سورة الحج من السور التي ضمت مفردات رئيسة في الدعوة إلى الله ، وقد طرحت رؤية عظيمة في معالجة العديد من القضايا الدعوية ، ومن ذلك :

أ- جـاء موضوع الدعوة إلى الله في سورة الحج متوازناً بين موضوعات العقيدة الإسلامية بالدعوة إلى توحيد الله وعدم الإشراك به ، والإيمان باليوم الآخر ، وبـين موضـوعات الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى إقامة الصلاة ، وإيتاء الـزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحج بيت الله ، والجهاد في سبيله ، وبين موضوعات الأخلاق ، من الأمر بالأخلاق الفاضلة ، والتنفير من الأخلاق الدنيئة.

ب- أن مهمـــة الداعي إلى الله هي ذاتها مهمة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-؛ لهـــذا من المهم اتباع منهج الرسل في الدعوة إلى الله ، من أجل تحقيق الثمار المرجوة -بإذن الله-.

ج- أن الإعـــداد الدقيق للداعي إلى الله ، ومتانة صلته بالله ، واتصافه بالصفات الفاضلة يؤثر تأثيراً كبيراً في نجاح الدعوة.

د- من أصناف المدعوين إلى الله: المؤمنون ، واليهود ، والصابئون ، والنصارى، والمجوس ، والمشركون ، ومعرفة معتقداتهم وواقعهم يُعد من فقه الداعي إلى الله لواقعه.

هـ- تخـــتلف أحـــوال المدعويـــن إلى الله بحسب أحوال قلوبهم ، فصلاح القلب ومرضه وفساده يؤثر كثيراً في قبول المدعو للدعوة إلى الله أو رفضها.

و- إن وســـيلة تبليغ الدعوة إلى الله بالقول هي الوسيلة الرئيسة للرسل -عليهم الصلاة والسلام- ، كما أنها من الوسائل التي لا تحتاج إلى تكلف واضح ، أو اســـتعداد خاص ، وتبليغ الدعوة إلى الله بالعمل يُعد من الوسائل المهمة الـــتي تحقـــق العديد من الأهداف ، وتكون بفعل المعروف وإزالة المنكر ، وبالجهاد في سبيل الله ، وما إلى ذلك.

ز- إن مـــن أبرز الأساليب الدعوية التي تضمنتها سورة الحج أسلوب النداء ، وأسلوب الاستفهام ، وأسلوب الترغيب والترهيب ، وأسلوب ضرب المثل ، وقد جاءت الآيات القرآنية تتضمن أسلوبين أو ثلاثة منها في آية واحدة.

ح- من الميادين الرئيسة في الدعوة إلى الله ميدان المسجد ، وميدان الحج ، وهما مـــن الميادين الدعوية الخصبة ، وكذلك ميدان الجهاد ، والذي يُعد وسيلة لتبليغ الدعوة إلى الله بالعمل إلى جانب كونه ميداناً من ميادين الدعوة.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي نفسي وطلبة العلم بتقوى الله ومراقبته في السر والعلن ، وبالحرص على

تزكية العلم بالعمل به ، ونشره ، ودعوة الناس إلى الله.

٢- ينبغي للدعاة إلى الله أن يجتهدوا في أخذ منهج الدعوة إلى الله من كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ-، فهما الأصل الشرعي لهذه المهمة الجليلة ، وقد اشتملا على تفصيلات دقيقة لموضوعات عدة من مواضيع الدعوة ، كما جاءت معالجتهما للقضايا الدعوية صالحة لكل زمان ومكان.

٣- أن تقام برامج تدريبية للدعاة إلى الله لتدريبهم على الاستنباط الدعوي من القرآن الكريم والسنة النبوية ، فإن هذا يعطي الداعي إلى الله منهجاً ثابتاً في الدعوة إلى الله.

٤- تدريس مادتي الدعوة إلى الله في القرآن الكريم ، والدعوة إلى الله في السنة النبوية في المرحلة الجامعية لطلبة قسم الدعوة والاحتساب ، وألا يقتصر ذلك على مرحلة الماجستير ، إذ فيهما غُنية عظيمة عن الكثير من المواد الدعوية الأخرى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

وتشتمل على :

1- فهرس الآيات القرآنية.
2- فهرس الأحاديث النبوية.
3- فهرس الآثار.
4- فهرس الأعلام.
5- فهرس المواقع والبلدان.
6- فهرس الفِرَق والطوائف.
7- فهرس المصادر والمراجع.
8- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ... ﴾	٦٢	١٧٥
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ... ﴾	١١٦	١٨٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ... ﴾.	١٥٩	١٧٣
﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ... ﴾	١٩٠	٩٠
﴿ ...وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	١٩٥	١٢٧
﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ... ﴾	١٩٦	٢٧١
﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ ... ﴾	٢٠١	٥٦
﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ ... ﴾	٢١٦	٩٠
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ... ﴾	٢٦١	١٥٠
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ ... ﴾	٢٦٢	١٥٠
﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ... ﴾	٢٦٨	١٤٩
﴿ ..لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ.. ﴾	٢٨٦	١٦٢

سورة آل عمران

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ.. ﴾	١٩	٣١

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾	٣٣	١٥٩

سورة يوسف

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ.. ﴾	١٠٨	٣

سورة إبراهيم

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ...كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ...﴾	١	٨
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾	٤	٢١٠ ـ ٢١٢
﴿...وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾	٣٥	١٩١

سورة الحجر

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٧

سورة النحل

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ...﴾	١١٦	٢١١
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ...﴾	١٢٥	١٥٦ ـ ١٥٩ ـ ٢١١

سورة الإسراء

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ.. ﴾	٥٧	٣٥

سورة الكهف

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...وَيُجَادِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ...﴾	٥٦	١٥٦

سورة مريم

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ...﴾	٥٤	٦٢
﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ...﴾	٥٥	٦٢

سورة طه

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	٤٤	٢١٢

سورة الأنبياء

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ...﴾	٤٧	٥٤
﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾	٧٣	٦٢
﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾	٩٧	٨٨

سورة الحج

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ ..﴾	١	٢٧- ١٣٢- ٢٢١- ٢٤٧- ٢٥١
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ...﴾	٢	٢٧- ٢٢١- ٢٤٧- ٢٥١
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾	٣	١٠٩- ١٥٧- ٢٤٨

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ...﴾	٤	١٠٩- ١٥٧- ٢٤٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ..﴾	٥	٥٢- ٢٢٣- ٢٥٣
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾	٦	٢٢٣- ٢٥٤
﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا..﴾	٧	٥١- ٢٢٤- ٢٥٤
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى...﴾	٨	١١٠- ١٥٨- ٢٤٨
﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ...﴾	٩	١١٠- ١٥٨- ٢٤٨
﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	١٠	٥٣
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ...﴾	١١	١٩٩- ٢٥٤
﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ...﴾	١٢	٤٧- ١٩٢
﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ...﴾	١٣	٤٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ..﴾	١٤	١٦٤- ٢٤٣
﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ...﴾	١٥	١٢٠- ٢٢٨- ٢٣٦
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾	١٦	١٠٩- ١٢١- ٢٠٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ...﴾	١٧	٥٣- ١٦١- ١٧٥
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ..﴾	١٨	٢٩- ١٣٨- ٢٢٨- ٢٢٩
﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي..﴾	١٩	٢٣- ٥٥- ١٩٣- ٢٤٦
﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾	٢٠	٢٣- ٥٥- ١٩٣- ٢٤٦
﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾	٢١	٢٣- ٥٥- ١٩٣- ٢٤٦

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا...﴾	٢٢	٢٣- ٥٥- ١٩٣- ٢٤٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ...﴾	٢٣	٥٥- ١٦٤- ٢٤٤
﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ..﴾	٢٤	١٦٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ...﴾	٢٥	١٣٦- ٢٤٨- ٢٦٨
﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا...﴾	٢٦	١٦٣- ٢٥٨- ٢٦٠
﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا ...﴾	٢٧	٥٧- ٨٠- ٨٣
﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ...﴾	٢٨	٨٢- ٩٧- ٢٦٨
﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ ...﴾	٢٩	٨٢
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ...﴾	٣٠	٢٨- ٤٦- ١٣٥- ١٣٨- ١٥٣- ١٥٤- ١٦٥- ٢٤٥
﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ...﴾	٣١	٤٩- ١٦٣-١٩٥
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ... ﴾	٣٢	١٣٢- ١٦٥
﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾	٣٣	٨٢
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم...﴾	٣٤	٤٥- ٦٢- ٩٧- ١١٧- ١٤٠- ١٤٢- ١٤٧- ٢٠٥- ٢٤٥
﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ ..﴾	٣٥	٦٢- ١٤٠- ١٤٢- ١٤٥- ١٤٧- ١٥١- ٢٠٥- ٢٤٥
﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن...﴾	٣٦	٩٦
﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ...﴾	٣٧	١٢٧- ٢٤٥
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ ...﴾	٣٨	١٠٤- ١١٩- ١٦٦- ٢٤٤- ٢٧٤

الآية	رقمها	الصفحات
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟... ﴾	٣٩	٥٧- ٥٨- ٨٦- ٨٩- ١٦٦- ٢٤٤- ٢٧٥
﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ... ﴾	٤٠	٥٨- ٦١- ١٢٠- ١٦٦- ٢٤٤- ٢٦٠- ٢٧٥
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ... ﴾	٤١	٥٧- ٥٨- ٦٤- ٦٧- ٧٣- ١١٤- ١٢٠- ٢١٥- ٢٧٦
﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾	٤٢	١١١- ١٩٤- ٢٣٨- ٢٤٧
﴿ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾	٤٣	١١١- ١٩٤- ٢٣٨- ٢٤٧
﴿ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ... ﴾	٤٤	١١١- ١٩٤- ٢٢٨- ٢٣٨- ٢٤٧
﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ... ﴾	٤٥	١٩٤- ٢٣٨- ٢٤٧
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ... ﴾	٤٦	١٩٥- ٢٠٣- ٢٢٨- ٢٣٨- ٢٣٩- ٢٤٨
﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ... ﴾	٤٧	٥٣- ١٩٤- ٢٣٩- ٢٤٨
﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ... ﴾	٤٨	١٩٤- ٢٣٩- ٢٤٨
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	٤٩	١٠٩- ١١٤- ٢١٠- ٢٢٥
﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾	٥٠	١٦٤- ٢٤٤
﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾	٥١	٥٥- ٢٤٧
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ... ﴾	٥٢	٢٣- ١٩٦
﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ... ﴾	٥٣	٢٣- ١٩٥- ١٩٦- ١٩٩- ٢٠٢
﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ... ﴾	٥٤	٢٣- ١٠٧- ١٦٥- ١٩٦- ٢٠٥- ٢٠٦- ٢٠٧

سورة المؤمنون

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ..﴾	٤٥	١٤٧

سورة لقمان

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ ...﴾	١٢	٩٦

سورة الأحزاب

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٧٠	٢
﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ..﴾	٧١	٢
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا...﴾	٧٢	١٠٥

سورة فاطر

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ...﴾	٣٢	١٦٤

سورة فصلت

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ...تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	١٢١

سورة الشورى

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾	٤٣	١٠٢

سورة الأحقاف

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾	٣٥	١٤٦

سورة الفتح

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ...﴾	٢٦	١٣١

سورة النجم

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾	١٩	١٩٦
﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾	٢٠	١٩٦

سورة الصف

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾	٢	٢١١
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٣	٢١١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ ...﴾	١٠	٩٠
﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾	١١	٩٠
﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ ...﴾	١٢	٩٠
﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ...﴾	١٣	٩١
﴿...قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ...﴾	١٤	١٨٠

سورة الطلاق

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾	٢	٢١٣- ٢٢١
﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...﴾	٣	٢١٣

سورة الملك

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿...مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ...﴾	٣	١٢٧
﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ...﴾	٤	١٢٧

سورة نوح

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ...﴾	٢٣	١٩٢

سورة القيامة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾	٥	١٥٧
﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	٦	١٥٧

سورة البينة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ...﴾	٥	٦٨

سورة المسد

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	١	٢٢٦

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس المواقع والبلدان

فهرس الفِرَق والطوائف

فهرس المصادر و المراجع

(أ)

١- **أبكار الأفكار في أصول الدين** / للإمام أبي الحسن علي بن محمد الملقب بسيف الدين الآمدي ، تحقيق: أ.د.أحمد بن محمد المهدي ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ،(د:ط).

٢- **الإتقان في علوم القرآن** / الإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م .

٣- **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**/للحافظ أبي الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري ، الشهير بابن دقيق العيد ، تحقيق : أحمد بن محمد شاكر ، مكتبة السُّنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

٤- **أحكام القرآن** / أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د: ط ، ت).

٥- **أحكام القرآن** / أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ.

٦- **إحياء علوم الدين**/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تصحيح وتقديم : عبدالمعطي أمين قلعجي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.

٧- **الأخلاق الإسلامية وأسسها** / أ.د.عبدالرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٠هـ .

٨- **أدب الدنيا والدين** / أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، تحقيق : ياسين محمد السواس ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .

٩- **الأديان المعاصرة** / راشد عبدالله الفرحان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ ، (د: د ، م).

١٠- **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد** / لمعالي الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ .

١١- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** / أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار المصحف، القاهرة ، (د : ط ، ت).

١٢- **أسس الدعوة وآداب الدعاة** / محمد السيد الوكيل ، دار المجتمع ، جدة ، دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ .

١٣- **أسس في الدعوة ووسائل نشرها** / محمد عبد القادر أبو فارس ، دار الفرقان، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.

١٤- **الأسفار المقدسة قبل الإسلام**/ د.صابر طعيمة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأول ، ١٤٠٦هـ.

١٥- **الإسلام يتحدى** / وحيد الدين خان ، تعريب : ظفر الإسلام خان ، مراجعة وتحقيق : د. عبدالصبور شاهين ، دار البحوث العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠هـ، (د.م).

١٦- **الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)** / أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، (د: ت).

١٧- **الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية)**/د. سعد مصلوح ، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ..

١٨- **الأسلوب**/د. محمد بن كامل بن أحمد بن جمعة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣م .

١٩- **أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم(غرضه ، إعرابه)**/ عبدالكريم بن محمود يوسف، مكتبة الغزالي ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ.

٢٠- **الإصابة في تمييز الصحابة** / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ.

٢١- **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**/ عبدالرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ.

٢٢- **الأصول الثلاثة وأدلتها** / شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، علّق عليه وصحح أصوله : محمد ابن منير الدمشقي ، دار القاسم ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ .

٢٣- **أصول الدعوة** / د.عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ .

٢٤- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** / محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، عالم الكتب ، بيروت ، (د: ط، ت) .

٢٥- **الأعلام** / خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠م .

٢٦- **إعلام الساجد بأحكام المساجد** / الإمام بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي ، قدّم له ، واعتنى به : أيمن بن صالح شعبان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ.

٢٧- **أعلام الموقعين عن رب العالمين**/ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيّم الجوزية ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ.

٢٨- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**/ للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيِّم الجوزية، المكتبة الثقافية، بيروت،(د :ط،ت).

٢٩- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** /شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار المسلم ، الرياض ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٥هـ.

٣٠- **أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع**/ أ.د.عبدالرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ.

٣١- **الأمثال في القرآن الكريم**/د. محمد بن جابر الفياض ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ.

٣٢- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه)**/ د. خالد بن عثمان السبت ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .

٣٣- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة** / د.عبدالعزيز بن أحمد المسعود ، دار الكلمة الطيبة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ ، (د : م).

٣٤- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** / أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ، (د : د ، م).

٣٥- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** / أبو بكر جابر الجزائري ، راسم للدعاية والإعلان ، جدة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٢هـ.

(ب)

٣٦- **البحث العلمي**/أ .د.عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ ، (د: د ، م).

٣٧- **البحر المحيط** / الإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .

٣٨- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** / الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .

٣٩- **البداية والنهاية**/ لأبي الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، بيروت ، ١٣٩٨هـ، (د:ط).

٤٠- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** / للعلاّمة محمد بن علي الشوكاني ، وضع حواشيه: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

٤١- **بصـــائر ذوي التميـــيز في لطائف الكتاب العزيز/** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقـــيق : محمـــد علي النجار، عبدالعليم الطحاوى ، دار الباز ، مكة المكرمة ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د: ط ، ت).

٤٢- **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب/** للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي ، عناية وضبط وتصحيح : محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (د : ت).

(ت)

٤٣- **تـــاج العروس من جواهر القاموس /** محمد مرتضى الزبيدي ، المطبعة الخيرية ، الطبعة الأولى ، (د : م ، ت).

٤٤- **تاريخ الرسل والملوك/** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٢م.

٤٥- **تاريخ الصابئة المندائين /** محمد بن عمر حمادة، دار قتيبة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ.

٤٦- **تـــاريخ فـــتوح الشام/** محمد بن عبدالله الأزدي ، تحقيق : عبدالمنعم بن عبدالله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، (د:ط،ت،م).

٤٧- **التبيان في أقسام القرآن /** شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيِّم الجوزية، تقديم وتحقيق وتعليق : محمد شريف سُكر ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ.

٤٨- **التحرير والتنوير /** محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م ، (د : ط).

٤٩- **تذكرة الدعاة /** البهيّ الخولى ، دار البشير للثقافة والعلوم ، طنطا ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م.

٥٠- **الترهيـــب في الدعـــوة في القرآن والسنة/** د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز، دار أشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.

٥١- **التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي/** للشيخ عبدالقادر عودة، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ، (د:ط).

٥٢- **التعريفات /** علي بن محمد الشريف الجرجاني، ضبط وفهرسة : محمد عبدالحكيم القاضي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، الطبعة الأولى ، (د : ت).

٥٣- **تفســـير القـــرآن /** أبو المظفر السمعاني، تحقيق: أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

٥٤- **تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)**/ محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (د : ت).

٥٥- **تفسير القرآن العظيم** / للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، راجعه ونقحه الشيخ : خالد ابن محمد محرم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، ١٤٢٢ هـ ، (د : ط) .

٥٦- **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله -ﷺ- والصحابة والتابعين**/ للإمام الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ هـ.

٥٧- **التفسير الكبير**/ للإمام العلاّمة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

٥٨- **تفسير النَّسَفي(المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**/ لأبي البركات عبدالله بن أحمد ابن محمود النسفي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د: ط، ت) .

٥٩- **التفسير الواضح**/ محمد محمود حجازي ، دار التفسير ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٠هـ.

٦٠- **تلبيس إبليس** / للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د:ط،ت).

٦١- **التلمود تاريخه وتعاليمه**/ ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ.

٦٢- **تهذيب التهذيب**/للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني الشافعي ، عناية: إبراهيم الزيبق ، عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢١هـ.

٦٣- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**/للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة ، (د:ط،ت).

٦٤- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان** / للإمام العلاّمة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢هـ .

(ث)

٦٥- **ثقافة الداعية** / يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

(ج)

٦٦- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق: د. عبدالله ابن عبدالمحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٧- **جامع العلوم والحكم** /للإمام الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشـــهير بابن رجب ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، إبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٤١٩هـ.

٦٨- **الجـــامع لأحكام القرآن** / أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٩- **الجهـــاد في سبيل الله حقيقته وغايته** / د.عبدالله بن أحمد القادري ، دار المنارة، جدة ، الطبعة الثانية ،١٤١٣هـ.

٧٠- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**/ لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق وتعليق : د.علي بن حسن بن ناصر ، د. عبدالعزيز بن ابراهيم العسكر ، د. حمدان بن محمد الحمدان ، دار العاصمة، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ.

٧١- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**/ للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قـــيِّم الجوزيـــة ، تحقيق : أبي حذيفة عبيد الله بن عالية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٤٢١هـ.

(ح)

٧٢- **الحج** / د.عبدالله بن محمد الطيار ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦هـ .

٧٣- **الحـــج والحجاج أمواج وأثباج** /د.زيد بن محمد الرماني ، دار طويق للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ.

٧٤- **الحســـبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها** / د. فضل الهي ، مكتبة المعارف ، مؤسسة الجريسي ، الرياض ، الطبعة السادسة ، ١٤١٧هـ .

٧٥- **الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية** / للإمام العلاّمة تقي الدين أحمد عبدالحليم ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٧٦- **الحســـنة والســـيئة** / شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق وتقديم : د. محمد بن جميل غازي ، مكتبة المدني ، جدة ، (د: ط، ت) .

٧٧- **حقيقة الحج**/ وحيد الدين خان ، ترجمة: ظفر الإسلام خان ، دار الصحوة للنشر ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، (د : م).

(خ)

٧٨- **الخطابـة وإعـداد الخطيـب**/ د. توفيق الواعي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

٧٩- **خطـبة الحاجة التي كان رسول الله -ﷺ- يعلمها أصحابه**/ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ.

٨٠- **خلـق الإنسان بين الطب والقرآن** / د. محمد بن علي البار ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة، الطبعة السادسة ، ١٤٠٦هـ.

(د)

٨١- **دائرة المعارف الإسلامية**/إعداد : مجموعة من المستشرقين ، ترجمة: أحمد الشنتناوي ، وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت ، (د:ط،ت).

٨٢- **الداعي إلى الإسلام**/ كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري النحوي ، تحقيق : سيد حسين باغجوان ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ.

٨٣- **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند** / د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ.

٨٤- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**/للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ، الشهير بابن حجر العسقلاني ، تصحيح : د.سالم الكرنكوي ، دار الجيل ، بيروت ، (د : ط ، ت).

٨٥- **الدعوة إلى الله (الرسالة، الوسيلة، الهدف)**/ د. توفيق الواعي ، دار اليقين ، المنصورة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ.

٨٦- **الدعـوة إلى الله خصائصـها ومقوماتها ومناهجها**/ د.أبو المجد السيد نوفل ، مكتبة الحضارة العربية، الفجالة ، النصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ .

٨٧- **الدعـوة إلى الله وأخلاق الدعاة** / لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله ابن باز ، رئاسة إدارة البحوث والإفتاء ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ.

٨٨- **الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)** / د.أحمد أحمد غلوش ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ .

٨٩- **الدعـوة الإسلامية دعوة عالمية** / محمد الراوي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .

٩٠- **الدعـوة قواعـد وأصـول** / جمعة بن أمين عبدالعزيز ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، الطبعة

الخامسة ، ١٤٢١هـــ .

٩١- **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين** / محمد علاّن الصديقي الشافعي الأشعري المكي، مكتبة الرياض الحديثة ، دار الفكر ، بيروت ، (د:ط، ت).

(ذ)

٩٢- **الذريعـــة إلى مكـــارم الشـــريعة** / أبـــو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق :د. أبو اليزيد العجمي ، دار الصحوة ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـــ .

(ر)

٩٣- **الـــرد عـــلى المنطقـــيين/** شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، معارف لاهور ، باكستان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧م.

٩٤- **روح المعـــاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني/** لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي، تحقيق: محمد بن أحمد الأمد، عمر بن عبدالسلام السّلامي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـــ.

٩٥- **الـــروض المـــربع شـــرح زاد المستقنع** / الإمام منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، مطبعة السعادة ، ١٣٩٠هـــ ، (د : م).

٩٦- **روضـــة العقلاء ونزهة الفضلاء** / الإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبَّان البستي، تحقيق : محمد بـــن محـــي الدين عبدالحميد ، محمد بن عبدالرازق حمزة ، محمد بن حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د : ط ، ت) .

(ز)

٩٧- **زاد المعاد في هدي خير العباد** / أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـــ .

٩٨- **الزكاة وتطبيقاها المعاصرة** / أ.د.عبدالله بن محمد الطيار ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـــ .

(س)

٩٩- **سلسلة مدرسة الدعاة/** عبدالله ناصح علوان، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

١٠٠- **ســـنن أبي داود** / أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه العلاّمة المحدِّث : محمد بن ناصر الدين الألباني ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض، الطبعة الأولى ، (د: ت).

١٠١- **ســـنن ابـــن ماجه** / أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه ، حكم على أحاديثه وآثـــاره وعلّق عليه العلاّمة المحدِّث : محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض، الطبعة الأولى ، (د: ت).

١٠٢- **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)** / الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، حكم عـــلى أحاديثه وآثاره وعلّق عليه العلاّمة المحدِّث : محمد بن ناصر الدين الألباني ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (د: ت).

١٠٣- **سنن النسائي** / أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي ، وعليها أحكام المحدِّث الشـــيخ : محمـــد بن ناصر الدين الألباني ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى، (د: ت).

١٠٤- **ســـير أعـــلام النبلاء**/ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤١٩هـــ.

١٠٥- **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة تحليلية)**/ د.مهدي رزق الله أحمد ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـــ.

(ش)

١٠٦- **شـــذرات الذهـــب في أخبار من ذهب** / لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د : ط ، ت).

١٠٧- **الشرائع السابقة ومدى حجيتها في الشريعة الإسلامية** / د.عبد الرحمن بن عبد الله الدرويش ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـــ ، (د : د ، م).

١٠٨- **شرح الزركشي على مختصر الخرقي في الفقة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل** / الشيخ شمس الديـــن محمد بن عبدالله الزركشي الحنبلي ، تحقيق وتخريج فضيلة الشيخ : عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـــ .

١٠٩- **الشـــرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك** / العلاّمة أبي البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، خرَّج أحاديثه وفهرسه : د. مصطفى بن كمال وصفي ، دار المعارف ، القاهرة ، (د : ط ، ت) .

١١٠- **شـــرح العقيدة الطحاوية** / علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـــ .

١١١- **شــرح العقــيدة الواســطية** / فضــيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١١٢- **الشرح الممتع على زاد المستقنع** / فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، اعتنى به : د. سليمان بن عبدالله بن حمود أبا الخيل ، د. خالد بن علي بن محمد المشيقح ، مؤسسة آسام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ .

١١٣- **شرح ثلاثة الأصول** / فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد : فهد بن ناصر السليمان ، دار الثريا للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ .

١١٤- **شــرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة** / فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد : فهد بن ناصر السليمان ، دار الثريا ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ.

١١٥- **شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية** / أبو الأعلى المودودي ، ترجمة الدكتور: سمير ابن عبدالحمــيد ابراهــيم ، مراجعة الدكتور : عبدالحليم بن عويس بن ابراهيم يونس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١١٦- **الشــفاء بــتعريف حقوق المصطفى -ﷺ-** / للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ، تحقــيق: محمــد أمــين قرة علي ، وآخرون ، مكتب الفارابي، دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق، (د:ط،ت).

(ص)

١١٧- **الصابئة المندائيون** /سليم برنجي، ترجمة: جابر أحمد، دار الكنوز الأدبية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.

١١٨- **الصــابئون في حاضرهم وماضيهم**/ للسيد عبدالرزاق الحسني ، مطبعة العرفان، صيدا ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٠هـ.

١١٩- **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)** / إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ.

١٢٠- **صــفات الداعــية الناجح** / صالح بن محمد العليوي ، دار القاسم ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ .

١٢١- **الصــلاة** / أ.د.عبدالله بن محمد الطيار ، طباعة ونشر الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٨هـ ، (د: م ، ط).

(ض)

١٢٢- **ضـــرب الأمثال في القرآن (أهدافه التربوية وآثاره)/** عبدالمجيد البيانوني، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ.

١٢٣- **الضـــوء المنير على التفسير/** جمعه: علي محمد المحمد الصالحي، من كتب الإمام شمس الدين أبي عـــبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيِّم الجوزية ، نشر: مؤسسة النور ، مكتبة دار السلام ، (د : م،ط،ت).

(ط)

١٢٤- **طـــبقات المفسرين /** للإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦هـ.

(ع)

١٢٥- **عـــدة الصابرين وذخيرة الشاكرين /** للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي الشـــهير بـــابن قـــيِّم الجوزية ، تحقيق: محمد بن عبدالمالك الزغبي ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الأولى، (د:ت).

١٢٦- **العقـــد الفريد/** أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ.

١٢٧- **عقـــيدة أهـــل السنة والجماعة /** محمد بن إبراهيم الحمد، تقديم سماحة الشيخ : عبد العزيز ابن عبدالله بن باز ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٢٨- **عقيدة أهل السنة والجماعة/** فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، مطابع القصيم ، الرياض ، ١٤٠٦هـ، (د:ط).

١٢٩- **العقـــيدة الإسلامية /** د. مصطفى بن سعيد الخن ، محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .

١٣٠- **عقيدة المؤمن /** أبو بكر جابر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٩هـ.

١٣١- **عقيدة المسلم وما يتصل بها /** عبد الحميد السائح ، مطابع وزارة الشؤون والمقدسات الإسلامية، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ .

١٣٢- **العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية /** د.سعدالدين السيد صالح ، مكتبة الصحابة ، جدة ، مكتبة التابعين ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ.

١٣٣- **عــلماء نجد خلال ثمانية قرون**/ للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسَّام ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ.

(غ)

١٣٤- **غــزوات ابــن حبــيش**/ الإمام عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن حبيش ، تحقيق الدكتور: سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.

(ف)

١٣٥- **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري** / الإمام الحافظ : أحمد ابــن علي بن حجر العسقلاني ، تقديم وتحقيق وتعليق : عبدالقادر شيبة الحمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ ، (د : د ، م).

١٣٦- **فــتح البــيان في مقاصــد القرآن** / أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي الــبخاري ، مــراجعة : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ١٤١٠هـ.

١٣٧- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تعليق : سعيد محمد اللحام، المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة ، (د:ط ، ت).

١٣٨- **الفروع** / أبو عبدالله محمد بن مفلح ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤ هـ .

١٣٩- **فريضة الزكاة** / عبدالرزاق نوفل ، مكتبة الوعي العربي ، الفجالة ، الطبعة الأولى ، (د : ت).

١٤٠- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** / للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ، تحقــيق : د. محمــد بــن ابراهيم نصر ، د. عبدالرحمن عميره، مكتبات عكاظ ، جدة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ .

١٤١- **فقــه الإيمــان عــلى منهج السلف الصالح** / د. وميض بن رمزي بن صديق العمري ، تقديم ومــراجعة : أ.د. عمر بن سليمان بن عبدالله الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

١٤٢- **فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** / أ.د.عبدالرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ.

١٤٣- **فقــه الدعــوة والإعــلام** / د. عمارة نجيب ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ، (د : م،ط،ت) .

١٤٤- **فقه الزكاة** / د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ.

١٤٥- **فقه الصلاة وأحكامها** / الإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تهذيب وضبط وتعليق : السيد الجميلي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

١٤٦- **فن الخطابة وإعداد الخطيب** / للشيخ علي بن محفوظ ، دار الاعتصام ، (د:م ط ، ت).

١٤٧- **فـــن نشر الدعوة مكاناً وزماناً**/ د. محمد زين الهادي العرمابي ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ.

١٤٨- **الفهرســـت** / محمـــد بن اسحاق الورّاق البغدادي المعروف بابن النديم ، دار المعرفة ، بيروت ، (د:ط،ت).

١٤٩- **الفوائـــد** / شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ، (د: ط) .

١٥٠- **في ظلال القرآن** / سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ .

(ق)

١٥١- **القاموس الفقهي** / سعدي أبو جيب ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ .

١٥٢- **القـــاموس المحـــيط** / محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤١٩هـ.

١٥٣- **القـــول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** / للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي ، مكتبة دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.

(ك)

١٥٤- **الكامل في التاريخ**/ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن أبي عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ، المعروف – بابن الأثير – ، تحقيق الدكتور: عمر بن عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ.

١٥٥- **الكـــبائر** / الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : مشهور بن حسن ابن محمود بن سلمان ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .

١٥٦- **الكـــتاب المصـــنف في الأحاديث والآثار**/ للإمام الحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكـــوفي العبســـي ، ضبطه وصححه : محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ.

١٥٧- **الكشـــاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** / أبو محمد القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة ، بيروت ، (د : ط،ت).

١٥٨- **كشـف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر** / شمس الدين محمد بن علي بن العماد ، تحقـيق : د. فؤاد بن عبدالمنعم أحمد ، تقديم ومراجعة : د. محمد بن سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د: ط، ت) .

(ل)

١٥٩- **لـباب الـتأويل في معـاني التنـزيل**/علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، دار المعرفة ، بيروت ، (د: ط ، ت).

١٦٠- **لسان العرب** / أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ.

(م)

١٦١- **مباحـث في علـوم القرآن** / منّاع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ.

١٦٢- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**/ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق : عبدالله محمد الدرويش ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ.

١٦٣- **مجمـوع فـتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** / جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وسـاعده ابـنه : محمـد، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة النبوية ، إشـراف: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، بالمملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ ، (د : ط).

١٦٤- **المحاور الخمسة للقرآن الكريم** / محمد الغزالي ، دار الصحوة ، القاهرة ، دار الوفاء ، المنصورة، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ .

١٦٥- **المحبّر** / لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي ، رواية: أبي سعيد الحسن بـن الحسين السكري ، تصحيح وعناية : د. إيلزة ليختن شتيتر ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، (د: ط،ت).

١٦٦- **المحـلى بالآثار** / أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق : د.عبدالغفار ابن سلمان البنداري ، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د : ط،ت).

١٦٧- **مختصـر مـنهاج القاصـدين** / الإمام أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، (د:ت).

١٦٨- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** / لأبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية ، تحقيق : عبدالعزيز بن ناصر الجليل ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ.

١٦٩- **المدخل إلى علم الدعوة** / د. محمد أبو الفتح البيانوني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ .

١٧٠- **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم** /د.محمد بن علي البار ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.

١٧١- **مرشد الدعاة** / محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ.

١٧٢- **المستدرك على الصحيحين** / للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد الحاكم النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ.

١٧٣- **المسيحية** / د. أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٤م.

١٧٤- **مشاهد القيامة في القرآن**/سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤١٣هـ.

١٧٥- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/** أحمد بن محمد المقرئ الفيومي ، نوبليس ، (د : م،ط،ت).

١٧٦- **معالم التنزيل** / أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، تحقيق : خالد عبدالرحمن العك، مروان سوار، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ.

١٧٧- **معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم/** د. عبدالوهاب بن لطف الديلمي، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ.

١٧٨- **معالم القرآن في عوالم الأكوان/** أحمد محي الدين العجوز ، مؤسسة دار الندوة الحديثة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، (د: ط).

١٧٩- **معالم في منهج الدعوة/** د. صالح بن عبدالله بن حميد ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.

١٨٠- **معجم البلدان** / للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥هـ.

١٨١- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها** / د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٤٠٣هـ ، (د : ط).

١٨٢- **معجم المؤلفين** / عمر رضا كحالة ، عناية : مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ.

١٨٣- **المعجـــم الوســـيط** / ابراهيم مصطفى وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، استنبول ، تركيا ، الطبعة الثانية، (د : ت).

١٨٤- **معجم مقاييس اللغة** / أبو حسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، (د : ط،ت).

١٨٥- **المغني** / أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، تحقيق : د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، د.عبدالفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ

١٨٦- **مفـــتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** /للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيِّم الجوزية ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض، (د : ط،ت).

١٨٧- **مفردات ألفاظ القرآن** / للعلاَّمة أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، دار التراث ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.

١٨٨- **المقصـــد الأســـنى في شـــرح معاني أسماء الله الحسنى** / لأبي حامد محمد الغزالي ، عناية : بسام عـــبدالوهاب الجابي ، نشر: نور محمد – أصح المطابع – آرامر باغ –كارخانة تجارت كتب – كراجي – (د : ط،ت).

١٨٩- **الملل والنحل**/ للإمام أبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده ، مصر ، ١٣٩٦هـ ، (د : ط).

١٩٠- **من بلاغة القرآن (المعاني ، البيان ، البديع)**/ د. محمد بن شعبان علوان ، د. نعمان بن شعبان علوان ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م.

١٩١- **من فقه الدعوة**/ مصطفى مشهور ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٤١٦هـ ، (د : ط).

١٩٢- **مناهج البحث** / غازي حسين عناية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د : ط،ت).

١٩٣- **مـــناهج البحـــث العلمي** / عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧م .

١٩٤- **مناهج البحث وكتابتها** /يوسف مصطفى القاضي ، دار المريخ، الرياض ، ١٤٠٤هـ.

١٩٥- **مناهل العرفان في علوم القرآن** / محمد عبدالعظيم الزرقاني ، ترتيب وتخريج : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .

١٩٦- **منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان**/ د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ، (د : د).

١٩٧- **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**/ ناصر بن عبدالله القفاري ، ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار الصميعي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ.

١٩٨- **موسوعة الحديث الشريف** / إشراف فضيلة الشيخ : صالح آل الشيخ ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١ هـ .

١٩٩- **الموسوعة العربية الميسرة** / إشراف : محمد شفيق غربال ، دار الشعب ، القاهرة ، (د:ط،ت).

٢٠٠- **موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية** / الباحث الرئيس ورئيس الفريق العلمي: أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك، دار رواح للنشر والتوزيع ،(د: ط، ت) .

٢٠١- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**/ إشراف وتخطيط ومراجعة : د.مانع بن حمَّاد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة النشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ.

٢٠٢- **الميزان في مقارنة الأديان**/ محمد عزت الطهطاوي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ.

(ن)

٢٠٣- **النداء في اللغة والقرآن**/د. أحمد بن محمد فارس، دار الفكر اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ

٢٠٤- **نسب قريش** / لأبي عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري ، عناية وتصحيح وتعليق: أ. ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، (د : ت).

٢٠٥- **النهاية في غريب الحديث والأثر** / الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري- ابن الأثير-، اشراف وتقديم :علي بن حسين بن علي بن عبدالحميد الحلبي الأثري ، دار ابن الجوزي، الدمام ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ.

(هـ)

٢٠٦- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**/ للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيِّم الجوزية، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: مصطفى أبو النصر الشلبي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة الثانية ،١٤١٠هـ..

٢٠٧- **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة**/ علي بن محفوظ ، دار الاعتصام ، الطبعة التاسعة ، ١٣٩٩هـ، (د : م).

(و)

٢٠٨- **وجاء دور المجوس/** عبدالله بن محمد الغريب ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٨هـ، (د : د ، م).

٢٠٩- **وسائل الدعوة /** د.عبد الرحيم بن محمد المغذوي ، دار اشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.

(ي)

٢١٠- **اليهودية /**د. أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٩٩٧م.

٢١١- **اليهودية والمسيحية /** د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ.

فهرس الموضوعات